

رُوحُ الْمَعَانِي فِي

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمُبْتَدِئِ

لخاتمة المحققين وعمدة المدققين مرجع أهل العراق
ومفتي بغداد العلامة أبي الفضل
شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي
المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ سقى الله ثراه
صيب الرحمة وأفاض عليه سجال
الاحسان والنعمة آمين



الجزء السابع والعشرون

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية باذن من ورثة المؤلف بخط وامضاء علامة العراق
المرحوم السيد محمود شكرى الألوسي البغدادي

إِدَارَةُ الطَّبَعَاتِ الْمُنِيرِيَّةِ
وَلَدُ

أحماء التراب للبري

بسموت - لبنان

مصر : درب الاتراك رقم ١

﴿ سورة الذاريات (١) ﴾

﴿ مكية ﴾ كُروى عن ابن عباس. وابن الزبير رضى الله تعالى عنهما - ولم يحك في ذلك خلاف - وهى ستون آية بالاتفاق كما فى كتاب العدد ، ومناسبتها لسورة (ق) أنها لما ختمت بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك افتتحت هذه بالإقسام على أن ما وعدوا من ذلك لصديق ، وأن الجزاء لواقع ، وأنه قد ذكر هناك إهلاك كثير من القرون على وجه الاجمال ، وذكر هنا إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل إلى غير ذلك مما يظهر للتأمل •

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ أَى الرّيح التى تذروا التراب وغيره من ذرا - المعتل بمعنى فرق وبدد مارهه عن مكانه ﴾ ﴿ فَأَلْحَمَلْتُمْ وَفَرَّأَ ﴿٢﴾ أَى حملوا وهى السحب الحاملة للبطر •

﴿ فَأَلْجَرِيَّتِ يُسْرَأَ ﴿٣﴾ أَى جرياً سهلاً إلى حيث سیرت وهى السفن ﴾ ﴿ فَأَلْمَقْسَمَاتِ أُمْرَأَ ﴿٤﴾ هى الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به ، وتفسير كل بما فسر به قد صح روايته من طرق عن على كرم الله تعالى وجهه ، وفى بعض الروايات أن ابن الكواء سأله عن ذلك وهو رضى الله تعالى عنه بخطب على المنبر فأجاب بما ذكر ، وفى بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير مأثور عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم •

أخرج البزار . والدارقطنى فى الافراد . وابن مردويه . وابن عساکر عن سعيد بن المسيب قال : « جاء صبيغ التميمى إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال : أخبرنى عن (الذاريات ذرواً) قال : هى الرّيح ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقوله ما قلته ، قال : فأخبرنى عن (الحاملات وفرأ) قال : هى السحاب ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقوله ما قلته ، قال : فأخبرنى (عن الجاريات يسراً) قال : هى السفن ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقوله ما قلته ، قال : فأخبرنى عن (المقسمات أُمْرَأَ) قال : هى الملائكة ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقوله ما قلته ثم أمر به فضرب مائة وجعل فى بيت فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبى موسى الأشعرى امنع الناس من مجالسته فلم يزالوا كذلك حتى أتى أباً موسى فحلف له بالايمان المغلظة ما يجدنى نفسه بما كان يجد شيئاً فكتب إلى عمر رضى الله تعالى عنه ما أخاله إلا قد صدق فخلى بينه وبين مجالسة الناس • »

ويدل هذا أن الرجل لم يكن سليم القلب وأن سؤاله لم يكن طلباً للعلم وإلا لم يصنع به عمر رضى الله تعالى عنه ما صنع • وفى رواية عن ابن عباس أن - الحاملات - هى السفن الموقرة بالناس وأمتعتهم ، وقيل : هى الحوامل من جميع الحيوانات ، وقيل : الجاريات السحب تجرى وتسير إلى حيث شاء الله عز وجل ، وقيل : هى الكواكب

(١) ﴿ تنبيه ﴾ جريها هنا فى تقسيم هذا الجزء هكذا لما هو المشهور من تجزئة الأجزاء الأربعة الأواخر لذلك ليكون أول كل جزء منها أول سورة وإن كانت تجزئة المصاحف فى هذا الجزء هى قوله : (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

التي تجري في منازلها وكلها لها حركة وإن اختلفت سرعة وبطاً كما بين في موضعه ، وقيل : هي الكواكب السبعة الشهيرة وتسمى السيارة ، وقيل : (الذاريات) النساء الولود فانهن يذرين الأولاد كأنه شبه تتابع الأولاد بما يتطأير من الرياح ، وباقي المتعاطفات على ما سمعت أولاً ، وقيل : (الذاريات) هي الأسباب التي تدرى الخلائق على تشبيه الأسباب المعدة للبروز من العدم بالرياح المفرقة للحبوب ونحوها ، وقيل : الحاملات الرياح الحاملة للسحاب ، وقيل : هي الأسباب الحاملة لمسيباتها مجازاً ، وقيل : الجاريات الرياح تجري في مهاها ، وقيل : المقسمات السحب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد ، وقيل : هي الكواكب السبعة السيارة - وهو قول باطل - لا يقول به إلا من زعم أنها مدبرة لعالم الكون والفساد ، وفي صحيح البخاري عن قتادة « خلق الله تعالى هذه النجوم ثلاث جعلها زينة للسماء . ورجوما للشياطين . وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعلم » وزاد رزين « وما لا علم له به وما عجز عن علمه الانبياء والملائكة » وعن الربيع مثله وزاد « والله ما جعل الله تعالى في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته وإنما يفترون على الله تعالى الكذب ويتعلمون بالنجوم » ذكره صاحب جامع الأصول ، وقدم الكلام في إبطال ما قاله المنجمون مفصلاً فتذكر ، ولعله سيأتي إن شاء الله تعالى شيء من ذلك ، وجوز أن يراد بالجميع الرياح فأنها - كما تذر - وما تذروه تثير السحاب وتحمله ، وتجري في الجو جرياً سهلاً - وتقسم الأمطار بتصرف السحاب في الاقطار - والمعول عليه ما روى عن عمر رضي الله تعالى عنه سامعاً له من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - وقاله باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه على المنبر - واليه كما نقل عن الزجاج ذهب جميع المفسرين أي المعتبرين ، وقول الامام بعد نقله له عن الأمير : الأقرب أن تحمل هذه الصفات الأربع على الرياح جسارة عظيمة على ما لا يسلم له ، وجهل منه بما رواه ابن المسيب من الخبر الدال على أن ذلك تفسير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأين منه الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه •

وقول صاحب الكشف : إنه شديد الطباق للمقام ولذا آثره الامام لا أسلمه له أيضاً إذا صح الحديث ثم إذا حملت هذه الصفات على أمور مختلفة متغايرة بالذات كما في المعول عليه فالفاء للترتيب في الاقسام ذكرها ورتبة باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على كمال قدرته عز وجل ، وهذا التفاوت إما على الترتيب أو التنازل لما في كل منها من الصفات التي تجعلها أعلى من وجه وأدنى من آخر إذا نظر لها ذو نظر صحيح ، وقيل : الترتيب بالنظر إلى الأقرب فالأقرب منا ، وإن حملت على واحد وهو الرياح فهي لترتيب الافعال والصفات إذ الريح تذر الأبخرة إلى الجو أولاً حتى تنعقد سحاباً فتحمله ثانياً وتجري به ثالثاً ناشرة وسائقة له إلى حيث أمرها الله تعالى ثم تقسم أمطاره ، وقيل : إذا حملت الذاريات والحاملات على النساء ، فالظاهر أنها للتفاوت في الدلالة على كمال القدرة فتدبر •

ونصب (ذروا) على أنه مفعول مطلق ، (ووقراً) على أنه مفعول به ، وجوز الامام أن يكون من باب ضربته سوطاً ، و(يسراً) على أنه صفة مصدر محذوف بتقدير مضاف أي جرياً ذا يسر ، أو على أنه حال أي ميسرة كما نقل عن سيويوه ، و(أمراً) على أنه مفعول به وهو واحد الامور ، وقد أريد به الجمع ولم يعبر به لان الفرد أنسب بمرس الآي مع ظهور الامر ، وقيل : على أنه حال أي مأمورة ، والمفعول به محذوف أو الوصف منزل منزلة اللازم أي تفعل التقسيم مأمورة ، وقرأ أبو عمرو . وحمة (والذاريات ذروا) بادغام التاء في الذال ، وقرئ (وقرأ) بفتح الواو على أنه مصدر وقره إذا حمه - كما أفاده كلام الزمخشري - وناهيك

به إماماً في اللغة ، وعلى هذا هو منصوب على أنه مفعول به أيضاً على تسمية المحمول بالمصدر أو على أنه مفعول مطلق - لحاملات - من معناها كأنه قيل : فالحاملات حملا . وقوله تعالى شأنه :

﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ هـ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ٦ ﴾ جواب للقسم ، و (ما) موصولة والعائد محذوف أي إن الذي توعدونه ، أو توعدون به ، ويحتمل أن تكون مصدرية أي إن وعدكم ، أو وعيدكم إذ توعدون يحتمل أن يكون مضارع وعد ، وأن يكون مضارع أو وعد ، ولعل الثاني أنسب لقوله تعالى : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) ولأن المقصود التخويف والتهويل ، وعن مجاهد أن الآية في الكفار وهو يؤيد الوعيد ومعنى صدقه تحقق وقوعه ، وفي الكشف وعد صادق - كعيشة راضية - و (الدين) الجزاء ووقوعه حصوله ، والا كثرون على أن الموعود هو البعث ، وفي تخصيص المذكورات بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق الجملة المقسم عليها من حيث أنها أمور بديعة فن قدر عليها فهو قادر على تحقيق البعث الموعود ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ ٧ ﴾ أي الطرق جمع حبيكة كطريقة ، أو حباك كثال ومثل ، ويقال : حبك الماء للتكسر الجارى فيه إذ مرت عليه الريح ، وعليه قول زهير يصف غديراً :

مكمل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك (١)

وحبك الشعر لآثار تثنيه وتكسره ، وتفسيرها بذلك مروى عن مقاتل . والكبي . والضحاك ، والمراد بها إما الطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب ، أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة وهي ما تدل على وحدة الصانع وقدرته وعلمه وحكمته جل شأنه إذا تأملها الناظر ، وقال ابن عباس . وقتادة . وعكرمة . ومجاهد . والريبع : ذات الخلق المستوى الجيد ، وفي رواية أخرى عن مجاهد المتقنة البنيان ، وقيل : ذات الصفاقة وهي أقوال متقاربة وكأن الحبك عليها من قولهم : حبكت الشيء أحكمته وأحسنتم عمله وحبكت العقدة أو ثقتها ، وفرس محبوك المعاقم - وهي المفاصل - أي محكمها ، وفي الكشف أصل الحباكة الصفاقة وجودة الاثر ، وعن الحسن - حبكها - نجومها ، والظاهر أن إطلاق الحبك على النجوم مجاز لأنها تزين السماء كما يزين الثوب الموشى حبكه وطرائق وشبه فكأنه قيل : ذات النجوم التي هي كالحبك أي الطرائق في التزيين ، واستظهر في السماء أنه جنس أريد به جميع السموات وكون كل واحدة منها ذات حبك بمعنى مستوية الخلق جيدته ، أو متقنة البنيان أو صفيقة ، أو ذات طرق معقولة ظاهر ، وأما كون كل منها كذلك بمعنى ذات طرق محسوسة فباعتبار أن الكواكب في أي سماء كانت تسير مسامطة لسائر السموات ، فمراتها باعتبار المسامطة طرق ، وبمعنى ذات النجوم فباعتبار أن النجوم في أي سماء كانت تشاهد في سائر السموات بناءً على أن السموات شفاقة لا يحجب كل منها إدراك ما وراءه ، وأخرج ابن منيع عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال : هي السماء السابعة ، وعن عبد الله بن عمرو مثله فتدبر ولا تغفل *

وقرأ ابن عباس . والحسن بخلاف عنه . وأبو مالك الغفاري . وأبو حيوة . وابن أبي عبيدة . وأبو السمال .

(١) قوله : (مكمل) مجرور على الوصف في قوله : قبله ثم استعانت - بماء مكمل - ذلك الماء بأصول النبات وصارت

حواله لا ظليل ، (والخريق) الريح الباردة الشديدة الهبوب و (الضاحي) الظاهر ، و (حبك الماء طرافقه) . اه
إدارة الطباعة المنيرية

ونعيم عن أبي عمرو - الحبك - يأسكان الباء على زنة القفل ، وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفة وطرف وبرقة (١) وبرق ، وأبو مالك الغفاري . والحسن بخلاف عنه أيضا بكسر الحاء والباء - كالابل - وهو على ما ذكر الخفاجي اسم مفرد ورد على هذا الوزن شذوذاً وليس جمعاً ، وأبو مالك والحسن . وأبو حيوة أيضا بكسر الحاء وإسكان الباء كالسالك - وهو تخفيف فعل مكسور الفاء والعين وهو اسم مفرد لا جمع لأن فعلا ليس من أبنية الجمع - قاله في البحر - وابن عباس . وأبو مالك أيضا بفتحها كالجبل - قال أبو الفضل الرازي - فهو جمع حبكة مثل عقبة وعقب ، والحسن أيضا بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم ، وأبو مالك أيضا بكسر الحاء وضم الباء وذكرها ابن عطية عن الحسن أيضا ثم قال : هي قراءة شاذة غير متوجهة وكأنه بعد أن كسر الحاء توهم قراءة الجمهور فضم التاء (٢) وهذا من تداخل اللغات وليس في كلام العرب هذا البناء أي لأن فيه الانتقال من خفة إلى ثقل على عكس ضرب مبنياً للمفعول ، وقال صاحب اللوامح : هو عديم النظير في العربية في أبنيتها وأوزانها ولا أدري ما وراءه انتهى *

وعلى التداخل تأول النحاة هذه القراءة ، وقال أبو حيان : الأحسن عندي أن يكون ذلك مما أتبع فيه حركة الحاء لحركة تاء (ذات) في الكسر ولم يعتد باللام الساكنة لأن الساكن حاجز غير حصين *

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّتَخَلِّفٍ ۝٨﴾ أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون : إنه جل شأنه خالق السموات والارض وتقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه ، وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون : تارة إنه مجنون ، وأخرى إنه ساحر ولا يكون الساحر إلا عاقلاً ، وفي أمر الحشر فتقولون : تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلاً ، وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم القيامة إلى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالإيمان به ، واقتصر بعضهم على كون القول المختلف في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ، والجملة جواب القسم ولعل النكتة في ذلك القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف هياكلها ، أو الإشارة إلى أنها ليست مستوية جيدة ، أو ليست قوية محكمة ، أو ليس فيها ما يزينها بل فيها ما يشينها من التناقض ﴿يُوفِّكُ عَنْهُ مِّنْ أَفْكَ ۝٩﴾ أي يصرف عن الإيمان بما كلفوا بالإيمان به لدلالة الكلام السابق عليه ، وقال الحسن . وقادة : عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال غير واحد : عن القرآن ، والكلام السابق مشعر بكل من صرف الصرف الذي لا أشد منه وأعظم ، ووجه المبالغة من إسناد الفعل إلى من وصف به فلولا غرض المبالغة لكان من توضيح الواضح فكأنه أثبت للصروف صرف آخر حيث قيل : (يصرف عنه) المصروف فجاءت المبالغة من المضاعفة ثم الإطلاق في المقام الخطابي له مدخل في تقوية أمر المضاعفة وكذلك الإبهام الذي في الموصول ، وهو قريب من قوله تعالى : (فغشهم من اليم ما غشهم) ، وقيل : المراد (يصرف عنه) في الوجود الخارجي من (صرف عنه) في علم الله تعالى وقضائه سبحانه ، وتعقب بأنه ليس فيه كثير فائدة لأن كل ما هو كائن معلوم أنه ثابت في سابق علمه تعالى الأزلي وليس فيه المبالغة السابقة ، وأجيب عن الأول بأن فيه الإشارة إلى أن الحجة البالغة لله عز وجل في صرفه وكفى بذلك فائدة وهو مبني أن العلم تابع للمعلوم فافهمه ، وحكى الزهراوى أنه يجوز أن يكون الضمير (لما توعدون) أو - للدين - أقسم سبحانه - بالذاريات - على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسما على أنهم في (قول مختلف) في وقوعه ، فمنهم شاك ،

ومنه جاحد ثم قال جل وعلا : (يؤفك) عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ، وذكر ذلك الزخشرى ولم يعزه ، وادعى صاحب الكشف أنه أوجه لتلاؤم الكلام ، وقيل : يجوز أن يكون الضمير - لقول مختلف - وعن - للتعليل كما في قوله تعالى : (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) وقوله :

ينهن عن أكل وعن شرب مثل المها يرتعن فى خصب (١)

أى يصرف بسبب ذلك القول المختلف من أراد الاسلام ، وقال الزخشرى : حقيقته يصدر إفكهم عن القول المختلف ، وهذا محتمل لبقاء - عن - على أصلها من المجاوزة واعتبار التضمنين ، وفيه ارتكاب خلاف الظاهر من غير داع مع ذهاب تلك المبالغة ، وجوز ابن عطية رجوع الضمير إلى القول إلا أنه قال : المعنى يصرف عن ذلك القول المختلف بتوفيق الله تعالى للاسلام من غلبت سعادته ، وتعقبه بأن فيه مخالفة للعرف فان عرف الاستعمال فى الافك الصرف من خير إلى شر فلذلك لا تجده إلا فى المذمومين ، ثم إن ذلك على كون الخطاب فى أنكم للكفار - وهو الذى ذهب إليه ابن زيد وغيره - واستظهر أبو حيان كونه عاما للسلم والكافر ، واستظهر العموم فيما سبق أيضا ، والقول المختلف حينئذ قول المسلمين بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقول الكفار بنقيض ذلك ، وقرأ ابن جبير . وقتادة (من أفك) مبني للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قریش ، وقرأ زيد بن على - بأفك عنه من أفك - أى يصرف الناس عنه من هو أفك كذاب ، وقرئ - يؤفن عنه من أفن - بالنون فيهما أى يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا أنهكه حلباً ﴿ قُلْ الْخَرَصُونَ ١٠ ﴾ أى الكذابون من أصحاب القول المختلف ، وأصل الخرص الظن والتخمين ثم تجوز به عن الكذب لانه فى الغالب يكون منشأه ، وقال الراغب : حقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له : خرص سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفه من حيث أن صاحبه لم يقبله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل خارص الثرة فى خرصه ، وكل من قال قولاً على هذا النحو قد يسمى كاذباً وإن كان قوله مطابقاً للقول المخبر به كما فى قوله تعالى : (إذا جاءك المناقون) الآية انتهى •

وفيه بحث وحقيقة - القتل - معروفة ، والمراد - بقتل - الدعاء عليهم مع قطع النظر عن المعنى الحقيقى • وعن ابن عباس تفسيره باللعن قال ابن الانبارى : وإنما كان القتل بمعنى اللعن هنا لان من لعنه الله تعالى بمنزلة المقتول الهالك ، وقرئ - قتل الخراصين - أى قتل الله الخراصين ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ فى جمل عظيم يغمرهم ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه ﴿ سَاهُونَ ١١ ﴾ غافلون عما أمروا به ، فالمراد بالسهو مطلق الغفلة •

﴿ يُسْأَلُونَ ﴾ أى بطريق الاستعجال استهزاء ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ١٢ ﴾ معمول ليسألون على أنه جار مجرى يقولون لما فيه من معنى القول ، أو لقول مقدر - أى فيقولون متى وقوع يوم الجزاء - وقد وقع السؤال عن الحدث كما هو المعروف فى (أيان) ولا ضير فى جعل الزمان زمانياً فان اليوم لما جعل موعوداً ومنتظراً فى نحو قوله تعالى : (فارتقب يوم تأتى السماء) صار ما حقيقاً بالزمانيات وكذلك - كل يوم له شأن مثل يوم العيد ، والنيروز - وهذا

(١) يصف الشاعر مضيقاً يصدر الاضياف عنه شباعاً يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وقالوا جمل ناه اذا كان عريقاً فى السمن اه

جار في عرفي العرب والعجم على أنه يجوز عند الأشاعرة أن يكون للزمان زمان على مافصل في مكانه ، وقرئ (إيان) بكسر الهمزة وهي لغة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣﴾ أي يحرقون، وأصل الفتن إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في الاحراق والتعذيب ونحو ذلك، و(يوم) نصب على الظرفية لمخدوف دل عليه وقوع الكلام جوابا للسؤال مضاف للجملة الاسمية بعده - أي يقع يوم الدين يوم هم على النار - الخ ، وقال الزجاج : ظرف لمخدوف وقع خبراً لمبتدأ كذلك أي هو واقع ، أو كائن يوم الخ، وجوز أن يكون هو نفسه خبر مبتدأ مخدوف، والفتحة فتحة بناء لضافته إلى غير ، وهي الجملة الاسمية فان الجمل بحسب الاصل كذلك على كلام فيه بين البصريين والكوفيين مفصل في شرح التسهيل - أي هو يوم هم - الخ، والضمير قيل : راجع إلى وقت الوقوع فيكون هذا الكلام قائماً مقام الجواب على نحو - سيقولون الله - في جواب (من رب السموات والأرض) لان تقدير السؤال في أي وقت يقع ، وجوابه الاصل في يوم كذا، وإذا قلت : وقت وقوعه يوم كذا كان قائماً مقامه . ويجوز أن يكون الضمير لليوم والكلام جواب بحسب المعنى ، فالتقدير يوم الجزاء - يوم تعذيب الكفار - ويؤيد - كونه مرفوع المحل خبراً لمبتدأ مخدوف - قراءة ابن أبي عبلة . والزعفراني (يوم هم) بالرفع، وزعم بعض النحاة أن - يوم - بدل من (يوم الدين) وفتحته على قراءة الجمهور فتحة بناء، و(يوم) وما في حيزه من جملة كلام السائلين قالوه استهزأ ، وحكى على المعنى، ولو حكى على اللفظ لقليل : يوم نحن على النار نفتن، وهو في غاية البعد لا ينبغي، وقوله تعالى : ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ بتقدير قول وقع حالا من ضمير (يفتنون) أي مقولاً لهم (ذوقوا فتنكم) أي عذابكم المعد لكم، وقد يسمى ما يحصل عنه العذاب - بالكفر - فتنة ، وجوز أن يكون منه ما هنا كأنه قيل : ذوقوا كفركم - أي جزاء كفركم - أو يجعل الكفر نفس العذاب مجازاً وهو كما ترى ﴿ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر داخل تحت القول المضمّر - أي هذا العذاب الذي كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء - وجوز أن يكون هذا بدلاً من (فتنكم) بتأويل العذاب ، وفيه بعد ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥ ﴾ لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي قابلين لكل ما أعطاهم عز وجل راضين به على معنى إن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول ، والعموم مأخوذ من شيوع ما وإطلاقه في معرض المدح وإظهار منه تعالى عليهم، واعتبار الرضا لأن الأخذ قبول عن قصد ، ونصب (آخذين) على الحال من الضمير في الظرف ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ١٦ ﴾ أي لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك استحقوا ما استحقوا من الفوز العظيم، وفسر إحسانهم بقوله تعالى ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ ﴾ الخ على أن الجملة في محل رفع بدل من قوله تعالى : (كانوا قبل ذلك محسنين) حصل بها تفسيره ، أو أنها جملة لا محل لها من الاعراب مفسرة كسائر الجمل التفسيرية، وأخرج الفريابي . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال في الآية : (آخذين ما آتاهم ربهم) من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي كانوا قبل تنزل الفرائض يعملون ، ولا أظن صحة نسبته لذلك الخبر ، ولا يكاد يجعل جملة (كانوا) الخ عليه تفسيراً إذا صح ما نقل عنه في تفسيرها ، وسيأتي إن شاء الله تعالى •

و - المجوع - النوم ، وقيد الراغب بقوله : ليلاً ، وغيره بالقليل ، و (ما) إما مزيدة - قليلاً -

معمول الفعل صفة لمصدر محذوف أى - هجوعاً قليلاً - و(من الليل) صفة، أو لغو متعلق - يهجعون - و(من) للابتداء، وجملة (يهجعون) خبر - كان - أو (قليلاً) صفة لظرف محذوف - أى زماناً قليلاً - و(من الليل) صفة على نحو - قليل من المال عندى - وإما موصولة عائدها محذوف فهى فاعل (قليلاً) وهو خبر - كان - و(من الليل) حال من الموصول مقدم كأنه قيل: كانوا قد قل المقدار الذى يهجعون فيه كأن ذلك المقدار (من الليل) وإمامصدرية فالمصدر فاعل (قليلاً) وهو خبر كان أيضاً، و(من الليل) بيان لا متعلق بما بعده لأن معمول المصدر لا يتقدم، أو حال من المصدر، و(من) للابتداء كذا فى الكشف فهما من الكشف، وذهب بعضهم إلى أن (من) على زيادة - ما - بمعنى فى كما فى قوله تعالى: (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) واعترض ابن المنير احتمال مصدريتها بأنه لا يجوز فى (من الليل) كونه صفة، أو بياناً - للقليل - لأنه فيه واقع على الهجوع ولا صلة المصدر لتقدمه، وأجيب بأنه يبان للزمان المبهم؛ وحكى الطيبي أنه إمامنصوب على التبيين أو متعلق بفعل يفسره (يهجعون) وجوز أن يكون (ما يهجعون) على ذلك الاحتمال بدلاً من اسم كان فكأنه قيل: كان هجوعهم قليلاً وهو بعيد، وجوز فى (ما) أن تكون نافية، و(قليلاً) منصوب - يهجعون - والمعنى - كانوا لا يهجعون من الليل قليلاً ويحيونه كله - ورواه ابن أبى شية. وأبو نصر عن مجاهد، ورده الزمخشري بأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لأن لهاصدر الكلام وليس فيها التصرف الذى فى أخواتها فلا فإنها قد تكون كجزء مما دخلت عليه نحو - عوتب بلا جرم - ولم - ولن - لاختصاصهما بالفعل كالجزم منه، وأنت تعلم أن منع العمل هو مذهب البصريين، وفى شرح الهادى أن بعض النحاة أجازاه مطلقاً، وبعضهم أجازاه فى الظرف خاصة للتوسع فيه، واستدل عليه بقوله:

• ونحن عن فضلك ما استغنيا • نعم يرد على ذلك أن فيه كما فى الاتصاف خلافاً من حيث المعنى فإن طلب قيام الليل غير مستثنى منه جزء للهجوع وإن قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود اللهم إلا أن يدعى أن من ذهب إلى ذلك يقول: بأنه كان ثابتاً فى الشرع، فقد أخرج ابن أبى شية. وابن المنذر عن عطاء أنه قال فى الآية: كان ذلك إذ أمروا بقيام الليل كله فكان أبوذر يعتمد على العصا فمكثوا شهرين ثم نزلت الرخصة (فاقرءوا ما تيسر منه) وقال الضحاك: (كانوا قليلاً) فى عددهم، وتم الكلام عند (قليلاً) ثم ابتدأ (من الليل ما يهجعون) على أن (ما) نافية؛ وفيه ما تقدم مع زيادة تفكيك للكلام، ولعل أظهر الأوجه زيادة (ما) ونصب (قليلاً) على الظرفية، و(من الليل) صفة قيل: وفى الكلام مبالغات لفظ الهجوع بناءً على أنه القليل من النوم، وقوله تعالى: (قليلاً) و(من الليل) لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة (ما) لأنها تؤكد مضمون الجملة فتؤكد القلة وتحققها باعتبار كونها قيداً فيها والغرض من الآية أنهم يكابدون العبادة فى أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشاق النهار إلا قليلاً، قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلاً، وعن عبد الله بن راحة هجعوا قليلاً ثم قاموا، وفسر أنس بن مالك الآية - كانوا جماعة عنه وصححه الحاكم - فقال: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء

وهى لا تدل على الاقتصار على ذلك (وبالاسحرام يستغفرون ١٨) أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كأنهم أسلفوا فى ليهم الجرائم ولم يتفرغوا فيه للعبادة، وفى بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطناهم فيه • وفى الآية من الإشارة إلى مزيد خشيتهم وعدم اغترارهم بعبادتهم ما لا يخفى، وحمل الاستغفار على حقيقته المشهورة هو الظاهر - وبه قال الحسن - •

أخرج عنه ابن جرير . وغيره أنه قال : صلوا فلما كان السحر استغفروا ، وقيل : المراد طلبهم المغفرة بالصلاة ، وعليه ما أخرج ابن المنذر . وجماعة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : (يستغفرون) يصلون ، وأخرج ابن مردويه عنه ذلك مرفوعاً ولا أراه يصح ، وأخرج أيضاً عن أنس قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن آخر الليل في التهجد أحب إلى من أوله لأن الله تعالى يقول : (وبالأسحار هم يستغفرون) » وهو محتمل لذلك التفسير والظاهر ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ ﴾ أي نصيب وإفريستوجونه على أنفسهم تقريباً إلى الله عز وجل وإشفاقاً على الناس فهو غير الزكاة كما قال ابن عباس . ومجاهد . وغيرهما . ﴿ لِلسَّائِلِ ﴾ الطالب منهم ﴿ وَالْمَحْرُومِ ١٩ ﴾ وهو المتعفف الذي يحسبه الجاهل غنياً فيحرم الصدقة من أكثر الناس .

أخرج ابن جرير . وابن حبان . وابن مردويه عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمران والآلة والأكثان قيل : فمن المسكين ؟ قال : الذي ليس له ما يغنيه ولا يعلم مكانه فيتصدق عليه فذلك المحروم » وفسره ابن عباس بالمحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس ، وقيل : هو الذي يبعد منه مكنات الرزق بعد قربها منه فينال الحرمان ، وقال زيد بن أسلم : هو الذي اجتاحت ثمرته ، وقيل : من ماتت ماشيته ، وقيل : من ليس له سهم في الإسلام ، وقيل : الذي لا ينمو له مال ، وقيل : غير ذلك . قال في البحر : وكل ذلك على سبيل التمثيل ويجمع الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه . وأنا بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقول . وقال منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكاة المفروضة ، وتعقب بأن السورة مكية وفرض الزكاة بالمدينة ، وقيل : أصل فريضة الزكاة كان بمكة والذي كان بالمدينة القدر المعروف اليوم ، وعن ابن عمر أن رجلاً سأله عن هذا الحق فقال الزكاة وسوى ذلك حقوق فعمهم ، والجمهور على الأول . ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾ دلائل من أنواع المعادن والنباتات . والحيوانات ، وأوجوه دلالات من الدحو وارتفاع بعضها عن الماء ، واختلاف أجزائها في الكيفيات والخواص ، فالدليل على الأول ما في الأرض من الموجودات والظرفية حقيقية والجمع على ظاهره ، وعلى الثاني الدليل نفس الأرض ، والجمعية باعتبار وجوه الدلالة وأحوالها ، والظرفية من ظرفية الصفة في الموصوف والدلالة على وجود الصانع جل شأنه وعلمه وقدرته وإرادته ووحدته وفرط رحمته عز وجل ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٢٠ ﴾ للوحيدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة ، وقرأ قادة - آية - بالافراد ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي في ذواتكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي ذات الإنسان له نظير يدل على دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ، وآيات الأنفس أكثر من أن تحصى ، وقيل : أريد بذلك اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع ، ورواه عطاء عن ابن عباس ، وقيل : سبيل الطعام وسبيل الشراب والحق أن لا حصر ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١ ﴾ أي ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ، وهو تعنيف على ترك النظر في الآيات الأرضية والنفسية ، وقيل : في الأخير ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي تقديره وتعيينه ، أو أسباب رزقكم من النيرين والكواكب والمطالع

والمغارب التي تختلف بها الفصول التي هي مبادئ الرزق إلى غير ذلك ، فالكلام على تقدير مضاف أو التجوز يجعل وجود الاسباب فيها كوجود المسبب ، وذهب غير واحد إلى أن السماء السحاب وهي سماء لغة ، والمراد بالرزق المطر فانه سبب الاقوات وروى تفسيره بذلك مرفوعاً وقرأ ابن محيصن - أرزاقكم - على الجمع *

﴿ وَمَا تَوْعَدُونَ ۚ ﴾ عطف على رزقكم أي والذي توعدونه من خير وشركا روى عن مجاهد، وفي رواية أخرى عنه وعن الضحاك - ماتوا عدون- الجنة والنار وهو ظاهر في أن النار في السماء وفيه خلاف ، وقال بعضهم : هو الجنة وهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش ، وقيل : أمر الساعة ، وقيل : الثواب والعقاب فانهما مقدران معينان فيها، وقيل : إنه مستأنف خبره .

﴿ فَوَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ على أن ضمير (إنه) (لما) وعلى ما تقدم ، فإمالة أو للرزق ، أو لله تعالى ، أو للذي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو للقرآن ، أو للدين في (إن الدين لواقع) أو لليوم المذكور في (أيان يوم الدين) أو لجميع المذكور (أما ما أقوال) ، واستظهر أبو حيان الأخير منها وهو مروي عن ابن جريج أي أن جميع ما ذكرناه من أول السورة إلى هنا لحق ﴿ مَثَلُ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لاشك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في حقيقة ذلك وهذا كقول الناس : إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ، ونصب (مثل) على الحالية من المستكن في (لحق) وهو لا يتعرف بالاضافة لتوغله في التنكير ، أو على الوصف لمصدر محذوف أي إنه حق حقاً مثل نطقكم ، وقيل : إنه مبنى على الفتح فقال المازني : لتركه مع (ما) حتى صاراً شيئاً واحداً نحو - ويحما - وأنشدوا لبناء الاسم معها قول الشاعر :

أثور (ما) أصيدكم أم ثورين أم هذه الجماء ذات القرنين

وقال غيره : لاضافته إلى غير متمكن وهو (ما) إن كانت نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو موصولة بمعنى الذي و (أنكم) الخ خبر مبتدأ محذوف أي هو (أنكم) الخ ، والجملة صفة ، أو صلة ، أو هو أن بما في حيزها إن جعلت (ما) زائدة ، وهو نص الخليل ومحل على البناء الرفع على أنه صفة (لحق) أو خبر ثان ويؤيده قراءة حمزة . والكسائي . وأبي بكر . والحسن . وابن أبي إسحق . والأعمش بخلاف عن ثلاثهم (مثل) بالرفع ، وفي البحر أن الكوفيين يجعلون - مثلاً - ظرفاً فينصبونه على الظرفية ويجيزون زيد مثلك بالنصب ، وعليه يجوز أن يكون في قراءة الجمهور منصوباً على الظرفية - واستدلوا لهم ، والرد عليهم مذكور في النحو - وفي الآية من تأكيد حقيقة المذكور ما لا يخفى ، وأخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال فيها : بلغني أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « قاتل الله قوماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أسرابي على قعود فقال : بمن الرجل ؟ قلت : من بني أصم قال : من أين أقبلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال : اتل على قتلوت (والناريات) فلما بلغت (وفي السماء رزقكم) قال : حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولى فلما حجبت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال : وهل غير هذا ؟ (فقرأت فورب السماء والارض إنه لحق) فصاح وقال : يا سبحان الله من ذا أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها

ثلاثاً وخرجت معها نفسه ٥

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغير طريق الوحي قاله غير واحد ، وفي الكشف فيه رمز إلى أنه لما فرغ من إثبات الجزء لفظاً ، القسم ومعنى بما في المقسم به من التلويح إلى القدرة البالغة مدججا فيه صدق المبلغ ، وقضى الوطر من تفصيله مهد لا ثبات النبوة وأن هذا الآتي الصادق حقيق بالاتباع لما معه من المعجزات الباهرة فقال سبحانه : (هل أتاك) الخ ، وضمن فيه تسليته عليه الصلاة والسلام بتكذيب قومه فله بسائر آياته وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة هذا إذا لم يجعل قوله تعالى : (وفي موسى) عطفاً على قوله سبحانه : (وفي الأرض آيات) وأما على ذلك التقدير فوجهه أن يكون قصة الخليل . ولو ط عليها السلام معترضة للتسلي يابعد مكذبه وأنه مرحوم منجى مكرم بالاصطفاء مثل أبيه إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم - والترجيح مع الأول انتهى - وسيأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلق بقوله سبحانه : (وفي موسى) ، و(الضيف) في الأصل مصدر بمعنى الميل ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد ، قيل : كانوا اثني عشر ملكاً ، وقيل : ثلاثة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وسموا ضيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف ولأن إبراهيم عليه السلام حسبهم كذلك ، فالتسمية على مقتضى الظاهر والحسبان ، وبدأ بقصة إبراهيم وإن كانت متأخرة عن قصة عاد لأنها أقوى في غرض التسلية ﴿ الْمُكْرَمِينَ ٢٤ ﴾ أى عند الله عز وجل كما قال الحسن فهو كقوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : (بل عباد مكرمون) أو عند إبراهيم عليه السلام إذ خدمهم بنفسه وزوجته وعجل لهم القرى ورفع مجالسهم كما في بعض الآثار ، وقرأ عكرمة (المكرمين) بالتشديد ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ ظرف للحديث لأنه صفة في الأصل ، أو للضيف ، أو (المكرمين) إن أريد إكرام إبراهيم لأن إكرام الله تعالى إياهم لا يتقيد ، أو منصوب بإضمار اذكر ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ أى نسلم عليك سلاماً ، وأوجب في البحر حذف الفعل لأن المصدر ساد مسنده فهو من المصادر التي يجب حذف أفعالها ، وقال ابن عطية : يتجه أن يعمل في (سلاماً) قالوا : على أن يجعل في معنى قولاً ويكون المعنى حينئذ أنهم قالوا : تحية وقولاً معناه (سلام) ونسب إلى مجاهد وليس بذلك ٥

﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ أى عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته أحسن من تحيتهم أخذاً بمزيد الأدب والإكرام ، وقيل : (سلام) خبر مبتدأ محذوف أى أمرى (سلام) وقرئنا مرفوعين ، وقرئ - سلاماً قال سلبا - بكسر السين وإسكان اللام والنصب ، والسلم السلام ، وقرأ ابن وثاب والنخعي : وابن جبير . وطلحة - سلاماً قال سلم - بالكسر والإسكان والرفع ، وجعله في البحر على معنى نحن أو أنتم سلم ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥ ﴾ أنكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الاسلام ، أو لأنهم عليهم السلام ليسوا بمن عهدهم من الناس ، أو لأن أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ، و(قوم) خبر مبتدأ محذوف والاكثر على أن التقدير أنتم قوم منكرون وأنه عليه السلام قاله لهم للتعرف كقولك لمن لقيته : أنا لا أعرفك تريد عرف لي نفسك وصفها ، وذهب بعض المحققين إلى أن الذي يظهر أن التقدير هؤلاء (قوم منكرون) وأنه عليه السلام قاله في نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وعلماؤه من غير أن يشعرهم بذلك فانه الانسب بحاله

عليه السلام لأن في خطاب الضيف بنحو ذلك إيحاشاً ما ، وطلبه به أن يعرفوه حالهم لعله لا يزيل ذلك .
 وأيضاً لو كان مراده ذلك لكشفوا أحوالهم عند القول المذكور ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة .
 ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ أى ذهب اليهم على خفية من ضيفه ، نقل أبو عبيدة أنه لا يقال : راغ إلا إذا ذهب على خفية ، وقال : يقال روغ اللقمة إذا غمسها في السمن حتى تروى ، قال ابن المنير : وهو من هذا المعنى لأنها تذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ، ومن مقلوب الروغ غور الأرض والجرح لحفائه وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى ، وقال الراغب : الروغ الميل على سبيل الاحتيال ، ومنه راغ الثعلب ، وراغ فلان إلى فلان مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال ، ويعلم منه أن لا اعتبار قيد الخفية وجهاً وهو أمر يقتضيه المقام أيضاً لأن من يذهب إلى أهله لتدارك الطعام يذهب كذلك غالباً ، وتشعر الفاء بأنه عليه السلام بادر بالذهاب ولم يمهل وقد ذكروا أن من أدب المضيف أن يبارد بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يمنعه الضيف ، أو يصير منتظراً ﴿ جَاءَ بِعَجَلٍ ﴾ هو ولد البقرة كأنه سمي بذلك لتصور عجلته التي تعمد منه إذا صار ثوراً
 ﴿ سَمِين ٢٦ ﴾ عتلى الجسد بالشحم واللحم يقال : سمن - كسمن - سمانة بالفتح وسمناً - كعنب - فهو سامن وسمين ، وكحسن السمين خلقة كذا في القاموس ، وفي البحر يقال : سمن سمناً فهو سمين شذوذاً في المصدر ، واسم الفاعل . والقياس سمن وسمن ، وقالوا : سامن إذا حدث له السمن انتهى ، والفاء فصيحة أفصحت عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها ، وإيذاناً بكمال سرعة المحجى بالطعام أى فذبح عجلاً فخذ به ، وقال بعضهم إنه كان معداً عنده حينئذ قبل مجيئهم لمن يرد عليه من الضيوف فلا حاجة إلى تقدير ما ذكر ، والمشهور اليوم أن الذبح للضيف إذا ورد أبلغ في إكرامه من الاتيان بما هي من الطعام قبل وروده ، وكان ياروى عن قتادة عامة ماله عليه السلام البقر ولو كان عنده أطيب لحماً منها لاكرمهم به .

﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ بأن وضعه لديهم ، وفيه دليل على أن من إكرام الضيف أن يقدم له أكثر مما يأكل وأن لا يوضع الطعام بموضع ويدعى الضيف إليه ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧ ﴾ ، قيل : عرض للأكل فإن في ذلك تأنيساً للضيف ، وقيل : إنكار لعدم تعرضهم للأكل ، وفي بعض الآثار أنهم قالوا : إنا لا نأكل إلا ما أدبنا ثمنه فقال عليه السلام : إني لا أبيع لكم إلا بثمن قالوا : وما هو ؟ قال : أن تسموا الله تعالى عند الابتداء وتحمدوه عز وجل عند الفراغ فقال بعضهم لبعض : بحق اتخذ الله تعالى خليلاً ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ فأضمر في نفسه منهم خوفاً لما رأى عليه الصلاة والسلام إعراضهم عن طعامه وظن أن ذلك لشريده فأن أكل الضيف أمانة ؛ ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة موجبة لظن الشر . وعن ابن عباس أنه عليه السلام وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب يخاف ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ إنا رسل الله تعالى ، عن يحيى بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرّفهم وأمن منهم ، وعلى ما روى عن الخبر أن هذا مجرد تأمينه عليه السلام ، وقيل : مع تحقيق أنهم ملائكة وعليهم بما أضمر في نفسه إما بإطلاع الله تعالى إياهم عليه ، أو إطلاع ملائكته الكرام الكاتبين عليه وإخبارهم به ، أو بظهور أمارته في وجهه الشريف فاستدلوا بذلك على الباطن ﴿ وَبَشَّرُوهُ ﴾ وفي سورة الصافات (وبشرناه) أى بواسطتهم ﴿ بَغْلَمَ ﴾

هو عند الجمهور إسحق بن سارة وهو الحق للتنصيص على أنه المبشر به في سورة هود ، والقصة واحدة ، وقال مجاهد: إسماعيل ابن هاجر وإرواه عنه ابن جرير وغيره ولا يكاد يصح (عليه السلام ٢٨) عند بلوغه واستوائه ، وفيه تبشير بحياته وكانت البشارة بذكر لانه أسر للنفس وأبهج ، ووصفه بالعلم لانها الصفة التي يختص بها الانسان الكامل لا الصورة الجميلة والقوة ونحوهما ، وهذا عند غير الاكثرين من أهل هذا الزمان فان العلم عندهم لاسيما العلم الشرعي رذيلة لا تعادلها رذيلة والجهل فضيلة لا توازنها فضيلة ، وفي صيغة المبالغة مع حذف المعمول ما لا يخفى مما يوجب السرور ، وعن الحسن (عليه السلام) نبى ر وقعت البشارة بعد التأنيس ، وفي ذلك إشارة إلى أن درء المفسدة أهم من جلب المصلحة ، وذكر بعضهم أن علمه عليه السلام بأنهم ملائكة من حيث بشروه بغيث *

(فَأَقْبَلَتْ أُمُّرَاتُهُ) سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم ، وفي التفسير الكبير إنها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحييت وأعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الأهل دون الإدبار عن الملائكة ، وهو إن صح مثله عن نقل وأثر لا ياباه الخطاب الآتي لانه يقتضى الاقبال دون الادبار إذ يكتفى لصحته أن يكون بسمع منها وإن كانت مدبرة ، نعم في الكلام عليه استعارة ضدية ولا قرينة هنا تصحيحها ، وقيل : أقبلت بمعنى أخذت كما تقول أخذ يشتنى (في صرة) في صيحة من الصرير قاله ابن عباس ، وقال قتادة وعكرمة : صرتها ربتها ، وقيل : قولها أوه ، وقيل : يا ويلتى ، وقيل : في شدة ، وقيل : الصرة الجماعة المنضم بعضهم إلى بعض كأنهم صروا أى جمعوا في وعاء - وإلى هذا ذهب ابن بحر - قال : أى أقبلت في صرة من نسوة تبادرن نظراً إلى الملائكة عليهم السلام ، والجار والمجرور في موضع الحال ، أو المفعول به إن فسر (أقبلت) بأخذت قيل : إن (في) عليه زائدة كما في قوله : * يخرج في عراقيها نصلى * والتقدير أخذت

صيحة ، وقيل : بل الجار والمجرور في موضع الخبر لأن الفعل حينئذ من أفعال المقاربة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال مجاهد: ضربت يديها على جبهتها وقالت : يا ويلتاه ، وقيل : إنها وجدت حرارة الدم فطمأت وجهها من الحياء ، وقيل : إنها لطمته تعجباً وهو فعل النساء إذا تعجبن من شئ (وَقَالَتْ عَجُوزٌ) أى أنا عجوز (عَقِيمٌ ٢٩) عاقر فكيف ألد ، وعقيم فعيل قيل : بمعنى فاعل أو مفعول وأصل معنى العقم اليبس (قَالُوا كَذَلِكَ) أى مثل ذلك القول الكريم الذى أخبرنا به (قَالَ رَبُّكَ) وإنما نحن معبرون نخبرك به عنه عز وجل لأننا نقوله من تلقاء أنفسنا ، وروى أن جبريل عليه السلام قال لها : انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠) فيكون قوله عز وجل حقاً وفعله سبحانه متقناً لا محالة ، وهذه المفاوضة لم تكن مع سارة فقط بل كانت مع إبراهيم أيضاً حسبما تقدم في سورة الحجر ، وإنما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر - ههنا وفي سورة هود - *

(قَالَ) أى إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الأمر (فَأَخْبَطْنَاهُمْ) أى شأنكم الخطير الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١) قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ (٣٢) يعنون قوم لوط عليه السلام (لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ) أى بعد قلب قراهم عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة

(حَجَارَةٌ مِنْ طِينٍ ٣٣) أى طين متحجر وهو السجيل؛ وفي تقييد كونها من طين رفع توهم كونها برداً فان بعض الناس يسمى البرد حجارة (مُسُومَةً) معلية من السومة وهي العلامة على كل واحدة منها اسم من يهلك بها؛ وقيل: أعلمت بأنهما من حجارة العذاب، وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا، وقيل: مسومة برسالة من أسمت الابل في المرعى، ومنه قوله تعالى: (ومنه شجر فيه تسيمون) (عَنْدَ رَبِّكَ) أى فى محل ظهور قدرته سبحانه وعظمته عز وجل، والمراد إنها معلية فى أول خلقها، وقيل: المعنى إنها فى علم الله تعالى معدة (لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤) المجاوزين الحد فى الفجور، والـد عند الامام للعهد أى لهؤلاء المسرفين، ووضع الظاهر موضع الضمير ذمّاً لهم بالاسراف بعد ذمهم بالاجرام، وإشارة إلى علة الحكم، وقوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا) إلى آخره حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليهم السلام من الكلام، والقاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى موضع آخر كأنه قيل: فقاموا منه وجاءوا لوطا فجرى بينهم وبينه ماجرى فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا (فأسر باهلك) الخ (مَنْ كَانَ فِيهَا) أى فى قرى قوم لوط وإضمارها بغير ذكر لشهرتها *

(مَنْ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥) من آمن بلوط عليه السلام (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ) أى غير أهل بيت للبيان بقوله تعالى: (مَنْ الْمُسْلِمِينَ ٣٦) فالكلام بتقدير مضاف، وجوز أن يراد بالبيت نفسه الجماعة مجازاً، والمراد بهم - كما أخرج ابن المنذر - وابن أبى حاتم - عن مجاهد لوط وابنته، وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد ابن جبير أنه قال: كانوا ثلاثة عشر، واستدل بالآية على اتحاد الإيمان والإسلام للاستثناء المعنوى فان المعنى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم يكن المخرج إلا أهل بيت واحد وإلا لم يستقم الكلام، وأنت تعلم أن هذا يدل على أنهما صادقان على الأمر الواحد لا ينفك أحدهما عن الآخر كالناطق والانسان إما على الاتحاد فى المفهوم وهو المختلف فيه عند أهل الأصول والحديث فلا، فالاستدلال بها على اتحادهما فيه ضعيف، نعم تدل على أنهما صفتا مدح من أوجه عديدة استحقاق الإخراج واختلاف الوصفين وجعل كل مستقلاً بأن يجعل سبب النجاة وما فى قوله تعالى: (مَنْ كَانَ) أولاً، و(غير بيت) ثانياً من الدلالة على المبالغة فان صاحبها محفوظ (من كان) وأين كان إلى غير ذلك، ومعنى الوجدان منسوباً إليه تعالى العلم على ما قاله الراغب، وذهب بعض الأجلة إلى أنه لا يقال: ما وجدت كذا إلا بعد الفحص والتفتيش، وجعل عليه معنى الآية فأخرج ملائكتنا (من كان فيها من المؤمنين) فما وجد ملائكتنا فيها (غير بيت من المسلمين) أو فى الكلام ضرب آخر من المجاز فلا تغفل *

(وَتَرَكْنَا فِيهَا) أى فى القرى (آيَةً) علامة دالة على ما أصابهم من العذاب، قال ابن جريج: هم أحجار كثيرة منضودة، وقيل: تلك الاحجار التى أهلكوا بها، وقيل: ما منتن قال الشهاب: نانه بحيرة طبرية، وجوز أبو حيان كون ضمير (فيها) عائداً على الاهلاك التى أهلكوها فانها من أعاجيب الاهلاك يجعل أعالي القرية أسافل، وإمطار الحجارة، والظاهر هو الاول (لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧) أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرته ورفقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها

ولا يبعدونها آية ﴿ وَفِي مُوسَى آء ﴾ عطف على (وتركنا فيها) بتقدير عامل له أى وجعلنا فى موسى ، والجملة معطوفة على الجملة ، أو هو عطف على (فيها) بتغليب معنى عامل الآية، أو سلوك طريق المشاكلة فى عطفه على الالوجه التى ذكرها النحاة فى نحو * علفتها تبنأ وماءً بارداً * لا يصح تسليط الترك بمعنى الإبقاء على قوله سبحانه . (وفى موسى) فقول أبى حيان . لالاجة إلى إضمار (تركنا) لانه قد أمكن العامل فى المجرور تركنا الاول فىه بحث ، وقيل : (فى موسى) خبر لمبتدأ محذوف أى (وفى موسى) آية ، وجوز ابن عطية . وغيره أن يكون معطوفاً على قوله تعالى . (وفى الارض وما بينهما) اعتراض لتسليته عليه الصلاقو السلام على مامر، وتعقبه فى البحر بأنه بعيد جداً ينزه القرآن الكريم عن مثله ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَهُ ﴾ قيل: بدل من (موسى)، وقيل. هو منصوب بآية ، وقيل . بمحذوف أى كائنه وقت إرسالنا ، وقيل: بتركنا .

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ بسلطان مبين ٣٨ ﴾ هو مظهر على يديه من المعجزات الباهرة، والسلطان يطلق على ذلك مع شموله للوالحد والمتعدد لانه فى الأصل مصدر ﴿ قَتَلْتُ بِرُكْنِهِ ﴾ فأعرض عن الايمان بموسى عليه السلام على أن ركنه جانب يذنه وعطفه، والتولى به كناية عن الاعراض ، والبلاء للتعذية لان معناه ثنى عطفه ، أو للالباسة ، وقال قتادة : تولى بقومه على أن الركن بمعنى القوم لانه ير كن إليهم ويتقوى بهم ، والبلاء للمصاحبة أو الملابس وكونها للسبيية غير وجهه ، وقيل: تولى بقوته وسلطانه ، والركن يستعار للقوة - كما قال الراغب - وقرئ بركنه بضم الكاف اتباعا للراء ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ ﴾ أى هو ساحر ﴿ أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩ ﴾ كان اللعين جعل مظهر على يديه عليه السلام من الخوارق المعجبية منسوبة إلى الجن وتردد فى أنه حصل باختياره فيكون سحراً ، أو بغير اختياره فيكون جنوناً ، وهذا مبنى على زعمه الفاسد وإلا فالسحر ليس من الجن كما بين فى محله - فأو - للشك ، وقيل : للإيهام ، وقال أبو عبيدة : هى بمعنى الواو لأن اللعين قال الامرين قال : (إن هذا لساحر عليم) وقال : (إن رسواكم الذى أرسل اليكم لمجنون) وأنت تعلم أن اللعين يتلون تلون الحرباء فلا ضرورة تدعو إلى جعلها بمعنى الواو ﴿ فَأَخَذْنَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ ﴾ طرحناهم غير معتدين بهم ﴿ فى اليم ﴾ فى البحر، والمراد فأغرقناهم فيه ، وفى الكلام من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قماء فرعون وقومه ما لا يخفى ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠ ﴾ أى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان فالافعال هنا للاتيان بما يقتضى معنى ثلاثيه كأن غرّب إذا أتى أمراً غريباً ، وقيل : الصيغة للنسب ، أو الاسناد للسبب - وهو كما ترى - وكون الملام عليه هنا الكفر والطغيان هو الذى يقتضيه حال فرعون وهو بما يختلف باعتبار من وصف به فلا يتوهم أنه كيف وصف اللعين بما وصف به ذو التون عليه السلام ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴾ على طرز ما تقدم ﴿ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١ ﴾ الشديد التى لا تلقح شيئاً كما أخرجه جماعة عن ابن عباس وصححه الحاكم، وفى لفظ هى ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقيح بها شجر كأنه شبه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة ففعل بمعنى فاعل من اللازم وكون هذا المعنى لا يصح هنا مكابرة ، وقال بعضهم وهو حسن : سميت عقياً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم على أن هناك استعارة تبعية شبه إهلا كهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم

حملهن لما فيه من إذهاب النسل ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم ، وفعل قيل : بمعنى فاعل أو مفعول ، وهذه الريح كانت الدبور لما صح من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « نصرت بالصبا وأهلك عاد الدبور ، وأخرج الفريابي . وابن المنذر عن علي كرم الله تعالى وجهه أنها النكباء ، وأخرج ابن جرير وجماعة عن ابن المسيب أنها الجنوب ، وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنها الصبا ، والمعول عليه ما ذكرنا أولاً ، ولعل الخبر عن الأمير كرم الله تعالى وجهه غير صحيح ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ماندع شيئاً ﴿ أَنْتَ عَلَيْهِ ﴾ جرت عليه ﴿ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ٤٢ ﴾ الشيء البالي من عظم ، أو نبات ، أو غير ذلك من رم الشيء بلى ، ويقال للبالي : رمام كغراب ، وأرم أيضاً لكن قال الراغب : يختص الرم بالفتات من الخشب والتبن ، والرمة بالسكس تختص بالعظم البالي ، والرمة بالضم بالحبل البالي ، وفسره السدي هنا بالتراب ، وقناة بالهشيم ، وقطرب بالرماد ، وفسره ابن عيسى بالمنسحق الذي لا يرم أى لا يصلح كانه جعل الهمة في أرم للسلب ، والجملة بعد (إلا) حالية ، والشيء هنا عام مخصوص أى من شيء أراد الله تعالى تدميره وإهلاكه من ناس . أو ديار . أو شجر . أو غير ذلك ، روى أن الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من عاد فتنزعه من بينهم وتهلكه ﴿ وَفِي مُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ٤٣ ﴾ أخرج البيهقي في سننه عن قتادة أنه ثلاثة أيام - وإليه ذهب الفراء . وجماعة - قال : تفسيره قوله تعالى : (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) واستشكل بأن هذا التمتع مؤخر عن العتو لقوله تعالى : (فعقروها فقال تمتعوا) الخ ، وقوله تعالى : ﴿ فَعَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ يدل على أن العتو مؤخر ، وأجيب بأن هذا مرتب على تمام القصة كأنه قيل : نوجعلنا في زمان قولنا ذلك ثمود آية أو في زمان قولنا ذلك لثمود آية ، ثم أخذ في بيان كونه آية ف قيل : (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به إلى الآخر ، فالفاء للتفصيل قال في الكشف . وهو الظاهر من هذا المساق ، وكذلك قوله تعالى : (فتولى بركنه) مرتب على القصة زمان إرسال موسى عليه السلام بالسلطان ، وإن كان هناك لا مانع من الترتب على الإرسال وذلك لأنه جرى بالطرف مجيء الفضلة حيث جعل فيه الآية ، والقصة من توليهم إلى هلاكهم انتهى ، وقال الحسن . هذا أى - القول لهم تمتعوا حتى حين - كان حين بعث إليهم صالح أمروا بالإيمان بما جاء به ، والتمتع إلى أن تأتى آجالهم - ثم عتوا بعد ذلك - قال في البحر ، ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تأخر العتو عما أمروا به فهو مطابق لفظاً ووجوداً واختاره الإمام فقال . قال بعض المفسرين . المراد بالحين الأيام الثلاثة التي أمهلوها بعد عقر الناقة وهو ضعيف لأن ترتب فعتوا بالفاء دليل على أن العتو كان بعد القول المذكور ، فالظاهر أنه ما قدر الله تعالى من الآجال فما من أحد إلا وهو مهمل مدة الأجل كأنه يقول له . تمتع إلى آخر أجلك فان أحسنت فقد حصل لك التمتع في الدارين وإلا فالك في الآخرة من نصيب انتهى ، وما تقدم أبعد مغزى ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعْقَةُ ﴾ أى أهلكتهم ، روى أن صالحاً عليه السلام وعدمه الهلاك بعد ثلاثة أيام ، وقال لهم . تصبح وجوهكم غداً مصفرة . وبعد غد محمرة . واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ، ولما رأوا الآيات التي بينها عليه السلام عمدوا إلى قتله فنجاه الله تعالى فذهب إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تخطوا وتكفؤوا بالأنطاع فأتتهم الصاعقة وهي نار من السماء ، وقيل . صيحة منها فهلكوا ، وقرأ عمر . وعثمان رضي الله تعالى عنهما . والكسائي الصعقة

وهي المرة من الصعق بمعنى الصاعقة أيضا ، أو الصيحة ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٤٤ ﴾ إليها ويعاينونها ويحتاج إلى تنزيل المسموع منزلة المبصر على القول بأن الصاعقة الصيحة وأن المراد ينظرون إليها ، وقال مجاهد: (ينظرون) بمعنى ينظرون أي وهم ينتظرون الأخذ والعذاب في تلك الأيام الثلاثة التي رأوا فيها علاماته وانتظار العذاب أشد من العذاب ﴿ قَمَّا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ كقوله تعالى: (فأصبحوا في دارهم جاثمين) وقيل: هو من قولهم: ما يقوم فلان بكذا إذا عجز عن دفعه ، وروى ذلك عن قتادة فهو معنى مجازي ، أو كناية شاعت حتى التحقت بالحقيقة ﴿ وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ ٤٥ ﴾ بغيرهم كما لم يتمنعوا بأنفسهم ﴿ وَقَوْمٌ نوح ﴾ أي وأهلكنا قوم ، فان ما قبله يدل عليه ، أو واذكر ، وقيل : عطف على الضمير في (فأخذتهم) ، وقيل : في (فنبذناهم) لأن معنى كل فأهلكناهم - وهو كما ترى - وجوز أن يكون عطفاً على محل (وفي عاد) أو (وفي ثمود) وأيد بقراءة عبدالله . وأبي عمرو . وحمة . والكسائي . وقوم بالجر ، وقرأ عبد الوارث . ومحبوب . والاصمعي عن أبي عمرو . وأبو السمال . وابن مقسم . وقوم بالرفع والظاهر أنه على الابتداء ، والخبر محذوف أي أهلكناهم ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل هؤلاء المهلكين ﴿ لَإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٤٦ ﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي ﴿ وَالسَّمَاءِ ﴾ أي وبنينا السماء ﴿ بَنَيْنَاهَا بَأْيَدٍ ﴾ أي بقوة قاله ابن عباس . ومجاهد . وقتادة ، ومثله - الآد - وليس جمع (يد) وجوزده الامام وإن صحت التورية به ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، فالجمله تذييل لإثباتا لسعة قدرته عز وجل كل شئ فضلا عن السماء ، وفيه رمز إلى التعريض الذي في قوله تعالى : (وما مسنا من لغوب) ، وعن الحسن (لموسعون) الرزق بالمطر وكأنه أخذه من أن المساق مساق الامتنان بذلك على العباد لإظهار القدرة فكأنه أشير في قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد) إلى ما تقدم من قوله سبحانه : (وفي السماء رزقكم) على بعض الأقوال فناسب أن يتمم بقوله تعالى : (وإنا لموسعون) مبالغة في المن ولا يحتاج أن يفسر الأيد بالإنعام على هذا القول لأنه يتم المقصود دونه ، واليد بمعنى النعمة لا الإنعام ، وقيل : أي لموسعوها بحيث أن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها كحلقة في فلاة ، وقيل : أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة ، والمراد السعة المكانية ، وفيه على القولين تسميم أيضا ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ أي وفرشنا الأرض ﴿ فَرَشْنَاهَا ﴾ أي مهدناها وبسطناها لتستقر وأعليها ولا ينافي ذلك شبهها للكرة على ما يزعمه فلاسفة العصر ﴿ فَتَعَمَّ الْمَهُدُونَ ٤٨ ﴾ أي نحن ، وقرأ أبو السمال . ومجاهد . وابن مقسم برفع السماء ورفع الأرض على أنهما مبتدآن وما بعدهما خبر لهما ﴿ وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ أي من كل جنس من الحيوان ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ نوعين ذكرأ وأنثى - قاله ابن زيد . وغيره - وقال مجاهد : هذا إشارة إلى المتضادات والمتقابلات كالليل . والنهار . والشقوة والسعادة . والهدى . والضلال . والسماء . والأرض . والسواد . والبياض . والصحة . والمرض . إلى غير ذلك ، ورجحه الطبري بأنه أدل على القدرة ، وقيل : أريد بالجنس

المنطقي ، وأقل ما يكون تحته نوعان فخلق سبحانه من الجوهر مثلاً المادى والمجرد ، ومن المادى النامى والجامد ، ومن النامى المدرك والنبات ، ومن المدرك الصامت والناطق وهو كما ترى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾ أى فعلنا ذلك كله لى تتذكروا فتعرفوا أنه عز وجل الرب القادر الذى لا يعجزه شئ فتعملوا بمقتضاه ولا تعبدوا ماسواه ، وقيل : خلقنا ذلك لى تتذكروا فتعلموا أن التعدد من خواص المعينات وأن الواجب بالذات سبحانه لا يقبل التعدد والانقسام ، وقيل : المراد التذكر بجميع ما ذكر لا من الحشر والنشر لأن من قدر على إيجاد ذلك فهو قادر على إعادة الاموات يوم القيامة وله وجه ، وقرأ أبى تذكرون بتمامين وتخفيف الذال ﴿فَقُرْءُوا إِلَى اللَّهِ﴾ تفريع على قوله سبحانه : (لعلمكم تذكرون) وهو تمثيل للاعتصام به سبحانه وتعالى وتوحيده عز وجل ، والمعنى قل يا محمد : (فقرأوا إلى الله) لمكان ﴿إِنِّ لَكُمْ مِنْهُ﴾ أى من عقابه تعالى المعدل لم يفر إليه سبحانه ولم يوحده ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠﴾ نين كونه منذراً من الله سبحانه بالمعجزات ، أو (مبين) ما يجب أن يحذر عنه •

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ عطف على الأمر ، وهو نهى عن الإشراك صريحاً على نحو وحدوه ولا تشركوا ، ومن الأذكار المأثورة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وكرر قوله تعالى :

﴿إِنِّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥١﴾ لاتصال الأول بالأمر واتصال هذا بالنهى والغرض من كل ذلك الحث على التوحيد والمبالغة فى النصيحة ، وقيل : إن المراد بقوله تعالى : (فقرأوا إلى الله) الأمر بالإيمان وملازمة الطاعة ، وذكر (ولا تجعلوا) الخ ، إفراداً لأعظم ما يجب أن يفر منه ، و (إِنِّ لَكُمْ) الخ ، الأول مرتب على ترك الايمان والطاعة ، والثانى على الإشراك فهما متغايران لتغاير ما ترتب كل منهما عليه ووقع تعليلاً له ولا يخلو عن كدر ، وقال الزمخشري : فى الآية : (فقرأوا إلى) طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووجدوا ولا تشركوا به ، وكرر (إِنِّ لَكُمْ) الخ عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله تعالى إلا الجامع بينهما انتهى ، وفيه أنه لادلالة فى الآية على ذلك بوجه ثم تفسير الفرار إلى الله بما فسرهُ أيضاً لينطبق على العمل وحده غير مسلم على أنه لو سلم الانذار بترك العمل فمن أين يلزم عدم النفع ، وأهل السنة لا ينازعون فى وقوع الانذار بارتكاب المعصية ، فالمناساق إلى الذهن على تقدير كون المراد بالفرار إلى الله تعالى العبادة أنه تعالى أمرها أولاً وتوعد تاركها بالوعيد المعروف له فى الشرع وهو العذاب دون خلود ، ونهى جل شأنه ثانياً أن يشرك بعبادته سبحانه غيره وتوعد المشرك بالوعيد المعروف له وهو الخلود ، وعلى هذا يكون الوعيدان متغايرين وتكون الآية فى تقديم الأمر على النهى فيها نظير قوله تعالى : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، وقوله سبحانه : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وأين هذا بما ذكره الزمخشري عامله الله تعالى بعده •

﴿كَذَلِكَ﴾ أى الأمر مثل ذلك تقرير وتوكيد على مامر غير مرة ، ومن فصل الخطاب لأنه لما أراد سبحانه أن يستأنف قصة قولهم المختلف فى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن تقدمت عموماً أو خصوصاً فى قوله تعالى : (إنكم لفي قول مختلف) وكان قد توسط ما توسط قال سبحانه : الأمر كذلك أى مثل ما يذكروا بآتيك

خبره إشارة إلى الكلام الذي ينلوه أعنى قوله عز وجل : ﴿ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ إلى آخره فهو تفسير مأجل وهو مراد من قال: الإشارة إلى تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام وتسميتهم إياه وحاشاه ساحراً ومجنوناً ، ويعلم بما ذكر أن كذلك خبر مبتدأ محذوف ولا يجوز نصبه بآتي على أنه صفة لمصدره ، والإشارة إلى الإتيان أي (مآتي الذين من قبلهم) من رسول إتياناً مثل إتيانهم (إلا قالوا) إلخ لأن ما بعد (ما) النافية لا يعمل فيما قبلها على المشهور ، ولا يأتي مقدراً على شريطة التفسير لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً في مثل ذلك كما صرح به النحاة ، وجعله معمولاً لقالوا ، والإشارة للقول أي إلا قالوا ساحر أو مجنون قولاً مثل ذلك القول لا يجوز أيضاً على تعسفه لمكان (ما) وضمير قبلهم لقريش أي مآتي الذين من قبل قريش ﴿ مِنْ رَسُولٍ ﴾ أي رسول من رسل الله تعالى ﴿ إِلَّا قَالُوا ﴾ في حقه ﴿ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ٥٢ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو ساحر، و - أو - قيل : من الحكاية أي (إلا قالوا ساحر)، أو (قالوا مجنون) وهي لمنع الخلو وليست من المحكي ليكون مقول كل مجموع (ساحر أو مجنون) وفي البحرى للتفصيل أي قال بعض: ساحر، وقال بعض: مجنون، وقال بعض: ساحر ومجنون فجمع القائلون في الضمير ودلت - أو - على التفصيل انتهى فلا تغفل *

واستشكلت الآية بأنها تدل على أنه ما من رسول إلا كذب مع أن الرسل المقررين شريعة من قبلهم كيوشع عليه السلام لم يكذبوا وكذا آدم عليه السلام أرسل ولم يكذب . وأجاب الامام بقوله : لا نسلم أن المقرر رسول بل هو نبي على دين رسول ومن كذب رسوله فهو يكذبه أيضاً وتعقب بأن الأخبار وكذا الآيات دالة على أن المقررين رسل، وأيضاً يبقى الاستشكال بآدم عليه السلام وقد اعترف هو بأنه أرسل ولم يكذب وأجاب بعض عن الاستشكال بالمقررين بأن الآية إنما تدل على أن الرسل الذين أتوا من قبلهم كلهم قد قيل في حقهم ما قيل، ولا يدخل في عموم ذلك المقررون لأن المتبادر من إتيان الرسول قوماً مجيئه إياهم مع عدم تبليغ غيره إياهم مآتي به من قبله وذلك لم يحصل للمقرر شرع من قبله كما لا يخفى ، وعن الاستشكال بآدم عليه السلام بأن المراد - مآتي الذين من قبلهم من الامم الذين كانوا موجودين على نحو وجود هؤلاء رسول إلا قالوا - الخ ، وآدم عليه السلام لم يأت أمة كذلك إذ لم يكن حين أرسل إلا زوجته حواء ، ولعله أولى بما قيل : إن المراد من رسول من بنى آدم فلا يدخل هو عليه السلام في ذلك ، واستشكلت أيضاً بأن (إلا قالوا) يدل على أنهم كلهم كذبوا مع أنه ما من رسول إلا آمن به قوم، وأجاب الامام بأن إسناد القول إلى ضمير الجمع على إرادة الكثير بل الأكثر ، وذكر المكذب فقط لأنه الأوفق بغرض التسلية ، وأخذ منه بعضهم الجواب عن الاستشكال السابق فقال : الحكم باعتبار الغالب لأن كل أمة من الامم أتاها رسول فكذبته ليرد آدم والمقررون حيث لم يكذبوا - وفيه ما فيه - وحمل بعضهم الذين من قبلهم على الكفار ودفع به الاستشكالين - وفيه ما لا يخفى - فتأمل جميع ذلك ولا تظن انحصار الجواب فيما سمعت فأمعن النظر والله تعالى الهادي لأحسن المسالك ﴿ أَتَوْا صَوَاباً ﴾ تعجيب من إجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة أي كأن الأولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه جميعاً ، وقيل : إنكار للتواصي أي ما تواصوا به *

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ إضراب عن أن التواصي جامعهم إلى أن الجامع لهم على ذلك القول
مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه *

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة ولم تأل جهداً في البيان فأبوا إلا إباءاً
وعناداً ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤﴾ على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلوغ كل حد معهود *

﴿وَذَكَرْ﴾ آدم على فعل التذكير والموعظة ولا تدع ذلك بفلاًمر بالتذكير للدوام عليه والفعل منزل
منزلة اللازم، وجوز أن يكون المفعول محذوفاً أي فذكرهم وحذف لظهور الأمر *

﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم، أو المؤمنين بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة
وقوة في اليقين، وفي البحر يدل ظاهر الآية على الموعظة وهي منسوخة بآية السيف، وأخرج أبو داود في
ناسخه، وابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: (فتول عنهم) الخ، قال: أمره الله تعالى أن يتولى عنهم ليعذبهم
وعذر محمد ﷺ ثم قال سبحانه: (وذكر) الخ فنسختها *

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب، والضياء في المختارة، وجماعة من طريق مجاهد
عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: لما نزلت (فتول عنهم فما أنت بملوم) لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلاكة إذ
أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتولى عنا فنزلت (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت أنفسنا،
وعن قتادة أنهم ظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأمر الله تعالى (وذكر) الخ *

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن خلقهم
لا ذكر سبحانه وتعالى بما يدعوه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكرو والاعتاظ، ولعل
قديم الجن في الذكر لتقدم خلقهم على خلق الانس في الوجود، والظاهر أن المراد من يقابلون بهم وبالملائكة
عليهم السلام ولم يذكر هؤلاء قيل: لأن الأمر فيهم مسلم، أو لأن الآية سبقت لبيان صنيع المكذبين حيث
تركوا عبادة الله تعالى وقد خلقوا لها؛ وهذا الترك مما لا يكون فيهم بل هم عباد مكرمون لا يستكبرون عن عبادة
عز وجل، وقيل: لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس مبعوثاً إليهم فليس ذكرهم في هذا الحكم بما يدعوه عليه
الصلاة والسلام إلى تذكيرهم، وأنت تعلم أن الأصح عموم البعثة فالأولى ما قيل بدله لاستغنائهم عن التذكير
والموعظة، وقيل: المراد بالجن ما يتناولهم لأنه من الاستتار وهم مستترون عن الانس، وقيل: لا يصح ذكرهم
في حيز الخلق لأنهم كالأرواح من عالم الأمر المقابل لعالم الخلق، وقد أشير إليها بقوله تعالى: (له الخلق والأمر)
ورد بقوله سبحانه: (خالق كل شيء وله الخلق والأمر) ليس كما ظن والعبادة غاية التذلل، والظاهر أن المراد
بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات وهي الدلالة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق
فاعل حكيم، ويعبر عنها بالسجود كما في قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) وأل في الجن والانس على
المشهور للاستغراق، واللام قيل: للغاية والعبادة وإن لم تكن غاية مطلوبة من الخلق لقيام الدليل على أنه
عز وجل لم يخلق الجن والانس لاجلها أي لارادتها منهم إذ لو أرادها سبحانه منهم لم يتخلف ذلك لاستلزام

الإرادة الإلهية للمراد كما بين في الاصول مع أن التخلف محقق بالمشاهدة، وأيضا ظاهر قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) يدل على إرادة المعاصي من الكثير ليستحقوا بها جهنم فينا في إرادة العبادة لكن لما كان خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب سبحانه فيهم عقولا وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد جعل خلقهم مغيا بها مبالغة بتشبيه المعدل الشيء بالغاية ومثله شائع في العرف، ألا تراهم يقولون للقوى جسمه: هو مخلوق للمصارعة، وللبقر: هي مخلوقة للحرث *

وفي الكشف أن أفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية واللام فيها موضوعها ذلك، وأما الإرادة فليست من مقتضى اللام إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه وعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل فانهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليها وجعلت تلك غاية كالية لخلقهم، وتعوق بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وهذا معنى مكشوف انتهى. فتأمل، وقيل: المراد بالعبادة التذلل والخضوع بالتسخير، وظاهر أن الكل عابدون إياه تعالى بذلك المعنى لا فرق بين مؤمن، وكافر، وبر، وفاجر، ونحوه ما قيل: المعنى ما خلقت الجن والانس إلا ليلذوا لقضائي، وقيل: المعنى ما خلقتهم إلا ليكونوا عبادا لي، ويراد بالعباد العبد بالابحاد وعموم الوصف عليه ظاهر لقوله تعالى: (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) لكن قيل عليه: إن عبد بمعنى صار عبداً ليس من اللغة في شيء، وقيل: العبادة بمعنى التوحيد بناءً على ما روى عن ابن عباس أن كل عبادة في القرآن فهو توحيد فالكل يوحده تعالى في الآخرة أماتو حيد المؤمن في الدنيا هناك فظاهر، وأما توحيد المشرك فيدل عليه قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وعليه قول من قال: لا يدخل النار كافر، أو المراد كما قال السكبي: إن المؤمن يوحده في الشدة والرخاء والكافر يوحده سبحانه في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، كما قال عز وجل: (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ولا يخفى بعد ذلك عن الظاهر والسياق، ونقل عن علي كرم الله تعالى وجهه، وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما خلقهم إلا لأمرهم وأدعاهم للعبادة فهو كقوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله) فذكر العبادة المسببة شرعاً عن الأمر أو اللازمة له، وأريد سببها أو ملزومها فهو مجاز مرسل، وأنت تعلم أن أمر كل من أفراد الجن وكل من أفراد الانس غير متحقق لاسيما إذا كان غير المكلفين كالأطفال الذين يموتون قبل زمان التكليف داخلين في العموم، وقال مجاهد: إن معنى (ليعبدون) ليعرفون وهو مجاز مرسل أيضاً من إطلاق اسم السبب على المسبب على ما في الإرشاد، ولعل السر فيه التنبيه على أن الاعتبار هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كعرفة الفلاسفة قيل: وهو حسن لأنهم لو لم يخلقهم عز وجل لم يعرف وجوده وتوحيده سبحانه وتعالى، وقد جاء «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وتعقب بأن المعرفة الصحيحة لم تتحقق في كل بل بعض قد أنكر وجوده عز وجل كالطبيين اليوم فلا بد من القول السابق في توجيه التعليل ثم الخبر بهذا اللفظ ذكره سعد الدين سعيد الفرغاني في منتهى المدارك، وذكر غيره كالشيخ الأكبر في الباب المائة والثمانية والتسعين من الفتوحات بلفظ آخر وتعقبه الحفاظ فقال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر، وغيرهما: ومن

يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلاً لكن يقول : إنه ثابت كشفاً ، وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الباب المذكور ، والتصحيح الكشفي شئشئة لهم ، ومع ذلك فيه إشكال معنى إلا أنه أجيب عنه ثلاث أجوبة ستأتي إن شاء الله تعالى ، وقيل : أل في (الجن والانس) للعهد ، والمراد بهم المؤمنون لقوله تعالى : (ولقد ذرأنا) الآية أى بناءً على أن اللام فيها ليست للعاقبة ، ونسب هذا القول لزيد بن أسلم . وسفيان ، وأيد بقوله تعالى قبل : (فان الذكرى تنفع المؤمنين) وأيده في البحر برواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « وما خلقت الجن والانس من المؤمنين » ورواها بعضهم قراءة لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، ومن الناس من جعلها للجنس ، وقال : يكفي في ثبوت الحكم له ثبوته لبعض أفرادها وهو هنا المؤمنون الطائعون وهو في المآل متحد مع سابقه ، ولا إشكال على ذلك في جعل اللام للغاية المطلوبة حقيقة وكذا في جعلها للغرض عند من يجوز تعليل أفعاله تعالى بالأغراض مع بقاء الغنى الذاتي وعدم الاستكمال بالغير - كما ذهب اليه كثير من السلف ، والمحدثين - وقد سمعت أن منهم من يقسم الارادة إلى شرعية تتعلق بالطاعات وتكونية تتعلق بالمعاصي وغيرها ، وعليه يجوز أن يبقى (الجن والانس) على شمولها للعاصين ، ويقال : إن العبادة مرادة منهم أيضاً لكن بالارادة الشرعية إلا أنه لا يتم إلا إذا كانت هذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد كالارادة التفويضية القائل بها المعتزلة •

هذا وإذا أحطت خبراً بالأقوال في تفسير هذه الآية هان عليك دفع ما يترامى من المنافاة بينها وبين قوله تعالى : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) على تقدير كون الإشارة إلى الاختلاف بالتزام بعض هاتيك الأقوال فيها ، ودفعه بعضهم بكون اللام في تلك الآية للعاقبة والذي ينساق إلى الذهن أن الحصر لإضافي أى خلقتهم للعبادة دون ضدها أو دون طلب الرزق والاطعام على ما يشير اليه كلام بعضهم أخذاً من تعقيب ذلك بقوله سبحانه : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۖ هُوَ لِيَأْنُ أَنْ شَأْنُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ مَعَ عِبَادِهِ لَيْسَ كَشَأْنِ السَّادَةِ مَعَ عِبِيدِهِمْ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَمْلِكُونَهُمْ لِيَسْتَعِينُوا بِهِمْ فِي تَحْصِيلِ مَعَايِشِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ ، وَمَالِكُ مَلَائِكَةِ الْعَبِيدِ نَفِي عَزٍّ وَجَلٍّ أَنْ يَكُونَ مَلِكُهُ إِيَّاهُمْ لِذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ سَبْحَانَهُ : مَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعِينَ بِهِمْ كَمَا يَسْتَعِينَ مَلَائِكَةُ الْعَبِيدِ بِعِبِيدِهِمْ فَلْيَسْتَغْلَوْا بِمَا خَلَقُوا لَهُ مِنْ عِبَادَتِي ، وَذَكَرَ الْإِمَامُ فِيهِ وَجْهَيْنِ : الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ لِدَفْعِ تَوْهَمِ الْحَاجَةِ مِنْ خَلْقِهِمْ لِلْعِبَادَةِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِتَقْرِيرِ كَوْنِهِمْ مَخْلُوقِينَ لَهَا ، وَبَيْنَ هَذَا بَأْنَ الْفِعْلِ فِي الْعَرْفِ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ مَنَفْعَةٍ لَكِنِ الْعَبِيدُ عَلَى قَسَمَيْنِ : قَسَمٌ يَتَّخِذُونَ لِإِظْهَارِ الْعِظَمَةِ بِالْمَثُولِ بَيْنَ أَيْدِي سَادَاتِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ كَعَبِيدِ الْمُلُوكِ ، وَقَسَمٌ يَتَّخِذُونَ لِلاتِّفَاعِ بِهِمْ فِي تَحْصِيلِ الْأَرْزَاقِ أَوْ لِأَصْلَاحِهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ سَبْحَانَهُ : إِنِّي خَلَقْتُهُمْ وَلَا بَدَ فِيهِمْ مِنْ مَنَفْعَةٍ فَلْيَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ هَلْ هُمْ مِنْ قَبِيلِ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُمْ تَحْصِيلَ رِزْقٍ وَلَيْسُوا كَذَلِكَ فَمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ، وَهَلْ هُمْ عَنْ يَطْلُبَ مِنْهُمْ إِصْلَاحَ قُوتٍ كَالطَّبَاحِ وَمَنْ يَقْرَبُ الطَّعَامَ ؟ وَلَيْسُوا كَذَلِكَ (فَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) فَإِذَا هُمْ عَبِيدُ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتْرَكُوا التَّعْظِيمَ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْنَى مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ لِي لِمَكَانِ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ ، وَذَكَرَ فِي الْآيَةِ لَطَائِفَ : الْأَوَّلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ كَرَّرَ نَفْيَ الْإِرَادَتَيْنِ لِأَنَّ السَّيِّدَ قَدْ يَطْلُبُ مِنَ الْعَبِيدِ التَّكْسِبَ لَهُ وَهُوَ طَلَبُ الرِّزْقِ وَقَدْ لَا يَطْلُبُ حَيْثُ كَانَ لَهُ مَالٌ وَافِرٌ لَكِنِّهِ يَطْلُبُ قَضَاءَ

حواجه من حفظ المال وإحضار الطعام من ماله بين يديه، ففي الإرادة الأولى لا يستلزم في الإرادة الثانية فكرر النهي على معنى لا أريد هذا ولا أريد ذلك، الثانية أن ترتيب النفيين كما تضمنه النظم الجليل من باب الترقى في بيان غناه عز وجل كأنه قال سبحانه: لا أطلب منهم رزقاً ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم الطعام بين يدي السيد فإن ذلك أمر كثيراً ما يطلب من العبيد إذا كان التكسب لا يطلب منهم، الثالثة أنه سبحانه قال: ما أريد منهم من رزق دون ما أريد منهم أن يرزقون لأن التكسب لطلب العين لا الفعل، وقال سبحانه: (ما أريد أن يطعمون) دون ما أريد من طعام لأن ذلك الإشارة إلى الاستغناء عما يفعله العبد الغير المأمور بالتكسب كعبد وافر المال والحاجة إليه للفعل نفسه، الرابعة أنه جل وعلا خص الإطعام بالذكر لأن أدنى درجات الاستعانة أن يستعين السيد بعبد في تهيئة أمر الطعام ونفي الأدنى يتبعه نفي الأعلى بطريق الأولى فكأنه قيل: ما أريد منهم من عين ولا عمل، الخامسة أن (ما) لنفي الحال إلا أن المراد به الدنيا وتعرض له دون نفي الاستقبال لأن من المعلوم البين أن العبد بعد موته لا يصلح أن يطلب منه رزق أو إطعام انتهى، فتأمل *

ويفهم من ظاهر كلام الزمخشري أن المعنى ما أريد منهم من رزق لي ولهم، وفي البحر ما أريد منهم من رزق أي أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أي أن يطعموا خلقه فهو على حذف مضاف قاله ابن عباس انتهى، ونحوه ما قيل: المعنى ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أريد أن يطعموه، وأسند الإطعام إلى نفسه سبحانه لأن الخالق كلهم عيال الله تعالى. ومن أطعم عيال أحد فكأنما أطعمه، وفي الحديث «يا عبدي مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني» فانه كما يدل عليه آخره على معنى مرض عبدي فلم تعده وجاع فلم تطعمه، وقيل: الآية مقدرة بقل فتكون بمعنى قوله سبحانه: (قل لا أسألكم عليه أجراً) والغية فيها رعاية للحكاية إذ في مثل ذلك يجوز الأمران الغيبة والخطاب، وقد قرئ بهما في قوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون)، وقيل: المراد قل لهم وفي حقهم فتلائمه الغيبة في (منهم) و (يطعمون) ولا ينافي ذلك قراءة - أني أنا الرزاق - فيما بعده لانه حينئذ تعليل للامر بالقول، أو الاتهام لعدم الإرادة، نعم لاشك في أنه قول بعيد جداً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الذي يرزق كل مفتقر إلى الرزق لا غيره سبحانه استقلالاً، أو اشتراكاً ويفهم من ذلك استغناؤه عز وجل عن الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أي القدرة ﴿الْمَتِينُ ٥٨﴾ شديد القوة، والجملة تعليل لعدم الإرادة قال الامام: كونه تعالى هو الرزاق ناظر إلى عدم طلب الرزق لأن من يطلبه يكون فقيراً محتاجاً، وكونه عز وجل هو ذو القوة المتين ناظر إلى عدم طلب العمل المراد من قوله سبحانه: (وما أريد أن يطعمون) لأن من يطلبه يكون عاجزاً لا قوة له فكأنه قيل: ما أريد منهم من رزق لأنني أنا الرزاق وما أريد منهم من عمل لأنني قوي متين، وكان الظاهر - أني أنا الرزاق - كما جاء في قراءة له ﷺ لكن التفت إلى الغيبة، والتعبير بالاسم الجليل لاشتهاره بمعنى المعبودية فيكون في ذلك إشعار بعلّة الحكم ولتخرج الآية مخرج المثل كما قيل ذلك في قوله تعالى: (إن الباطل كان زهوقاً) والتعبير به على القول بتقدير قل فيما تقدم هو الظاهر، وتحتاج القراءة الأخرى إلى ما ذكرناه آنفاً، وآثر سبحانه ذو القوة على القوى قيل: لأن في (ذو) كما قال ابن حجر الهيتمي وغيره تعظيم ما أضيفت إليه، والموصوف بها والمقام يقتضيه ولذا جئ

بالميتين بعد ولم يكتف به عن الوصف بالقوة ؛ وقال الامام : لما كان المقصود تقرير ما تقدم من عدم إرادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير جئ بوصف الرزق على صيغة المبالغة لأنه بدونها لا يكفي في تقرير عدم إرادة الرزق وبوصف القوة بما لا مبالغة فيه لكفايته في تقرير عدم الاستعانة فان من له قوة دون الغاية لا يستعين بغيره لكن لما لم يدل ذو القوة على أكثر من أن له تعالى قوة (ما) زيد الوصف بالميتين وهو الذي له ثبات لا يتزلزل ، ثم قال : إن القوى أباح من ذى القوة والعزة أكمل من المتانة وقد قرن الاكمل بالاكمل وما دونه بما دونه في قوله تعالى : (ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) وفي قوله تعالى : (إن الله هو الرزاق) الخ لما اقتضى المقام ذلك ، وقد أطال الكلام في هذا المقام وما أظنه يصفو عن كدر ، وقرأ ابن محيصن - الرزاق - بزنة الفاعل ، وقرأ الاعمش - وابن وثاب - المتين - بالجر ، وخرج على أنه صفة القوة ، وجاز ذلك مع تذكيره لتأويلها بالاقتدار أو لكونه على ذمة المصادر التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لأجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول ، وأجاز أبو الفتح أن يكون صفة - لذو - وجر على الجوار - كقولهم هذا جحر ضب خرب - وضعف ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أى إذا ثبت أن الله تعالى ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه وأنه سبحانه ما يريد منهم من رزق إلى آخر ما تقدم فان للذين ظلموا أنفسهم باستغلالهم بغير ما خلقوا له من العباداة وإشراكهم بالله عز وجل وتكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام وهم أهل مكة وأضرابهم من كفار العرب ﴿ ذُنُوبًا ﴾ أى نصيباً من العذاب ﴿ مِّثْلَ ذُنُوبٍ ﴾ أى نصيب ﴿ أَصْحَابِهِمْ ﴾ أى نظرائهم من الامم السالفة ، وأصل الذنوب الدلو العظيمة الممتلئة ماء ، أو القرية من الامتلاء ، قال الجوهري : ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة ، وهى تذكر وتؤنث وجمعها أذنب وذنائب فاستعيرت للنصيب مطلقاً شراً كان كالنصيب من العذاب فى الآية ، أو خيراً كما فى العطاء فى قول علقمة بن عبدة التميمي يمدح الحرث بن أبي شمر الغساني وكان أسراً أخاه شاساً يوم عين أباح : وفى كل حى قد خبطت بنعمة - فحق لشأس من نذاك (ذنوب)

يروى أن الحرث لما سمع هذا البيت قال نعم وأذنبه (١) ومن استعمالها فى النصيب قول الآخر :

لعمرك والمنايا طارقات لكل بنى أب منها (ذنوب)

وهو استعمال شائع ، وفى الكشف هذا تمثيل أصله فى السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الراجز :

إنا إذا نازلنا غريب له (ذنوب) ولنا (ذنوب) وإن أيتم فلنا القليب

﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ٥٩ ﴾ أى لا يطلبوا منى أن أعجل فى الاتيان به يقال استعجله أى حثه على العجلة وطلبها منه ، ويقال : استعجلت كذا أن طلبت وقوعه بالعجلة ، ومنه قوله تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وهو على ما فى الارشاد جواب لقولهم : (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

(١) « شأس » هو جد علقمة بن عبيدة مدح بهذه القصيدة الحرث بن أبي شمر الغساني لما كان عنده أسيراً طامراً باطلاته وجميع أسرى بني تميم و« الخابط » الطالب ، ومعنى البيت أنت الذى أنعمت على كل حى بنعمة واستحق نذاك ذنوباً اه إدارة الطباعة

أى فويل لهم، ووضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلّة الحكم، والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء التي قبلها لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك، و (من) في قوله سبحانه: ﴿مَنْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾ للتعليل؛ والعائد على الموصول محذوف أى يوعدونه أو يوعدون به على قول، والمراد بذلك اليوم قيل: يوم بدر، ورجح بأنه الأوفق لما قبله من حيث أنه ذنوب من العذاب الدنيوى، وقيل: يوم القيامة، ورجح بأنه الأنسب لما في صدر السورة الكريمة الآتية، والله تعالى أعلم.

ومما قاله بعض أهل الإشارة في بعض الآيات: (والذاريات ذرواً) إشارة إلى الرياح التي تحمل أنين المشتاقين المتعرضين لنفحات الألفاف إلى ساحات العزة، ثم تأتى بنسيم نفحات الحق إلى مشام المحبين فيجدون راحة قامن غلبات اللوعة (فالحمالات وقرأ) إشارة إلى سحائب أطاف الألوهية تحمل أمطار مراحم الربوبية فتمطر على قلوب الصديقين (فالجاريات يسراً) إشارة إلى سفن أفئدة المحبين تجرى برياح العناية في بحر التوحيد على أيسر حال (فالمقسمات أمراً) إشارة إلى الملائكة النازلين من حظائر القدس بالبشائر والمعارف على قلوب أهل الاستقامة، وإن شئت جعلت الكل إشارة إلى أنواع رياح العناية فمنها ما يطير بالقلوب في جو الغيوب، وقد قال العاشق المجازى:

خدا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه
وإيا كما ذاك النسيم فانه متى هب كان الوجد أيسر خطبه

ومنها (الحمالات وقرأ) دواء قلوب العاشقين كما قيل:

أيا جبلى نعمان بالله خلياً نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أو تشفى منى حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها
فان الصبا ربيع إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

ومنها (الجاريات) من مهاب حضرات القدس إلى أفئدة أهل الانس بسهولة لتنعش قلوبهم، ومنها (المقسمات) ما جاءت به مما عقب بها من آثار الحضرة الإلهية على نفوس المستعدين حسب استعداداتهم وإن شئت قلت غير ذلك فالباب واسع (والسماء ذات الحبك) إشارة إلى سماء القلب فانها ذات طرائق إلى الله عز وجل (إن المتقين في جنات وعيون) إشارة إلى جنات الوصال وعيون الحكمة (وبالأسحار هم يستغفرون) يطلبون غفر أى ستر وجودهم بوجود محبوبهم، أو يطلبون غفران ذنب رؤيّة عبادتهم من أول الليل إلى السحر (ومن كل شيء خلقنا زوجين) إشارة إلى أن جميع ما يرى بارزاً من الموجودات ليس واحداً وحدة حقيقية بل هو مركب ولا أقل من كونه مركباً من الامكان، وشيء آخر فليس الواحد الحقيقي إلا الله تعالى الذي حقيقته سبحانه إنيته (فقروا إلى الله) بترك ما سواه عز وجل (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى ليعرفون، وهو عندهم إشارة إلى ما صححوه كشفاً من روايته صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه سبحانه أنه قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وفي كتاب الأنوار السنية للسيد نور الدين السمهودى بلفظ «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت هذا الخلق ليعرفونى في عرفونى» وفي المقاصد الحسنة للسخاوى بلفظ «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بى

فعر فوني « إلى غير ذلك، وهو مشكل لأن الخفاء أمر نسبي فلا بد فيه من مخفى ومخفى عنه فحيث لم يكن خلق لم يكن مخفى عنه فلا يتحقق الخفاء، وأجيب أولاً بأن الخفاء عن الأعيان الثابتة لأن الأشياء في ثبوتها لا إدراك لها وجودياً فكان الله سبحانه مخفياً عنها غير معروف لها معرفة وجودية - فأحب أن يعرف م رفة حادثة من موجود حادث - فخلق الخلق لأن معرفتهم الوجودية فرع وجودهم فتعرف سبحانه إليهم بأنواع التجليات على حسب تفاوت الاستعدادات فعرفوا أنفسهم بالتجليات فعرفوا الله تعالى من ذلك فيه سبحانه عرفوه، وثانياً بأن المراد بالخفاء لازمه وهو عدم معرفة أحد به جل وعلا ، ويؤيده ما في لفظ السخاوى من قوله: لا أعرف بدل مخفياً، وثالثاً بأن مخفياً بمعنى ظاهراً من أخفاه أى أظهره على أن الهمزة للازالة أى أزال خفاه، وترتيب قوله سبحانه: « فأحييت أن أعرف » الخ عليه باعتبار أن الظهور متى كان قوياً أوجب الجهالة بحال الظاهر فخلق سبحانه الخلق ليكونوا كالحجاب فيتمكن معه من المعرفة ، ألا يرى أن الشمس لشدة ظهورها لا تستطيع أكثر الابصار الوقوف على حالها إلا بواسطة وضع بعض الحجب بينها وبينها وهو كما ترى لا يخلو عن بحث ، وأما إطلاق الكنز عليه عز وجل فقد ورد ، روى الديلمي في مسنده عن أنس مرفوعاً كنز المؤمن ربه أى فان منه سبحانه كل ما يناله من أمر نفيس في الدارين ، والشيخ محي الدين قدس سره ذكر في معنى - الكنز - غير ذلك فقال في الباب الثلاثمائة والثمانية والخمسين من فتوحاته : لولم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أغنى العلم الحادث في قوله : « كنت كنزاً » الخ فجعل نفسه كنزاً ، والكنز لا يكون إلا مكتنزاً في شئ فلم يكن كنز الحق نفسه إلا في صورة الانسان الكامل في شئية ثبوته هناك كان الحق مكتنوزاً فلما لبس الحق الانسان ثوب شئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الانسان الكامل بوجوده وعلم أنه سبحانه كان مكتنوزاً فيه في شئية ثبوته وهو لا يشعر به انتهى ، وهو منطق الطير الذي لانعرفه نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى بمنه وكرمه .

﴿ سورة الطور ﴾

﴿ مكية ﴾ ياروى عن ابن عباس . وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ولم تقف على استثناء شئ منها، وهى تسع وأربعون آية في الكوفي والشامى ، وثمان وأربعون في البصرى ، وسبع وأربعون في الحجازى ، ومناسبة أولها لآخر ما قبلها اشتغال كل على الوعيد ، وقال الجلال السيوطى : وجه وضعها بعد الذاريات تشابههما فى المطلع والمقطع فان فى مطلع كل منهما صفة حال المتقين ، وفى مقطع كل منهما صفة حال الكفار ، ولا يخفى ما بين السورتين الكريمتين من الاشتراك فى غير ذلك .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّور ١ ﴾ الطور اسم لكل جبل على ما قيل : فى اللغة العربية عند الجمهور ، وفى اللغة السريانية عند بعض ، ورواه ابن المنذر . وابن جرير عن مجاهد ، والمراد به هنا (طور سينين) الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده ، ويقال له : طور سيناء أيضاً ، والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة ، وقال أبو حيان فى تفسير سورة (والتين) : لم يختلف فى طور سيناء أنه جبل بالشام وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وقال فى تفسيره : هذه السورة فى الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال نوف البكالى : إنه الذى أقسم الله سبحانه به لفضله على الجبال ، قيل : وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام انتهى فلا تغفل ، وحكى الراغب أنه جبل يحيط بالارض ولا يصح عندى ، وقيل : جبل من جبال

الجنة، وروى فيه ابن مردويه عن أبي هريرة، وعن كثير بن عبدالله حديثاً مرفوعاً ولاأظن صحته، واستظهر أبو حيان أن المراد الجنس لا جبل معين، وروى ذلك عن مجاهد. والكلي، والذي أعول عليه ما قدمته *

﴿ وَكُتِبَ مَسْطُور ٢ ﴾ مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة، والمراد به على ما قال الفراء الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال ويعطاه العبد يوم القيامة يمينه أو بشماله وهو المذكور في قوله تعالى: (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً)، وقال الكلبي: هو التوراة، وقيل: هي والانجيل. والزبور وقيل: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ، وفي البحر لا ينبغي أن يحمل شيء من هذه الاقوال على التعيين وإنما تورده على الاحتمال، والتشكيك قيل: للأفراد نوعاً، وذلك على القول بتعددته، أو للأفراد شخصاً، وذلك على القول بالمقابل، وفائدته الدلالة على اختصاصه من جنس الكتب بأمر يتميز به عن سائرهما، والاولى على وجهي التشكيك إذا حمل على أحد الكتابين أعني القرآن والتوراة أن يكون من باب (ليجزى قوماً) ففي التشكيك كمال التعريف، والتنبية على أن ذلك الكتاب لا ينبغي نكر أو عرف، ومن هذا القبيل التشكيك في قوله تعالى:

﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُور ٣ ﴾ والرق بالفتح ويكسر، وبه قرأ أبو السمال جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق وأصله على ما في مجمع البيان من اللعان يقال: ترقق الشيء إذا لمع. أو من الرقة ضد الصفاقة على ما قيل، وقد تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها. والمنشور المبسوط والوصف به قيل: للإشارة إلى صحة الكتاب وسلامته من الخطأ حيث جعل معرضاً لنظر كل ناظر آتياً عليه من الاعتراض لسلامته عما يوجب، وقيل: هو لبيان حاله التي تضمنتها الآية المذكورة آنفاً بناءً على أن المراد به صحائف الاعمال وليبان أنه ظاهر للملائكة عليهم السلام يرجعون اليه بسهولة في أهولهم بناءً على أنه اللوح، أو للناس لا يمنعهم مانع عن مطالعته والاهتداء بهديه بناءً على الأقوال الأخرى، وفي البحر (منشور) منسوخ ما بين المشرق والمغرب ﴿ وَالْبَيْتُ الْمَعْمُور ٤ ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة كما أخرج ذلك ابن جرير. وابن المنذر. والحاكم وصححه. وابن مردويه. والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً *

وأخرج عبد الرزاق. وجماعة عن أبي الطفيل أن ابن السكوء سأل علياً كرم الله تعالى وجهه فقال: ذلك الضَّرَّاحُ يُدْتَفَقُ فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك الخ، وجاء في رواية عنه كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقط عليها *

وروى عن مجاهد. وقتادة. وابن زيد أن في كل سماء بحيال الكعبة بيتاً حرمة كرمته وعمارته بكثرة الواردين عليه من الملائكة عليهم السلام كما سمعت، وقال الحسن: هو الكعبة يعمره الله تعالى كل سنة بستائة ألف من الناس فان نقصوا أتم سبحانه العدد من الملائكة، وأنت تعلم أن من المجاز المشهور - مكان معمور - بمعنى مأهول مسكون تحمل الناس في محل هو فيه، فعمارة الكعبة بالمجاورين عندها وبمجاهاصيح خبر الحسن المذكور

أم لا ﴿ وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوع ٥ ﴾ أي السماء كما رواه جماعة، وصححه الحاكم عن الامير كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة، وأخرجه أبو الشيخ عن الربيع بن أنس، وعليه لا بأس في تفسير البيت المعمور بالسماء كما روى عن مجاهد، وعمارتهما بالملائكة أيضاً فما فيها موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد

أو قائم ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ٦﴾ أى الموقد ناراً

أخرج ابن جرير : وابن المنذر . وابن أبى حاتم . وأبو الشيخ فى العظمة عن سعيد بن المسيب قال : قال على كرم الله تعالى وجهه لرجل من اليهود : أين موضع النار فى كتابكم ؟ قال : البحر فقال كرم الله تعالى وجهه : ما أراه إلا صادقا ، وقرأ (والبحر المسجور) (وإذا البحار سجرت) وبذلك قال مجاهد . وشمر بن عطية . والضحاك . ومحمد بن كعب . والآخرش ، وقال قتادة : المسجور المملوء يقال : سجره أى ملأه ، والمراد به عند جمع البحر المحيط ، وقيل : بحر فى السماء تحت العرش ، وأخرج ذلك ابن أبى حاتم وغيره عن على كرم الله تعالى وجهه ، وابن جرير عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، وفى البحر إنهما قالاً فيه ماء غليظ ، ويقال له : بحر الحياة يطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبئون فى قبورهم ، وأخرج أبو الشيخ عن الربيع أنه الملاء الأعلى الذى تحت العرش وكأنه أراد به الفضاء الواسع المملوء ملائكة ، وعن ابن عباس (المسجور) الذى ذهب ماؤه ، وروى ذو الرمة الشاعر ، وليس له كما قيل حديث غير هذا عن الخبر قال : خرجت أمة لتستقى فقالت : إن الحوض مسجور أى فارغ فيكون من الاضداد ، وحمل كلامه رضى الله تعالى عنه على إرادة البحر المعروف ، وأن ذهب ماؤه يوم القيامة ، وفى رواية عنه أنه فسره بالمحبوس ، ومنه ساجور الكلب وهى القلادة التى تمسكه وكأنه عنى المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع الارض ، أو يفيض فتبقى الارض خالية منه ، وقيل : (المسجور) المختلط ، وهو نحو قولهم للخليل المخالط : سجير ، وجعله الراغب من سجرت التنوير لأنه سجير فى مودة صاحبه ، والمراد بهذا الاختلاط تلاقي البحار بمياهها واختلاط بعضها ببعض ، وعن الربيع اختلاط عذبا بملحها ، وقيل : اختلاطها بحيوانات الماء ، وقيل : المفجور أخذاً من قوله تعالى : (وإذا البحار فجرت) ويحتمله ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس من تفسيره بالمرسل ، وإذا اعتبر هذا مع ما تقدم عنه آتفا من تفسيره بالمحبوس يكون من الاضداد أيضا ، وقال منبه بن سعيد : هو جهنم سميت بحراً لسعتها وتموجها ، والجمهور على أن المراد به بحر الدنيا - وبه أقول - وبأن المسجور بمعنى الموقد ، ووجه التناسب بين القرائن بعد تعيين ما سبق له الكلام لائح ، وهو ههنا إثبات تأكيد عذاب الآخرة وتحقيق كينونته ووقوعه ، فأقسم سبحانه له بأمور كلها دالة على كمال قدرته عز وجل مع كونها متعلقة بالمبدأ والمعاد ، فالطور لأنه محل مكاملة موسى عليه السلام ، ومهبط آيات البدء والمعاد يناسب حديث إثبات المعاد وكتاب الاعمال كذلك مع الايمان إلى أن إيقاع العذاب عدل منه تعالى فقد تحقق ، ودون فى (الكتاب) ما يجر اليه قبل ، (والبيت المعمور) لأنه مضاف الرسل السماوية ، ومظهر لعظمته تعالى ، ومحل لتقديسهم وتسيدهم بإياه جل وعلا ، (والسقف المرفوع) لأنه مستقرهم ومنه تنزل الآيات ، وفيه الجنة : (والبحر المسجور) لأنه محل النار ، وإذا حمل الكتاب على التوراة كان التناسب مع ما قبله حسب النظر الجليل أظهر ولم يحمله عليها كثير لزعم أن - الرق المنشور - لا يناسبها لأنها كانت فى الألواح ، ولا يخفى عليك أن شيوع الرق فيما يكتب فيه الكتاب مطلقاً يضعف هذا الزعم فى الجملة ، ثم إن المعروف أن التوراة لا يكتبها اليهود اليوم إلا فى - رق - وكأنهم أخذوا ذلك من أسلافهم ، وقال الامام : يحتمل أن تكون الحكمة فى القسم - بالطور . والبيت المعمور . والبحر المسجور - أنها أماكن خلوة لثلاثة أنبياء مع ربهم سبحانه ، أما الطور فلموسى عليه السلام وقد خاطب عنده ربه عز وجل بما خاطب ، وأما البيت المعمور فلموسى عليه وسلم وقد قال عنده : « سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لأحصى

ثُمَّ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ إِذَا مِتَّ عَلَى نَفْسِكَ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ فَلْيُونَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِيهِ : (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فَلشرفها بذلك أقسم الله تعالى بها ، وأما ذكر (الكتاب) فلأن الأنبياء كان لهم في هذه الأما كن كلام والكلام في الكتاب ، وأما ذكر السقف المرفوع فليبان رفعة البيت المعمور ليعلم عظمة شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم ذكر وجهها آخر ، ولعمري إنه لم يأت بشئ فيهما ، والواو الأولى للقسم وما بعدها على ما قال أبو حيان للعطف ، والجملة المقسم عليها قوله تعالى : (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعُ ۚ) أي لكان على شدة كأنه مهيأ في مكان مرتفع فيقع على من يحل به من الكفار ؛ وفي إضافته إلى الرب مع إضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام أمان له صلى الله تعالى عليه وسلم وإشارة إلى أن العذاب واقع بمن كذبه ، وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما - واقع - بدون لام ، وقوله تعالى : (مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ۚ) خبر ثان - لان - أوصفة (لواقع) أو هو جملة معترضة ، و (من دافع) إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ، و (من) مزيدة للتأكيد ولا يخفى ما في الكلام من تأكيد الحكم وتقريره ؛ وقد روى أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ من أول السورة إلى هنا فبكى ثم بكى حتى عيّد من وجهه وكان عشرين يوماً ، وأخرج أحمد . وسعيد بن منصور . وابن سعد عن جبير بن مطعم قال : قدمت المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأكله في أسارى بدر فدفعته إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب فسمعتة يقرأ (والطور) إلى (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فكأنما صدع قلبي ، وفي رواية فأسلت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب ، وهو لا يأتني أن يكون المراد الوقوع يوم القيامة (ومن غريب ما يحكى) أن شخصاً رأى مكتوباً في كفه خمس واوات فعبثت له بخير فسأل ابن سيرين فقال : تهيأ لما لا يسر فقال له : من أين أخذت هذا ؟ فقال : من قوله عز وجل : (والطور) إلى (إن عذاب ربك لواقع) فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أحيط بذلك الشخص ، وقوله سبحانه : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ) منصوب على الظرفية (١) وناصبه (واقع) أو (دافع) أو معنى النفي وإيهام أنه لا ينتفي دفعه في غير ذلك اليوم بناءً على اعتبار المفهوم لاضير فيه لعدم مخالفته للواقع لانه تعالى أمهلهم في الدنيا وما أمهلهم ، ومنع مكى أن يعمل فيه - واقع - ولم يذكر دليل المنع ولا دليل له فيما يظهر ، ومعنى (تمور) تضطرب كما قال ابن عباس أي ترتج وهي في مكانها ، وفي رواية عنه تشقق ، وقال مجاهد : تدور ، وأصل المور التردد في المجى والذهاب ، وقيل : التحرك في تموج ، وقيل : الجريان السريع ، ويقال للجري مطلقاً وأنشدوا للأعشى

كَأَن مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتَهَا (مورا السحابة لا ريث ولا عجل)

(وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ۚ) عن وجه الأرض فتكون هباءً منبثاً ، والإتيان بالمصدرين للايدان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أي مورا عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما (فَوَيْلٌ لِلْيَوْمِئِذِ) أي إذا وقع ذلك (٢) أو إذا كان الأمر كذا كر فويل يوم إذ يقع ذلك (لِلْمُكَذِّبِينَ ۚ) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) أي في اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب يلهون ، وأصل الخوض المشى في الماء ثم تجوز فيه عن الشروع

في كل شيء وغلب في الخوض في الباطل كالأحضار عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب *

﴿يَوْمُ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣﴾ أي يدفعون دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار ويطرحون فيها، وقرأ زيد بن علي، والسلي. وأبورجاء (يدعون) بسكون الدال وفتح العين من الدعاء فيكون (دعا) حالاً أي ينادون إليها مدعوعين (١) و (يوم) إما بدل من يوم (تمور) أو ظرف لقول مقدر محكي بقوله تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ أي فيقال لهم ذلك (يوم) الخ، ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها، وقوله تعالى:

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ تويخ وتقرير لهم حيث كانوا يسمونه سحراً كأنه قيل: كنتم تقولون للوحي الذي أنذركم بهذا سحراً أفهذا المصدق له سحر أيضاً وتقديم الخبر لأنه المقصود بالانكار والمدار للتويخ *

﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ١٥﴾ أي أم أنتم عمى عن الخبر به كما كنتم في الدنيا عمياعن الخبر والفاء مؤذنة بما ذكر وذلك لأنها لما كانت تقتضي معطوفاً عليه يصح ترتب الجملة أعني سحر هذا عليه وكانت هذه جملة وإردة تقريرا مثل هذه النار الخ لم يكن بد من تقدير ذلك على وجه يصح الترتب ويكون مدلولاً عليه من السياق فقد كنتم تقولون إلى آخره، ودل عليه قوله تعالى: (في خوض يلعبون) وقوله سبحانه: (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) وفي الكشف إن هذا نظير ما تستدل بحجة فيقول الخصم: هذا باطل فتأتي بحجة أوضح من الأولى مسكته وتقول: أباطل هذا ١٤ تعيره بالالزام بأن مقالته الأولى كانت باطلة، وفي مثله جاز أن يقدر القول على معنى أفتقول باطل هذا وأن لا يقدر لا بتناؤه على كلام الخصم وهذا أبلغ، و(أم) كما هو الظاهر منقطعة، وفي البحر لما قيل لهم: هذه النار وقفوا على الجهتين اللتين يمكن منهما دخول الشك في أنها النار وهي إما أن يكون شتم سحر يلبس ذات المرأى، وإما أن يكون في ناظر الناظر اختلال، والظاهر أنه جعل (أم) معادلة والأول أبعد مغزى *

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ أي ادخلوها وقاسوا شدائد ما فعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه *
﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي الأمران سواء عليكم في عدم النفع إذ كل لا يدفع العذاب ولا يخففه - فسواء - خبر مبتدأ محذوف وصح الإخبار به عن المتي لأنه مصدر في الأصل، وجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر وليس بذلك، وقوله تعالى: ﴿لَأَمَّا يُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان متحتم الوقوع لسبق الوعيد به وقضائه سبحانه إياه بمقتضى عدله كان الصبر وعدمه مستويين في عدم النفع *

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧﴾ شروع في ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين كما هو عادة القرآن الجليل في الترهيب والترغيب، وجوز أن يكون من جملة المقول للكفار إذ ذاك زيادة في غمهم وتنكيدهم والأول أظهر، والتنوين في الموضعين للمعظم أي في جنات عظيمة ونعيم عظيم، وجوز أن يكون للنوعية أي نوع من الجنات، ونوع من النعيم مخصوصين بهم وكونه عوضاً عن المضاف إليه أي جناتهم ونعيمهم ليس بالقوى - لا يحى -
﴿فَأَكْهِنَ﴾ متلذذين ﴿بِمَاءٍ أَتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من الاحسان، وقرئ - فكهن - بلا ألف، ونصبه في التراءتين على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور أعني في جنات الواقع خبراً لأن، وقرأ خالد - فأكهن - بالرفع على أنه

(١) الحال مقدرة لأن الدفع بعد الدعوة، وقيل: لأنها مقارنة باجراء قرب الوقوع مجرى المقارنة؛ وفيه نظر

الخبر ، وفي جنات متعلق به لكنه قدم عليه للاهتمام ، ومن أجاز تعدد الخبر أجاز أن يكون خبراً بعد خبر ﴿وَوَقَّيْهِمْ رَبَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨﴾ عطف على (في جنات) على تقدير كونه خبراً كأنه قيل : استقروا (في جنات) (ووقاهم ربهم) الخ ، أو على (أنهم) إن جعلت (ما) مصدرية أي فاكهين يأتيناهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ، ولم يجوز كثير عطفه عليه إن جعلت موصولة إذ يكون التقدير فاكهين بالذي وقاهم ربهم فلا يكون راجع إلى الموصول ، وجوز به بعض بتقدير الراجع أي وقاهم به على أن الباء للبابسة ، وفي الكشف لم يحمل على حذف الراجع لكثرة الحذف ولو درج لصاً ، والفعل من المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل وهو مسموع عند بعضهم ، ولا يخفى أنه وجه شديد أيضاً ، والمعنى عليه أسد لأن الفكاهة تلذذ يشتغل به صاحبه والتلذذ بالآتياء يحتمل التجدد باعتبار تعدد المؤثر إما بالوقاية أي على تقدير المصدرية فلا ، وأقول لعله هو المنساق إلى الذهن ، وجوز أن يكون حالاً بتقدير قد أو بدونه إما من المستكن في الخبر أو في الحال . وإمامنا فاعل آتى . أو من مفعوله . أو منهما ، وإظهار الرب في موقع الاضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل ، وقرأ أبو حيوة (وقاهم) بتشديد القاف ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلاً وشراباً هنيئاً ، أو طعاماً وشراباً هنيئاً ، فالسلام بتقدير القول ، و(هنيئاً) نصب على المصدرية لانه صفة مصدر . أو على أنه مفعول به ، وأياً ما كان فقد تنازعه الفعلان ، والهنئ كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا يعقب وخامة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩﴾ أي بسببه أو بمقابلته والباء عليهما متعلق - بكلوا واشربوا - على التنازع ، وجوز الزمخشري كونها زائدة وما بعدها فاعل هنيئاً كما في قول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراسنا ما استحل (١)

فان مافيه فاعل هنيئاً على أنه صفة في الاصل بمعنى المصدر المحذوف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال كأنه قيل : هنو لعزة المستحل من أعراسنا ، وحينئذ كما يجوز أن يجعل ما هنا فاعلا على زيادة الباء على معنى هناكم ما كنتم تعملون يجوز أن يجعل الفاعل مضمرأ راجعاً إلى الاكل أو الشرب المدلول عليه بفعله ، وفيه أن الزيادة في الفاعل لم تثبت سماعاً في السعة في غير فاعل كفي على خلاف ولا هي قياسية في مثل هذا ومع ذلك يحتاج الكلام إلى تقديره مضاف أي جزاء ما كنتم الخ ، وفيه نوع تكلف ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ نصب على الحال قال أبو البقاء : من الضمير في (كلوا) أو في (وقاهم) أو في (آتاهم) أو في (فاكهين) أو في الطرف يعني في جنات ، واستظهر أبو حيان الأخير ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير معروف ، ويجمع على أسرة وهو من السرور إذ كان لأولى النعمة ، وتسمية سرير الميت به للتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى جوار الله تعالى وخلاصه من سجن الدنيا ، وقرأ أبو السمال سرر بفتح الراء وهي لغة لكلب في المضعف فراراً من توالى ضميتين مع التضعيف •

(١) هذا البيت من قصيدة مشهورة لكثير أولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلو صكبانم احلا حيث حلت

قيل كان كثير في حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها : أغضيه فاستجبت من ذلك فقال لغضيه أو لأضربك فذنت من الحلقة فأغضبه ، وذلك أن قالت : هذا وهذا بقم الشاعر فقال ذلك .

﴿مَصْفُوفَةً﴾ بجعولة على صف وخط مستو ﴿وَزَوْجَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ أى قرناهم بهن - قاله الراغب - ثم قال : ولم يبح في القرآن زواجهن حوراً كما يقال زوجته امرأة تنبها على أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما يبين من المناكحة ، وقال الفراء : تزوجت بامرأة لغة أزد شنوءة ، والمشهور أن الزوج متعد إلى مفعول واحد بنفسه و التزويج متعد بنفسه إلى مفعولين ، وقيل : فيما هنا أن الباء لتضمين الفعل معنى القران أو الالتصاق ، واعتراض بأنه يقتضى معنى التزويج بالعقد وهو لا يناسب المقام إذ العقد لا يكون في الجنة لأنها ليست دار تكليف أو أنها للسيية والتزويج ليس بمعنى الانسكاح بل بمعنى تصيرهم زوجين زوجين أى صيرناهم كذلك بسبب حور عِين ، وقرأ عكرمة بحور عِين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل المشهور ، وقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الإيمان ، والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم ، وقوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ عطف على آمنوا ، وقيل اعتراض للتعليل ، وقوله تعالى : ﴿بِإِيمَانٍ﴾ متعلق بالاتباع أى أتبعتمهم ذريتهم بإيمان في الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء إما بنفسه بناءً على تفاوت مراتب نفس الإيمان ، وإما باعتبار عدم انضمام أعمال مثل أعمال الآباء إليه ، واعتبار هذا القيد للايدان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لإلحاقا قيل : هو حال من الذرية ، وقيل : من الضمير وتوحيته للتعظيم ، وقيل : منهما وتوحيته للتذكير والمعول عليه ما قدمنا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الدرجة . أخرج سعيد بن منصور ، وهناد . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . والحاكم . والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال : «إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية » وأخرجه البزار . وابن مردويه عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي رواية ابن مردويه . والطبراني عنه أنه قال : «إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له : إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول : يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحقهم به » وقرأ ابن عباس الآية ، وظاهر الاخبار أن المراد بالحقاقهم بهم إسكانهم معهم لا مجرد رفعهم اليهم واتصالهم بهم أحياناً ولو للزيارة . وثبوت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله عز وجل ، وما قيل : لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه ، وقد يستأنس للتخصيص بما روى عن ابن عباس إن الذين آمنوا المهاجرون والانصار ، والذرية التابعون لكن لا أظن صحته ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ أى وما نقصنا الآباء بهذا إلحاق ﴿مَنْ عَمَلَهُمْ﴾ أى من ثواب عملهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أى شيئاً بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوباتهم وتنحط درجاتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان ، وقال ابن زيد - الضمير عائد على الآباء أى وما نقصنا الآباء الملحقين من جزاء عملهم الحسن والقيح شيئاً بل فعلنا ذلك بهم بعد مجازاتهم بأعمالهم كملاً - وليس بشئ وإن قال أبو حيان يحسن هذا الاحتمال قوله تعالى : (كل امرئ بما كسب رهين) وإلى الأول ذهب ابن عباس . وابن جرير . والجمهور . والآية على ما ذهب إليه المعظم في الكبار من الذرية ، وقال منذر بن سعيد : هي في الصغار . وروى عن الخبر . والضحك أنهما قالاً : إن الله تعالى يلحق الآباء الصغار وإن لم يبلغوا زمن الإيمان بآبائهم

المؤمنين ، وجعل بإيمان عليه متعلقاً بالحقنا أى ألحقنا بسبب إيمان الآباء بهم ذريتهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع آبائهم قيل : وكان من يقول بذلك يفسر (اتبعتهم ذريتهم) بماتوا ودرجوا على أثرهم قبل أن يبلغوا الحلم ، وجوز أن يتعلق بإيمان باتبعتم على معنى اتبعوهم بهذا الوصف بأن حكم لهم به تبعاً لأبائهم فكانوا مؤمنين حكماً لصغرهم وإيمان آبائهم ، والصغير يحكم بإيمانه تبعاً لأحد أبويه المؤمن والسكك كما ترى ، وقيل : الموصول معطوف على حور ، والمعنى قرانهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور ؛ وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين ، وقوله تعالى : (واتبعتمهم) عطف على زوجانهم ، وقوله سبحانه : بإيمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل ، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم ، أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل : بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم ، وصنيع الزمخشري ظاهر في اختيار العطف على حور فقد ذكره وجهاً أول ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يتخيل ذلك أحد غير هذا الرجل ، وهو تخيل أعجمي يخالف لفهم العربي القح كائن عباس . وغيره ، وقيل عليه : إنه تعصب منه ، والانصاف أن المتبادر الاستئناف ، وإن أحسن الأوجه في الآية وأوفقه للمقام ما تقدم .

وقرأ أبو عمرو (وأبتعناهم) بقطع الهمزة وقتحها ، وإسكان التاء ، ونون بعد العين وألف بعدها أى جعلناهم تابعين لهم في الايمان ، وقرأ أيضاً ذرياتهم جمعاً نصباً ، وابن عامر كذلك رفعاً ، وقرأ ذرياتهم بكسر الذا (واتبعتمهم ذريتهم) بناء للفاعل ، ونصب ذريتهم على المفعولية ، وقرأ الحسن . وابن كثير - ألتناهم - بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم ، وعلى قراءة الجمهور من باب ضرب يضرب ، وابن هرمة ألتناهم بالمد من ألت يؤلت ، وابن مسعود . وأنى ألتناهم من لات يليت وهي قراءة طلحة . والاعمش ، ورويت عن شبل . وابن كثير ، وعن طلحة . والاعمش أيضاً - ألتناهم - بفتح اللام ، قال سهل : لا يجوز فتح اللام من غير ألف بحال وأنكر أيضاً ألتناهم بالمد ، وقال لا يروى عن أحد ولا يدل عليه تفسير ولا عربية - وليس كما قال - بل نقل أهل اللغة ألت بالمد كما قرأ هرمة ، وقرئ وما ألتناهم من وات يلت ، ومعنى السكك واحد ، وجاء ألت بمعنى غلظ يروى أن رجلاً قام إلى عمر رضى الله تعالى عنه فوعظه فقال : لا تألت على أمير المؤمنين أى لا تغلظ عليه ﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِذَا كَسَبَ ﴾ أى بكسبه وعمله ﴿ رَهْنٌ ٢١ ﴾ أى مرهون عند الله كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن مالم يؤد الدين فان كان العمل صالحاً فقد أدى لأن العمل الصالح يقبله ربه سبحانه ويصعد اليه عز وجل وإن كان غير ذلك فلا أداء فلا خلاص إذ لا يصعد اليه سبحانه غير الطيب ، ولذا قال جل وعلا : (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) فان المراد كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم * .

ووجه الاتصال على هذا أنه سبحانه لما ذكر حال المتقين وأنه عز وجل وفر عليهم ما أعده لهم من الثواب والتفضل عقب بذلك الكلام ليدل على أنهم فكوا رقابهم وخلصوها وغيرهم بقى معذباً لأنه لم يفك رقبته ، وكان موضعه من حيث الظاهر أن يكون عقيب قوله تعالى : (هو البر الرحيم) ليكون كلاماً راجعاً إلى حال الفريقين - المدعوعين . والمتقين - وإنما جعل متخللاً بين أجزئة المتقين عقيب ذكر توفير ما أعد لهم ، قال في الكشف :

ليدل على أن الخلاص من بعض أجزيتهم أيضاً ويلزم أن عدم الخلاص جزاء المقابلين من طريق الإيحاء وموقعه وقع الاعتراض تحقيقاً لتوفير ماعدد لأنه إنما يكون بعد الخلاص ، وفيه إيحاء إلى أن إلحاق الأبناء إنما كان تفضلاً على الآباء لا على الأبناء ابتداءً لأن التفضل فرع الفك وهؤلاء هم الذين فكوا فاستحقوا التفضل ، وجعله استثناءً بياناً لهذا المعنى كما فعل الطيبي بعيد ، وقيل : (رهين) فعيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت ، وفي الارشاد أنه أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ، ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شئ ، فالجملته تعليل لما قبلها ، وأنت تعلم أن فعيلاً بمعنى المفعول أسرع تبادراً إلى الذهن فاعتباره أولى ووجه الاتصال عليه أوفق وألطف كما لا يخفى •

(وَأَمَدَدْنَهُمْ بِفَكْهَةٍ وَلَحْمٍ مَّا يَشْتَهُونَ ٢٣) أى وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ النعم وقتاً فوقتاً بما يشتهون من فنون النعماء والأوان الآلاء ، وأصل المد الجمر ، ومنه المدة للوقت الممتد ثم شاع في الزيادة ، وغلب الإمداد في المحبوب ، والمد في المكروه وكونه وقتاً بعد وقت مفهوم المد نفسه (يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا) أى يتجاذبون في الجنة هم وجلساؤهم تجاذب ملاعبة كما يفعل ذلك الدماي بينهم في الدنيا لشدة سرورهم قال الاخطل :

نازعت طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

وقيل : التنازع مجاز عن التعاطي ، والكأس مؤنث سماعي كالخمر ، ولا تسمى كأساً على المشهور إلا إذا امتلأت خمراً أو كانت قرية من الامتلاء ، وقد تطلق على الخمر نفسها مجازاً لعلاقة المجاورة ، وقال الراغب : الكأس الإيحاء بما فيه من الشراب ويسمى كل واحد منهما بانفراده كأساً ، وفسرها بعضهم هنا بالإيحاء بما فيه من الخمر ، وبعضهم بالخمر ، والاول أوفق بالتجاذب ، والثاني بقوله سبحانه : (لَّا لَغْوٌ فِيهَا) أى فى شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (وَلَا تَأْتِيهِمْ) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب إلى الأثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن الدماي فى الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام ، وقرأ ابن كثير . وأبو عمرو (لا لغو) (ولا تأثم) بفتحهما (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) أى بالكأس (غُلَبَانٌ لَهُمْ) أى بمالك مختصون بهم كما يؤذن به اللام ولم يقل غلبانهم بالاضافة لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً فى الدنيا أن يكون خادماً له فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، وقيل : أولادهم الذين سبقوهم فالاختصاص بالولادة لا بالملك ، وفيه أن التعبير عنهم بالغلبان غير مناسب وكذا نسبة الخدمة إلى الأولاد لا تناسب مقام الامتان (كَانَهُمْ لَوْ لَوْ مَكْنُونٌ ٢٤) مصون فى الصدف لم تنله الايدى - كما قال ابن جبير - ووجه الشبه البياض والصفاء ، وجوز أن يراد بمكنون مخزون لانه لا يخزن إلا الحسن الغالى الثمن ، أخرج عبد الرزاق . وابن جرير . وابن المنذر عن قتادة قال : « بلغنى أنه قيل : يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف بالخدم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « والذى نفسى بيده إن فضل ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وروى « أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجى ألف يابيه لييك لييك » •

(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥) أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيكون

كل بعض سائلاً ومسئولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً ثم هذا التساؤل في الجنة كما هو الظاهر، وحكى الطبري عن ابن عباس أنه إذا بعثوا في النفخة الثانية ولا أراه يصح عنه لبعده جداً ﴿ قَالُوا ﴾ أى المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ ﴾ أى قبل هذا الحال ﴿ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۚ ﴾ ٢٦ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله عز وجل معتنين بطاعته سبحانه ، أو وجلين من العاقبة ، و (في أهلنا) قيل : يحتمل أنه كناية عن كون ذلك في الدنيا، ويحتمل أن يكون بياناً لكون إشفاقهم كان فيهم وفي أهلهم لتبعيتهم لهم في العادة ويكون قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أى بالرحمة والتوفيق ﴿ وَوَقْنَا عَذَابَ السُّمُومِ ۚ ﴾ ٢٧ أى عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة ، ووجه الشبه وإن كان في النار أقوى لكنه في ريح السموم لمشاهدته في الدنيا أعرف فلذا جعل مشبهاً به ، وقال الحسن : (السموم) اسم من أسماء جهنم عاماً لهم ولاهلهم، فالمراد ببيان مامن الله تعالى به عليهم من اتباع أهلهم لهم، وقيل : ذكر (في أهلنا) لإثبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى فإن كونهم بين أهلهم مظنة الأمن ولا أرى فيه بأساً ، نعم كون ذلك لأن السؤال عما اختصوا به من الكرامة دون أهلهم ليس بشئ ، وقيل : لعل الأولى أن يجعل ذلك إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى كما أن قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ إلى آخره إشارة إلى التعظيم لامر الله تعالى وترك العاطف يجعل الثاني بياناً للأول ادعاءً للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما للآخر ولا يخفى ما فيه ، والذي يظهر أن هذا إشارة إلى الرجاء وترك العطف لقصد تعداد ما كانوا عليه أى إنا كنا من قبل ذلك نعبد الله ونسأله الوقاية ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ ﴾ أى المحسن كما يدل عليه اشتقاقه من البر بسائر مواده لأنها ترجع إلى الاحسان - كبر في يمينه - أى صدق لأن الصدق إحسان في ذاته ويلزمه الاحسان للغير ، وأبرز الله تعالى حجة أى قبله لأن القبول إحسان وزيادة ، وأبرز فلان على أصحابه أى علام لأنه غالباً ينشأ عن الاحسان لهم فتفسيره باللطيف كما روى عن ابن عباس ، أو العالى في صفاته ، أو خالق البر ، أو الصادق فيما وعد أوليائه كما روى عن ابن جريج بعيد إلا أن يراد بعض ماصدقات ، أو غايات ذلك البر ؟ ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ الكثير الرحمة الذى إذا عبداً ثاب وإذ استل أجاب ، وقرأ أبو حيوة (ووقنا) بتشديد القاف ، والحسن . وأبو جعفر . ونافع . والكسائي (أنه) بفتح الهزمة لتقدير لأم الجر التعليلية قبلها أى لأنه ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ فأنبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل عليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكثر بما يقولون بما لاخير فيه من الإباطيل •

﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٌ ﴾ هو الذى يخبر بالغيب بضرب من الظن ، وخص الراغب الكاهن بمن يخبر بالأخبار الماضية الخفية كذلك، والعرفان بمن يخبر بالأخبار المستقبلية كذلك ، والمشهور في الكهانة الاستمداد من الجن في الإخبار عن الغيب ، والباء في (بكاهن) مزيدة للتأكيد أى ما أنت كاهن ﴿ وَلَا تَجْنُونَ ۚ ﴾ ٢٩ واختلف في باء (بنعمة) فقال أبو البقاء : للملاسة ، والجار والمجرور في موضع الحال والعامل فيه كاهن ، أو مجنون ، والتقدير ما أنت كاهن ولا مجنون ملتبساً بنعمة ربك وهى حال لازمة لأنه عليه الصلاة والسلام مازال ملتبساً بنعمة ربه عز وجل ، وقيل : للقسم فنعمة ربك مقسم به ، وجواب القسم ما علم من الكلام وهو - ما أنت بكاهن ولا مجنون - وهذا كما تقول : ما زيد والله بقائم وهو بعيد ، والإقرب عندى أن الباء للسببية

وهو متعلق بمضمون الكلام ، والمعنى اتقي عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك ، وهذا كما تقول ما أنا معسر بحمد الله تعالى وإغثائه ، والمراد الرد على قائل ذلك ، وإبطال مقاتلهم فيه عليه الصلاة والسلام وإلا فلا امتنان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانتفاء ما ذكر مع انتفائه عن أكثر الناس ، وقيل : الامتنان بانتفاء ذلك بسبب النعمة المراد بها ما أوتيته صلى الله تعالى عليه وسلم من صدق النبوة ورجاحة العقل التي لم يؤتها أحد قبله ، والقائلون بذلك هم الكفرة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون ، ومن قال كاهن : شيبة بن ربيعة ، ومن قال مجنون : عقبة بن أبي معيط ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أى بل أيقولون ﴿ شَاعِرٌ ﴾ أى هو شاعر ﴿ تَرَبَّصْ ﴾ أى ننتظر ﴿ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ٣٠ ﴾ أى الدهر ، وهو فعول من المن بمعنى القطع لأنه يقطع الأعمار وغيرها ، ومنه جبل منين أى مقطوع ، والريب مصدر رابه إذا أفلقه أريد به حوادث الدهر وصروفه لأنها تقلق النفوس وعبر عنها بالمصدر مبالغة ، وجوز أن يكون من راب عليه الدهر أى نزل ، والمراد بنزوله إهلاكه ، وتفسير المنون بالدهر مروى عن مجاهد . وعليه قول الشاعر :

(ترصد بها ريب المنون) لعلها تطلق يوماً أو يموت حليها

وبيت أبي ذؤيب

أمن (المنون وريه) يتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قيل : ظاهره ذلك ، وكذلك قول الأعشى :

أأن رأت رجلاً أعشى أضرب به (ريب المنون) ودهر متبل خبل

ولهذا أنشده الجوهري شاهداً له ، وأخرج ابن جرير . وغيره عن ابن عباس تفسيره بالموت وهو مشترك بين المعنيين فقد قال المرزوقي فى شرح بيت أبي ذؤيب المار آنفاً : المنون قد يراد به الدهر فيذكر وتكون الرواية ريبه ، وقد يراد به المنية فيؤنث ، وقد روى ريبها ، وقد يرجع له ضمير الجمع لقصد أنواع المنايا وريبها نزولها انتهى فلا تغفل ، وهو أيضاً من المن بمعنى القطع فإما قاطعة الأمانى واللذات ، ولذا قيل : المنية تقطع الأمنية ، وريب المنون عليه نزول المنية ، وجوز أن يكون بمعنى حادث الموت على أن الإضافة بيانية ، روى أن قريشاً اجتمعت فى دار الندوة وكثرت آراؤهم فيه عليه الصلاة والسلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد البار - كما قال الضحاك - تربصوا به ريب المنون فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير . والنابعة والأعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت ، وقرأ زيد بن على (يترصد) بالياء مبنياً للمفعول ، وقرئ (ريب) بالرفع على النيابة • ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا ﴾ تهكم بهم ، وتهديد لهم ﴿ فَإِنِّ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣١ ﴾ أترصد هلاككم كما تترصدون هلاكى ، وفيه عدة كريمة يأهلاهم ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ ﴾ أى عقولهم وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى - وذلك على ما قال الجاحظ - لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم وبذلك يكمل العقل وهو يكمل بالمسافة وزيادة رؤية البلاد المختلفة والاماكن المتباينة ومصاحبة ذوى الاخلاق المتفاوتة وقد حصل لهم الغرض بدون مشقة ، وقيل لعمر بن العاص : ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل ؟ فقال : تلك عقول كادها الله عز وجل أى لم يصحبها التوفيق فلذا لم يؤمنوا وكفروا - وأنا لأرى فى الآية دلالة على رجحان عقولهم -

ولعلها تدل على ضد ذلك ﴿بِهَذَا﴾ التناقص في المقال فإن السكاهن والشاعر يكونان ذا عقل تام وفطنة وقادة والمجنون مغطى عقله مخذل فكره وهذا يعرب عن أن القوم لتجيرهم وعصبيتهم وقعوا في حيص بيص حتى اضطربت عقولهم وتناقضت أقوالهم و كذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون ، وأمر الاحلام بذلك مجاز عن التأدية اليه بعلاقة السببية كما قيل ، وقيل : جعلت الاحلام آمرة على الاستعارة المكنية فتشبه الاحلام بسطان مطاع تشبيها مضمرأ في النفس ، وثبت له الامر على طريق التخيل ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٢٢﴾ مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب المحضة الخارجة عن دائرة العقول ، وقرأ مجاهد (بل هم) ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أى اختلقه من تلقاء نفسه * وقال ابن عطية : معناه قال : عن الغير أنه قاله فهو عبارة عن كذب مخصوص ، وضهير المفعول للقرآن ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٣﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل كيف لا ومارسوا الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ بمائل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٢٤﴾ فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار ، وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر ، والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ؛ ولا ريب في أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ، فالكلام ردّ الاقوال المذكورة في حقه عليه الصلاة والسلام ، والقرآن بالتحدى فاذا تحدى وعجزوا علم رد ما قالوه وصحة المدعى ، وجوز أن يكون ردّاً لزعمهم التقول خاصة فان غيره مما تقدم حتى الكهانة كما لا يخفى أظهر فساداً منه ومع ذلك إذا ظهر فساد زعم التقول ظهر فساد غيره بطريق اللزوم ، وقرأ الجحدري ، وأبو السمال بحديث مثله على الاضافة أى بحديث رجل مثل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في كونه أمياً لم يصحب أهل العلم ولا رحل عن بلده ، أو مثله في كونه واحداً منهم فلا يـُـوز أن يكون في العرب مثله في الفصاحة فليأت بمثل ما أتى به ولن يقدر على ذلك أبداً ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير مقدر وخالق ، وقال الطبري : المراد أم خلقوا من غير شئ حتى فهم لا يؤمرون ولا ينهاون كالجنادات ، وقيل : المعنى أم خلقوا من غير علة ولا غاية ثواب وعقاب فهم لذلك لا يسمعون ، و(من) عليه للسببية ، وعلى ما تقدم لا ابتداء الغاية والمعول عليه من الأقوال ما قدمنا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح له ، ويؤيده قوله سبحانه : ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ٢٥﴾ * أى الذين خلقوا أنفسهم فلذلك لا يعبدون الله عز وجل ولا يلتفتون إلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ على القولين لا يظهر حسن المقابلة ، وإرادة خلقوا أنفسهم يشعر به قوله تعالى : ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إذ لو أريد العموم لعدم ذكر المفعول لم يظهر حسن المقابلة أيضاً ، وقال ابن عطية : المراد أم الذين خلقوا الاشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خص من تلك الاشياء السموات والارض اعظمهما وشر فهمها في المخلوقات وفيه ما سمعته ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ ٢٦﴾ أى إذا استلوا من خلقكم وخلق السموات

والأرض؟ قالوا: الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فإن من عرف خالقه وأيقن به امثل أمره وانقاد له ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي خزائن رزقه تعالى ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شأوا ، ويمسكوها عن شأوا ، وقال الرماني: خزائنه تعالى مقدوراته سبحانه ، وقال ابن عطية : المعنى أم عندهم الاستغناء عن الله تعالى في جميع الأمور لان المال والصحة والعزة وغير ذلك من الأشياء من خزائن الله تعالى ، وقال الزهري : يريد بالخزائن العلم واستحسنه أبو حيان ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يعلم حاله منه ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ٣٧﴾ * الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبذوا الأمور على إرادتهم ومشيتهم فالمسيطر الغالب ، وفي معناه قول ابن عباس : المساط القاهرو هو من سيطر على كذا إذا راقبه وأقام عليه وليس مصغراً كما يتوهم ولم يأت على هذه الزنة إلا خمسة ألفاظ أربعة من الصفات ، وهي مهيمن ومسيطر ومبقر ومسيطر ، وواحد من الاسماء ، وهو مجيم راسم جبل ، وقرأ الاكثر (المضيطرون) بالصاد لمكان حرف الاستعلاء وهو الطاء ، وأشم خلف عن حمزة وخلاص عنه بخلاف الزاي ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ﴾ هو ما يتوصل به إلى الامكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب أي أم لهم سلم منصوب إلى السماء ﴿يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ أي صاعدين فيه على أن الجار والمجرور متعلق بكون خاص محذوف وقع حالا والظرفية على حقيقتها ، وقيل : هو متعلق - يستمعون - على تضمنينه معنى الصعود * وقال أبو حيان : أي يستمعون عليه أومنه إذ حروف الجر قد يستد بعضها مستد بعض ومفعول (يستمعون) محذوف أي كلام الله تعالى ، قيل : ولو نزل منزلة اللازم جاز ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعُهُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ٣٨﴾ أي بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ٣٩﴾ تسفيه لهم وتركيبك لعقولهم ، وفيه إيدان بأن من هذا رآه لا يكاد يعتد من العقلاء فضلا عن الترقى إلى عالم الملكوت وسماع كلام ذي العزة والجبروت والالتفات إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتوبيخ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي على تبليغ الرسالة وهو رجوع إلى خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم وإعراض عنهم ﴿فَهُمْ﴾ لاجل ذلك ﴿مِّنْ مَّغْرَمٍ﴾ مصدر ميمي من الغرم والغرامة وهو - كما قال الراغب - ما ينوب الانسان في ماله من ضرر لغير جنابة منه ، فالكلام بتقدير مضاف أي من التزام مغرم ، وفسره الزمخشري بالتزام الانسان ما ليس عليه فلا حاجة إلى تقدير - لكن الذي تقتضيه اللغة هو الأول - ﴿مُّتَقَلُّونَ ٤٠﴾ أي يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فَهُمْ يَكْتُوبُونَ ٤١﴾ منه ويخبرون به الناس - قاله ابن عباس - وقال ابن عطية : أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يزعمون للناس شرعاً ، وذلك عبادة الاوثان وتسبب السوائب وغير ذلك من سيرهم ، وقال قتادة : (أم عندهم الغيب) فهم يعلمون متى يموت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يتربصون به ، وفسر بعضهم (يكتبون) يحكمون ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك وبشرعك وهو ما كان منهم في حقه ﷺ بدار الندوة بما هو معلوم من السير ، وهذا من الاخبار بالغيب فان قصة دار الندوة وقعت في وقت الهجرة وكان نزول السورة قبلها كما تدل عليه الآثار ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المذكورون المريدون كيدهم عليه الصلاة والسلام ،

ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به ، وجوز أن يراد جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أولاً ﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ٤٢ ﴾ أي الذين يحق بهم كيدهم ويعود عليهم وبالله لا من أرادوا أن يكيدوه وكان وباله في حق أولئك قتلهم يوم بدر في السنة الخامسة عشر من النبوة قيل: ولذا وقعت كلمة (أم) مكررة هنا خمس عشرة مرة للإشارة لما ذكر ، ومثله على ما قال الشهاب : لا يستبعد من المعجزات القرآنية وإن كان الانتقال لمثله خفي ومناسبتة أخفى ، وجوز أن يكون المعنى هم المغلوبون في الكيد من كائنه فكذته ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه عز وجل *

﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٣ ﴾ أي عن إثرا كههم على أن ماصدرية ، أو عن شركة الذي يشركونه على أنها موصولة وقبلها مضاف مقدر والعائد محذوف ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا ﴾ قطعة فهو مفرد وقد قرئ في جميع القرآن كسفاً وكسفاً جمعاً ، وإفراداً إلا هنا فإنه على الأفراد وحده ، وتنوينه للتفخيم أي وإن يروا كسفاً عظيماً ﴿ مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾ لتعذيبهم ﴿ يَقُولُوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سَحَابٌ ﴾ أي هو سحب ﴿ مَرْكُومٌ ٤٤ ﴾ متراكم ملقى بعضه على بعض أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطنا عليهم حسباً قالوا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هو سحب متراكم يطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم ﴿ قَدَرُهُمْ ﴾ فدعهم غير مكترث بهم وهو على ما في البحر أمر موادة منسوخ بآية السيف ﴿ حَتَّى يَلْقَوا ﴾ وقرأ أبو حيوة يلقوا مضارع لقي ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ٤٥ ﴾ على البناء للفعول وهي قراءة عاصم. وابن عامر. وزيد بن علي. وأهل مكة في قول شبل بن عباد: من صعقته الصاعقة ، أو من أصعقته ، وقرأ الجمهور وأهل مكة في قول إسماعيل: يصعقون بفتح الياء العين ، والسلي بضم الياء وكسر العين من أصعق رباعياً ، والمراد بذلك اليوم يوم بدر ، وقيل : وقت النفخة الأولى فإنه يصعق فيه من في السموات ومن في الأرض ، وتعقب بأنه لا يصعق فيه إلا من كان حياً حينئذ وهؤلاء ليسوا كذلك وبأن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ أي شيئاً من الإغناء بدل من يومهم ، ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعاً بالاتفافع به وليس ذلك إلا ما دروه في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم من الكيد الذي من جملة مناصبتهم يوم بدر ، وأما النفخة الأولى فليست مما يجري في مدافعة الكيد والحيل ، وأجيب عن الأول بمنع اختصاص الصعق بالحى فالموتى أيضاً يصعقون وهم داخلون في عموم (من) وإن لم يكن صعقهم مثل صعق الأحياء من كل وجه وهو خلاف الظاهر فيحتاج إلى نقل صحيح ، وعن الثاني بأن الكلام على نهج قوله :

* على لاجب لا يهتدى بمناره * فالمعنى يوم لا يكون لهم كيد ولا إغناء وهو كثير في القرآن وباب من أبواب البلاغة والاحسان ، وقيل : هو يوم القيامة - وعليه الجمهور - وفيه بحث ، وقيل : هو يوم موتهم ، وتعقب بأن فيه ما فيه مع أنه تأباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم فلا تغفل ﴿ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ٤٦ ﴾ من جهة الغير في دفع العذاب عنهم ﴿ وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر قبل وجوز العموم وهم داخلون دخولا أولاً ﴿ عَذَابًا ﴾ آخر ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ دون ما لا قوه من القتل أي قبله وهو - كما قال مجاهد -

القحط الذي أصابهم سبع سنين *

وعن ابن عباس هو ما كان عليهم يوم بدر والفتح ، وفسر (دون ذلك) بقبل يوم القيامة بناءً على كون يومهم الذي فيه يصعقون ذلك ، وعنه أيضاً . وعن البراء بن عازب أنه عذاب القبر وهو مبنى على نحو ذلك التفسير ، وذهب إليه بعضهم بناءً على أن (دون ذلك) بمعنى وراء ذلك كما في قوله * يريك القذى من دونها وهو دونها * وإذا فسر اليوم بيوم القيامة ونحوه ، و(دون ذلك) بقبله ، وأريد العموم من الموصول فهذا العذاب عذاب القبر ، أو المصائب الدنيوية ، وفي مصحف عبدالله - دون ذلك قريباً - ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧ ﴾ إن الامر كما ذكر ، وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً ، أو لا يعلمون شيئاً . ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ يامها لهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أى في حفظنا وحراستنا ، فالعين مجاز عن الحفظ ، ويتجاوز بها أيضاً عن الحافظ وهو مجاز مشهور ، وفي الكشف هو مثل أى بحيث نراك ونكأوك ، وجمع العين هنا لإضافته إلى ضمير الجمع ووحده (ظه) لإضافته إلى ضمير الواحد ، ولوح الزخشرى - في سورة المؤمنين - إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ كأن معه من الله تعالى حفاظاً يكلؤونه بأعينهم ، وقال العلامة الطيبي : إنه أفرد هنالك لافراد الفعل وهو كلامة موسى عليه السلام ، وههنا لما كان لتبصير الحبيب على المكاييد ومشاق التكالييف والطاعات ناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل انتهى ، ومن نظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والحكيم عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، ثم إن الكلام في نظير هذا على مذهب السلف مشهور ، وقرأ أبو السمال - بأعينا - بنون مشددة ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أى قل سبحان الله ملتبساً بحمده تعالى على نعمائه الفاتئة الحصر ، والمراد سبحانه تعالى واحمده ﴿ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾ من كل مجلس قاله عطاء . ومجاهد . وابن جبير ، وقد صح من رواية أبي داود . والنسائي . وغيرهما عن أبي برزة الاسلمى « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فسئل عن ذلك فقال : كفارة لما يكون في المجلس » والآثار في ذلك كثيرة ، وقيل : حين تقوم إلى الصلاة ، أخرج أبو عبيد . وابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال : « حق على كل مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول : سبحان الله وبحمده لأن الله تعالى يقول لئن لم يكن الله تعالى عليه وسلم : (وسبح بحمد ربك حين تقوم) » وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن الضحاك أنه قال في الآية : حين تقوم إلى صلاة تقول هؤلاء الكلمات « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » وحكاه في البحر عن ابن عباس ؛ وأخرج عنه ابن مردويه أنه قال : « سبح بحمد ربك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة » وروى نحوه عن ابن السائب ، وقال زيد أسلم : « حين تقوم من القائلة والتسبيح إذا كان هو صلاة الظهر » وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَلِيلَ فَسَبِّحْهُ ﴾ أفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ﴿ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ أى وقت إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح ، وقيل : التسبيح من الليل صلاة المغرب والعشاء ، (وإدبار النجوم) ركعتا الفجر ، وعن عمر رضى الله تعالى عنه .

وعلى كرم الله تعالى وجهه . وأبى هريرة . والحسن رضى الله تعالى عنهما التسييح من الليل النوافل ، و(إدبار النجوم) ركعتا الفجر ، قرأ سالم بن أبي الجعد . والمنهال بن عمرو . ويعقوب - أدبار - بفتح الهمزة جمع دبر بمعنى عقب أى فى أعقابها إذا غربت ، أو خفيت بشعاع الشمس *

هذا ونظم الآيات من قوله تعالى : (أم يقولون شاعر) إلى قوله سبحانه : (أم لهم إله غير الله) الخ فيه غرابة ولم أر أحداً كشف عن لثامه كصاحب الكشف جزاه الله تعالى خيراً ، ولغاية حسنه - وكونه بما لا مزيد عليه - أحببت نقله بحذافيره لكن مع اختصار قائم فأقول : قال : أو ما الزمخشري إلى وجهين في ذلك في قوله تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) : أحدهما أنه حكاية قولهم المضطرب على وجهه ، والثاني أنه تدرج منه سبحانه في حكاية ما قالوه من المنكر إلى ما هو أدخل فيه ، والاول ضعيف فيما نحن فيه لأن ماسبق له الكلام ليس اضطراب أقوالهم فتحكى على ما هم عليه بل تسليته عليه الصلاة والسلام وأنه لا محالة ينتقم له منهم وأن العذاب المكذب به واقع بهم جزاءاً لتكذيبهم بالنبى والنبأ والمنبأ ، فالمتعين هو الثانى ، ووجهه - والله تعالى أعلم - أن قوله : (فذكر) معناه إذ ثبت كون العذاب واقعاً وكون الفريقين المصدقين والمكذبين مجزيين بأعمالهم ، وإنك على الحق المين الذى من كذب به استحق الهوان ، ومن صدق استحق الرضوان فدم على التذكير ولا تبال بما تكادفانك أنت الغالب حجة وسيفاً في هذه الدار ، ومنزلة ورفعة في دار القرار ، ومن قوله تعالى : (فما أنت) إلى قوله سبحانه : (هم المكيدون) تفصيل هذا المجهل مع التعريض بفساد مقالاتهم الحمقاء وأنهم يبرأى من الله تعالى ومسمع فلا محالة ينتقم لنبى عليه الصلاة والسلام منهم ، وفيه أن النبى ﷺ من الله تعالى بمكان لا يقادر قدره فهو شتمن عضد التسلى ، وقوله سبحانه : (فما أنت بنعمة ربك) الخ فيه أن من أنعم عليه بالنبوة يستحيل أن يكون أحد هذين ، وبدأ بقولهم المتناقض لينبه أولاً على فساد آرائهم ويجعله دستوراً في إعراضهم عن الحق وإيثار اتباع أهوائهم فما أبعد حال من كان أتقنهم رأياً وأرجحهم عقلاً وأبينهم آياً منذ ترعرع الى أن بلغ الأشد عن الجنون والسكاهة على أنهما متناقضان لأن السكاهة كانوا عندهم من كاملهم وكان قولهم إماماً متبعاً عندهم فأين السكاهة من الجنون ، ثم ترقى مضرباً إلى قولهم فيه وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه شاعر لأنه أدخل في الكذب من السكاهة والجنون وقدماً قيل : أحسن الشعر أ كذبه ليبين حال تلجلجهم واضطرابهم ، وقوله تعالى : (قل تربصوا) من باب المجازاة بمثل صنيعهم وفيه تميم للوعيد ، فهذا باب من إنكارهم هدمه سبحانه أولاً تلويحاً بقوله تعالى : (بنعمة ربك) وثانياً تصريحاً بقوله جل وعلا . (أم تأمرهم أحلامهم) كأنه قيل دعهم وتلك المقالة وما فيها من الاضطراب ففيها عبرة ، ثم قيل : لا بل ذلك من طغيانهم لأنه أدخل في الذم من نقصان العقل وأبلغ في التسلية لأن من طغى على الله عز وجل فقد باه بغضبه ، ثم أخذ في باب أوغل في الانكار وهو نسبة الافتراء الىه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الافتراء أبعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق على أن كونه افتراءً وعجزهم عن الاتيان بأقصر سورة من هذا المفترى متغايرات لدلالته على الصدق على مامر - في الأحقاف - ولأن الشاعر لا يعتمد الكذب لذاته ، ثم قد يكون شعره حكماً ومواعظ وهو لا ينسب فيه إلى عار ، والتدرج عن الشعر هنا عكس التدرج اليه في الأنبياء لأن بناء الكلام هنا على التدرج في المناقضة والتوغل في القدح فيه عليه الصلاة والسلام ونفى رسالته ، وهناك عن القدح في بعض من الذكر متجدد النزول فقيل : إن افتراءه لا يبعد عن هو شاعر ذو افتراءات كثيرة ، وأين هذا من ذاك ؟ وللتنيه على التوغل

جاء بصريح حرف الاضراب في الرد فقيل : (بل لا يؤمنون) وعقب بقوله تعالى : (فليأتوا) ثم من لا يؤمن أشد إنكاراً له من الطاغى كما أن المفترى أدخل في الكذب من الشاعر ، ثم أخذ في أسلوب أبلغ في الرد على مقالاتهم الجنون والكهانة لتقاربهما ، ثم الشعر ، ثم الافتراء حيث نزل القائلين منزلة من يدعى أنه خلق من غير شيء أى مقدر وخالق وإلا لأهمهم البحث عن صفاته وأفعاله فلم ينكروا منك ما أنكروا ، ومن حسب أنه مستغن عن الموجد نسب رسوله إلى الجنون والكهانة لا بل كن يدعى أنه خالق نفسه فلا خالق له ليجث عن صفاته فهو ينسبه إلى الشعر إذ لا يرسل إليه البتة ، والشعر أدخل في الكذب لا بل كن يدعى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما فهو ينسبه إلى الافتراء حيث لم يرسله ، ثم أضرب صريحاً عنه بقوله تعالى : (بل لا يؤمنون) ومن لا إيقان له يمثل هذا البديهي لا يبعد أن يزك بما زن ، فكأنه قيل : مقالاتهم تلك تؤدي إلى هذه لأنهم كانوا قائلين بها إظهاراً لتماذهبهم في العناد ، ثم بولغ فيه فجاء بما يدل على أن الرسول لا بد أن يكون مفترى غير صالح للنبوّة في زعمهم ، فالأول لما لم يمنع تعدد الآلهة إنما يدل على افتراءه من حيث أن أحد الخالقين لا يدعو الآخر إلى عبادته ، والثاني يمنعه بالسكينة لأنه إذا كان عندهم جميع خزائن ربه وهم ما أرسلوه لزم أن يكون مفترى ألبتة ، وأدجج فيه إنكارهم للمعاد ، ونسبتهم إليه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك أيضاً خاصة إلى الافتراء ، والجل على خزائن القدرة أظهر لأن (أم عندهم الغيب) إشارة إلى خزائن العلم ولما كان المقصود هنالك أمر البعث على ما سيحقق إن شاء الله تعالى فإن هذا القول أيضاً من القبول بمكان ولا يخفى ما في قوله تعالى : (أم هم المسيطرون) من الترقى ثم لما فرغ من ذلك وبين فساد ما بنوا عليه أمر الإنكار بدليل العقل قيل : لم يبق إلا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو أظهر استحالة قهكم بهم ، وقيل : (بل لهم سلم يستمعون) وذيل بقوله تعالى : (أم له البنات) إشعاراً بأن من جعل خالقه أدون حالاً منه لم يستبعد منه تلك المقالات الخرفاء كأنه سلى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : ناهيك بتساوى الطاعنين في البطلان وبما يلقون من سوء مغبتهما ، ثم قيل : (أم تسألهم أجراً) أى إن القوم أرباب ألباب وليسوا من تلك الأوصاف في شيء بل الذى زهدم فيك أنك تسألهم أجراً مالا ، أو جاهاً ، أو ذكراً ، وفيه تهكم بهم وذم لهم بالحسد واللؤم وأنهم مع قصور نظرهم عن أمر الميعاد لا يبنون الأمر على المتعارف المعتاد إذ لا أحد من أهل الدنيا وذوى الاخطار يحبه الناصح المبرأ ساحته عن لوث الطمع بتلك المقالات على أنه حسد لا موقع له عند ذويه فليسوا في أن يحصل لهم نعمة النبوّة ولا هو بمن يطمع في نعمهم إحدى الثلاث ، ثم قيل : (أم عندهم الغيب) على معنى بل أعندهم اللوح فيعملون كل ما هو كائن ويكتبون فيه تلك المعلومات وقد علموا أن ما تدعيه من المعاد ليس من الكائن المكتوب ، والمقصود من هذا نفى المنبأ به أعنى البعث على وجه يتضمن دفع النبوّة أيضاً إدماجاً عكس الأول ولهذا أخره عن قوله تعالى : (أم لهم سلم) فقد سلف أن مصب الغرض حديث النبأ والمنبأ والمنبأ به فحضى الوطر من الأولين مع الرمز إلى الأخير ، ثم أخذ فيه مع الرمز اليهما قضاءً لحق الاعجاز ، ففى الغيب إشارة إلى الغيب أعنى الساعة أول كل شيء وفيه ترقى في الدفع من وجه أيضاً لأن العلم أشمل مورداً من القدرة ولأن الأول إنكار من حيث أنهم لم يرسلوه ، وهذا من تلك الحثيئة ، ومن حيث أنهم ما علموا بإرسال غيره إياه أيضاً مع إحاطة عليهم لكنه غير مقصود قصداً أولياً ، ثم ختم الكلام بالإضراب عن الإنكار إلى الاخبار عن حالهم بأنهم يريدون بك كيداً فهم ينصبون لك الحباطل قولاً وفعلًا

لا يقفون على هذه المقالة وحدها وهم المكيدون لا أنت قولاً وفعلاً وحنة وسيفاً ، وحقق ماضنه من الوعيد بقوله سبحانه : (أم لهم إله غير الله) فينجيهم من كيدِهِ وعذابه لا والله سبحانه الله عن أن يكون إله غيره ، ومنه يظهر أن حمل الذين كفروا على المريدين به كيداً أظهر في هذا المساق انتهى ، وكأن ما بعد تأكيده الأمر (١) طغيانهم ومزيد تحقيق للوعيد ومبالغة في التسلية ، ويعلم بما ذكره - لازالت رحمة الله تعالى عليه متصلة - أن (أم) في كل ذلك منقطعة وهي مقدرة بيل الاضارية ، والاضراب ههنا واقع على سبيل الترقى وبالهمزة وهي للإنكار وهو ما اختاره أبو البقاء وكثير من المفسرين ، وحكى الثعلبي عن الخليل أنها متصلة والمراد بها الاستفهام ، وعليك بما أفاده كلام ذلك الهام والله تعالى أعلم *

﴿ وما ذكروه من باب الإشارة في بعض الآيات ﴾ (والطور) إشارة إلى قالب الانسان (وكتاب مسطور) إشارة إلى سره (في رق منشور) إشارة إلى قلبه (والبيت المعمور) إشارة إلى روحه (والسقف المرفوع) إشارة إلى صفته (والبحر المسجور) إشارة إلى نفسه المسجورة بنيران الشهوة والغضب والكبر ، وقيل : - الطور - إشارة إلى ماطر من الارواح من عالم القدس والملوكوت حتى وقع في شباك عالم الملك - والكتاب المسطور في الرق المنشور - إشارة إلى النقوش الإلهية المدركة بأبصار البصائر القدسية المكتوبة في صحائف الآفاق (والبيت المعمور) إشارة إلى قلب المؤمن المعمور بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) إشارة إلى العالم العلوى المرفوع عن أرض الطبيعة (والبحر المسجور) إشارة إلى بحر القدرة المملوء من أنواع المقدورات التي لا تنتهى ، وقيل : إشارة إلى الفضاء الذى فيه الملائكة المهيمون ، ووصفه - بالمسجور - إما لأنه مملوء منهم ، وإما لأنه سجر بنيران الهيام ولذا لا يعلم أحدهم بسوى الله عز وجل ، وقيل : غير ذلك (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) أى يخوضون في غمرات البحر اللججى الدينوى ويلعبون فيها بزبد الباطل ومتاعها القليل ويكذبون المستخلصين عن الاكدار المتحايين بالانوار إذ أنذروهم أن المتقين هم أضداد أولئك (فاكهين بما آتاهم ربهم) مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) وهو عذاب الحجاب (كلوا) من ثمرات المعارف المختصة باللطيفة النفسية (واشربوا) من مياه العيون المختصة باللطيفة القلبية (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى مقام العبودية (ومن الليل فسبحه) أى عند نزول السكينة عليك (وإدبار النجوم) أى عند ظهور نور شمس الوجه ، وتسبيحه سبحانه عند ذلك بالاحتراز عن إثبات وجود غير وجوده تعالى الحق فان إثبات ذلك شرك مطلق فى ذلك المقام أعاذنا الله تعالى وإياكم من الشرك بحرمة الحبيب عليه الصلاة والسلام.

﴿سورة والنجم﴾

وتسمى أيضا سورة - النجم - بدون واو وهي ﴿مكية﴾ على الاطلاق ، وفي الاتقان استثنى منها (الذين يجتنبون) إلى اتقى ، وقيل : (أفرايت الذي تولى) الآيات التسع ، ومن الغريب حكاية الطبرسي عن الحسن أنها مدنية ، ولا أرى صحة ذلك عنه أصلا ، وآيها اثنتان وستون آية في الكوفي ، وإحدى وستون في غيره ، وهي كما أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود أول سورة أعلن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقراءتها فقرأها في الحرم والمشركون يسمعون ، وأخرج البخاري . ومسلم . وأبو داود . والنسائي عنه قال : « أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسجد الناس كلهم إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيت بعد ذلك قتل ظفرا » وهو أمية بن خلف ، وفي البحر أنه عليه الصلاة والسلام سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب فانه رفع حفته من تراب وقال : يكفي هذا ، فيحتمل أنه وأميه فعلا كذلك ، وهي شديدة المناسبة لما قبلها فان الطور ختمت بقوله تعالى : (إدار النجوم) وافتتحت هذه بقوله سبحانه : (والنجم) وأيضا في مفتحتها ما يؤكده رد الكفرة فيما نسبوه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من التقول والشعر والكهانة والجنون ، وذكر أبو حيان أن سبب نزولها قول المشركين : إن محمدا عليه الصلاة والسلام يخلق القرآن ، وذكر الجلال السيوطي في وجه مناسبتها أن الطور فيها ذكر ذرية المؤمنين وأنهم تبع لآبائهم وهذه فيها ذكر ذرية اليهود في قوله تعالى : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) الآية فقد أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم . والطبري . وأبو نعيم في المعرفة . والواحدى عن ثابت بن الحرث الانصارى « قال : كانت اليهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمها إلا أنه شقى أو سعيد فأنزل الله تعالى عند ذلك (وهو أعلم بكم) الآية كلها » وأنه تعالى لما قال هناك في المؤمنين : (ألحقنا بهم ذريتهم) الخ قال سبحانه هنا في الكفار ، أو في الكبار : (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) خلاف ما دخل في المؤمنين الصغار ، ثم قال : وهذا وجه بديع في المناسبة من وادى التضاد ، وفي صحة كون قوله تعالى : (هو أعلم بكم) الآية نزل لما ذكر نظر عندى ، وكون قوله تعالى : (ألحقنا بهم ذريتهم) في الصغار لم يتفق عليه المفسرون كما سمعت غير بعيد ، نعم من تأمل ظهر له وجوه من المناسبات غير ما ذكر فتأمل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ أَقْسَمُ بِسَبْحَانِهِ بجنس النجم المعروف على ما روى عن الحسن ومعمربن المثنى ، ومنه قوله :

فباتت تعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها

ومعنى (هوى) غرب ، وقيل : طالع يقال هوى هوى كرمى يرمى هوى بالفتح في السقوط والغروب لمشايبته له ؛ وهوى بالضم للعلو ، والطلوع ، وقيل : الهوى بالفتح للاصعاد والهوى بالضم للانحدار ؛ وقيل : الهوى بالفتح والضم السقوط ويقال أهوى بمعنى هوى ، وفرق بعض اللغويين بينهما بأن هوى إذا انقض لغبر صيد ، وأهوى

إذا انقض له ، وقال الحسن . وأبو حمزة الثمالي : أقسم سبحانه بالنجوم إذا انتثرت في القيامة ، وعن ابن عباس في رواية أقسم عز وجل بالنجوم إذا انقضت في إثر الشياطين ، وقيل : المراد بالنجم معين فقال مجاهد وسفيان : هو الثريا فإن النجم صار علما بالغلبة لها ، ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا طلع النجم صباحا ارتفعت العاهة » وقول العرب : - طلع النجم عشاء فابتغى الراعي كساء ، طلع النجم غدية فابتغى الراعي كسبة - وفسر هويها بسقوطها مع الفجر ، وقيل : هو الشعري المرادة بقوله تعالى : (وأنه هو رب الشعري) والكهان يتكلمون على المغيبات عند طلوعها ، وقيل : الزهرة وكانت تعبد ، وقال ابن عباس . ومجاهد . والفراء . ومنذر بن سعيد : (النجم) المقدار النازل من القرآن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، (وإذا هوى) بمعنى إذا نزل عليه مع ملك الوحي جبريل عليه السلام ، وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه : هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو به نزوله من السماء ليلة المعراج ، وجوز على هذا أن يراد به هويته صعوده وعروجه عليه الصلاة والسلام إلى منقطع الآين ، وقيل : هو الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقيل : العلماء على إرادة الجنس ، والمراد بهويهم قيل : عروجهم في معارج التوفيق إلى حضائر التحقيق ، وقيل : غوصهم في بحار الأفكار لاستخراج درر الأسرار . وأظهر الأقوال القول بأن المراد بالنجم جنس النجم المعروف فإن أصله اسم جنس لكل كوكب ، وعلى القول بالتعيين فالأظهر القول بأنه الثريا ، ووراء هذين القولين القول بأن المراد به المقدار النازل من القرآن ، وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع مالا غاية وراءه ، أما على الأولين فلا أن النجم شأنه أن يهتدى به السارى إلى مسالك الدنيا كأنه قيل : (والنجم) الذي تهتدى به السابلة إلى سواء السبيل ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ أى ماعدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة فهو استعارة وتمثيل لكونه عليه الصلاة والسلام على الصواب في أقواله وأفعاله ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۚ ﴾ أى وما اعتقد باطلا قط لان الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد فيكون عطف هذا على (ماضل) من عطف الخاص على العام اعتناءً بالاعتقاد ، وإشارة إلى أنه المدار .

وأما على الثالث فلا أنه تنويه بشأن القرآن وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل : وما أنزل عليك من القرآن الذي هو علم في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق واليقين (ماضل) عنها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وما غوى) فهو من باب * وثناياك أها إغريض * والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان المصاحبة لهم للايدان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبراً ببراءته صلى الله تعالى عليه وسلم بما نفي عنه بالسكينة وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتماً في ذلك تأكيد لا قاهة الحجة عليهم ، واختلف في متعلق إذا قال بعضهم : فاوضت جار الله في قوله تعالى : (والنجم إذا هوى) فقال : العامل فيه ما تعلق به الواو فقلت : كيف يعمل فعل الحال في المستقبل ؟! وهذا لأن معناه أقسم الآن لا أقسم بعد هذا ، فرجع وقال : العامل فيه مصدر محذوف ، والتقدير - وهوى النجم إذا هوى - فعرضته على بعض المشايخ فلم يستحسن قوله الثاني ، والوجه تعلقه بأقسم وهو قد انسلخ عنه معنى الاستقبال وصار للوقت المجرد ونحوه آتيك إذا احمر البسر أي وقت احمراره ، وقال عبد القاهر : إخبار الله تعالى بالمتوقع يقام مقام الإخبار بالواقع

إذا لاخلاف فيه فيجري المستقبل مجرى المحقق الماضي ، وقيل : إنه متعلق بعامل هو حال من النجم ، وأورد عليه أن الزمان لا يكون خبراً ولا حالاً عن جثة كما هنا ، وأن (إذا) للمستقبل فكيف يكون حالاً إلا أن تكون حالاً مقدرة أو تجرد (إذا) لمطابق الوقت كما يقال بصحية الحالية إذا أفادت معنى معتداً به ، فنجى الزمان خبراً أو حالاً عن جثة ليس ممنوعاً على الإطلاق كما ذكره النحاة ، أو النجم لتغيره طلوعاً وغروباً أشبه الحدث ، والانصاف أن جعله حالاً كتعلقه بمصدر محذوف ليس بالوجه ، وإنما الوجه ، - على ما قيل - ما سمعت من تعلقه بأقسم منسلخاً عنه معنى الاستقبال وهو الذي اختاره في المغنى ، وتخصيص القسم بوقت الهوى ظاهر على الأخير من الأقوال الثلاثة ، وأما على الأولين فقيل : لأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب ، وإنما يهتدى به عند هبوطه ، أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكي من التبدل والدنو ، وقيل : لدلالته على حدوثه الدال على الصانع وعظيم قدرته عز وجل كما قال الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل السلام (لأحب الأولين) وسيأتى إن شاء الله تعالى آخر الكتاب تمام الكلام في تحقيق إعراب مثل هذا التركيب فلا تغفل ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله سبحانه: (صاحبكم) والنطق مضمن معنى الصدور فلذا عدى بعن في قوله تعالى : ﴿عَنِ الْهُوَىٰ﴾ وقيل : هى بمعنى الباء وليس بذاك أى ما يصدر نطقه فيما آتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن ، أو من القرآن عن هوى نفسه ورأيه أصلاً فإن المراد استمرار النفي كما مر مراراً في نظائره ﴿إِنْ هُوَ﴾ أى ما الذى ينطق به من ذلك أو القرآن وكل ذلك مفهوم من السياق ﴿إِلَّا وَحَىٰ﴾ من الله عز وجل ﴿يُوحَىٰ﴾ بوحيه سبحانه اليه ، والجملة صفة وكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى ، وقيل : ضمير (ينطق) للقرآن فالآية كقوله تعالى : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) وهو خلاف الظاهر ، وقيل : المراد ما يصدر نطقه عليه الصلاة والسلام مطلقاً عن هوى وهو عائد لما ينطق به مطلقاً أيضاً واحتج بالآية على هذا التفسير من لم ير الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام كإحدى الجبائى وابنه أبى هاشم ، ووجه الاحتجاج أن الله تعالى أخبر بأن جميع ما ينطق به وحى وما كان عن اجتهاد ليس بوحى فليس بما ينطق ، وأجيب بأن الله تعالى إذا سوغ له عليه الصلاة والسلام الاجتهاد كان الاجتهاد وما يسند اليه وحياً لانطقاً عن الهوى ، وحاصله منع كبر القياس ، واعتراض عليه بأنه يلزم أن تكون الاحكام التى تستنبطها المجتهدون بالقياس وحياً ، وأجيب بأن النبي عليه الصلاة والسلام أوحى اليه أن يجتهد بخلاف غيره من المجتهدين ، وقال القاضي البيضاوى : إنه حينئذ بالوحى لاوحى ، وتعبه صاحب الكشف بأنه غير قاذح لأنه بمنزلة أن يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : متى ما ظننت بكذا فهو حكى أى كل ما ألقىته في قلبك فهو مراد به فيكون وحياً حقيقة ، والظاهر أن الآية واردة في أمر التنزيل بخصوصه وإن كان مثله الاحاديث القدسية والاستدلال بها على أنه عليه الصلاة والسلام غير متعبد بالوحى محوج لارتكاب خلاف الظاهر وتكلف في دفع نظر البيضاوى عليه الرحمة كما لا يخفى على المانصف ، ولا يبعد عندى أن يحمل قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى) على العموم فإن من يرى الاجتهاد له عليه الصلاة والسلام كالامام أحمد . وأبى يوسف عليهما الرحمة

لا يقول بأن ما ينطق به صلى الله تعالى عليه وسلم بما أدى اليه اجتهاده صادر عن هوى النفس وشهوتها حاشا حضرة الرسالة عن ذلك وإنما يقول هو واسطة بين ذلك وبين الوحي ويجعل الضمير في قوله سبحانه: (إن هو إلا وحي) للقرآن على أن الكلام جواب سؤال مقدر كأنه قيل: إذا كان شأنه عليه الصلاة والسلام أنه ما ينطق عن الهوى فما هذا القرآن الذي جاء به وخالف فيه ما عليه قومه واستمال به قلوب كثير من الناس وكثرت فيه الأقاويل؟ فقول: ما هو إلا وحي يوحيه الله عز وجل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فتأمل، وفي الكشف أن في قوله تعالى: (ما ينطق) مضارعاً مع قوله سبحانه: (ماضِل) (وما غوى) ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام حيث لم يكن له سابقة غواية وضلال منذ تميز وقبل تحذرك واستنبائه لم يكن له نطق عن الهوى كيف وقد تحذرك ونبي، وفيه حث لهم على أن يشاهدوا منطق الحكيم ﴿عَلَيْهِ﴾ الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمفعول الثاني محذوف أي القرآن، أو الوحي، وجوز أبو حيان كون الضمير للقرآن، وأن المفعول الأول محذوف أي عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿شَدِيدُ الْقُوَى هـ﴾ هو جبريل عليه السلام كما قال ابن عباس. و قتادة. والريبع، فانه الواسطة في إبداء الخوارق وناهيك دليلاً على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى وحمّلها على جناحه وورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح بشمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرره في الحكمة الجديدة ﴿ذُو مَرَّةٍ﴾ ذو حصافة واستحكام في العقل كما قال بعضهم، فكان الأول وصف بقوة الفعل، وهذا وصف بقوة النظر والعقل لكن قيل: إن ذلك بيان لما وضع له اللفظ فان العرب تقول لكل قوى العقل والرأى (ذو مرة) من أمرت الحبل إذا أحكمت قتلته وإلا فوصف الملك بمثله غير ظاهر فهو كناية عن ظهور الآثار البديعة، وعن سعيد بن المسيب ذو حكمة لأن كلام الحكماء متين، وروى الطستى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عنه فقال: ذو شدة في أمر الله عز وجل واستشهد له، وحيى الطيبي عنه أنه قال: ذو منظر حسن واستصوبه الطبرى، وفي معناه قول مجاهد، ذو خلق حسن: وهو في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى» بمعنى ذى قوة، وفي الكشف إن المرة لأنها في الأصل تدل على المرة بعد المرة تدل على زيادة القوة فلا تغفل ﴿فَاسْتَوَى ٦﴾ أى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها وذلك عند حراء في مبادئ النبوة وكان له عليه الصلاة والسلام - كما في حديث أخرجه الامام أحمد. وعبد بن حميد. وجماعة عن ابن مسعود - ستائة جناح كل جناح منها يسد الأفق فالاستواء ههنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته كما قال الراغب، وهو المراد بالاستقامة لا ضد الاعوجاج، ومنه استوى الثمر إذا نضج، وفي الكلام على ما قال الخفاجى: طى لأن وصفه عليه السلام بالقوة وبعض صفات البشر يدل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في غير هيئته الحقيقية وهذا تفصيل لجواب سؤال مقدر كأنه قيل: فهل رآه على صورته الحقيقية: فقول: نعم رآه فاستوى الخ، وفي الارشاد أنه عطف على عليه بطريق التفسير فانه إلى قوله تعالى: (ما وحي) بيان لكيفية التعليم، وتعقب بأن الكيفية غير منحصرة فيما ذكر، ومن هنا قيل: إن الفاء للسببية فان تشككه عليه السلام بشكله يتسبب عن قوته وقدرته على الخوارق أو عاطفة على (عليه) على معنى عليه على غير صورته الاصلية، ثم استوى على صورته الاصلية. وتعقب بأنه لا يتم به التثام الكلام ويحسن به النظام، وقيل:

استوى بمعنى ارتفع والعطف على علم ، والمعنى ارتفع إلى السماء بعد أن علمه وأثر الآثار تقتضى ماتقدم •
 ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ٧ ﴾ أى الجهة العليا من السماء المقابلة للنظر ، وأصله الناحية وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحى وينقسم عندهم إلى حقيقى وغيره كما فصل فى محله ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس أن المراد به هنا مطالع الشمس وفى معناه قول الحسن : هو أفق المشرق ، والجملة فى موضع الحال من فاعل استوى ، وقال الفراء .
 والطبرى : إن هو عطف على الضمير المستتر فى استوى وهو عائد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما أن ذلك عائد لجبريل عليه السلام ، وجوز العكس ، والجار متعلق باستوى وفيه العطف على الضمير المرفوع من غير فصل ، وهو مذهب الكوفيين مع أن المعنى ليس عليه عند الأثرين ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ أى ثم قرب جبريل عليه السلام من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ فَتَدَلَّى ٨ ﴾ فتعلق جبريل عليه عليه الصلاة والسلام فى الهواء ، ومنه تدلت الثمرة ودلى رجله من السرير . والدوالى الثمر المعلق كعناقيد العنب وأنشدوا لابی ذؤيب يصف مشتار عسل :

تدلى عليها بين سب وخيطة بجرداء مثل الوصف يكبو غرابها

ومن أسجاع ابنة الخس - كن حذراً كالقرلى إن رأى خيراً تدلى ، وإن رأى شراً تولى - فالمراد بالتدلى دنو خاص فلا قلب ولا تأويل بإرادة الدنو كما فى الايضاح ، نعم إن جعل بمعنى التزلزل من علو كما يرشد إليه الاشتقاق كان له وجه ﴿ فَكَانَ ﴾ أى جبريل عليه السلام من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أى من قسى العرب لأن الاطلاق ينصرف إلى متعارفهم ، والقاب ، وكذا القيب ، والقاد ، والقيد ، والقيس المقدار ، وقرأ يزيد بن على قاد ، وقرئ قيد وقدر ، وقد جاء التقدير بالقوس كالرمح والذراع وغيرهما ، ويقال على ما بين مقبض القوس وسيتها ، وهى ما عطف من طرفيها فلكل قوس قابان ، وفسر به هنا قيل : وفى الكلام عليه قلب أى فكان قابى قوس ، وفى الكشف لك أن تقول قابا قوس وقاب قوسين واحد دون قلب ، وعن مجاهد . والحسن أن قاب القوس ما بين وترها ومقبضها ولا حاجة إلى القلب عليه أيضا فإن هذا على ما قال : الحفاجى إشارة إلى ما كانت العرب فى الجاهلية تفعله إذا تحالفوا فإنهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى فيكون القاب ملاصقا للأخر حتى كأنهما ذا قاب واحد ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهماً واحداً فيكون ذلك إشارة إلى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافه ، وعن ابن عباس القوس هنا ذراع يقاس به الأطوال وإليه ذهب أبو رزين ، وذكر الثعلبى أنه من لغة الحجاز ، وأياً ما كان فالمعنى على حذف مضاف - أى فكان ذا قاب قوسين - ونحوه قوله :

فادرك إبقاء العرادة ظللها وقد جعلتنى من (خزيمة أصبعا)

فإنه على معنى ذا مقدار أصبع وهو القرب فكانه قيل فكان قريبا منه ، وجوز أن يكون ضمير كان للمسافة بتأويلها بالبعد ونحوه فلا حاجة إلى اعتبار الحذف وليس بذلك ﴿ أَوْ أَدْنَى ٩ ﴾ أى أو أقرب من ذلك ، و(أو) للشك من جهة العباد على معنى إذا رآه الرأى يقول هو قاب قوسين أو أدنى ، والمراد إفادة شدة القرب ﴿ فَأَوْحَى ﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿ إِلَى عَبْدِهِ ﴾ أى عبد الله وهو النبي ﷺ ، والاضمار ولم يجر له تعالى ذكر لكونه فى غاية الظهور ومثله كثير فى الكلام ، ومنه (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهرها من دابة)

وقوله سبحانه: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ﴿مَا أَوْحَىٰ ١٥﴾ أي الذي أوحاه والضمير المستتر لجبريل عليه السلام أيضاً، وإيهام الموحى به للتفخيم فهذا نظير قوله تعالى: (فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقال أبو زيد: الضمير المستتر لله عز وجل أي أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحاه الله إلى جبريل، والأول مروى عن الحسن وهو الأحسن، وقيل: ضمير (أوحى) الأول والثاني لله تعالى، والمراد بالعبد جبريل عليه السلام وهو كما ترى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ أي فؤاد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿مَا رَأَىٰ ١١﴾ ما رآه يبصره من صورة جبريل عليه السلام أي ما قال فؤاده صلى الله تعالى عليه وسلم لما رآه يبصره لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره فهو من قولهم كذب إذا قال كذباً فما كذب بمعنى ما قال الكذب، وقيل: أي (ما كذب الفؤاد) البصر فيما حكا له من صورة جبريل عليه السلام وما في عالم الملكوت تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر. قرأ أبو رجاء وأبو جعفر. وقتادة والجحدري. وخالد بن الياس. وهشام عن ابن عامر (ما كذب) مشدداً أي صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته، وفي الآيات من تحقيق أمر الوحي ما فيها، وفي الكشف أنه لما قال سبحانه: (إن هو إلا وحي) أي من عند الله تعالى (يوحي) ذكر جل وعلا ما يصور هذا المعنى ويفصله ليتأكد أنه وحي وأنه ليس من الشعر وحديث السكهان في شيء فقال تعالى (علم صاحبكم) هذا الوحي من هو على هذه الصفات، وقوله تعالى: (فاستوى) وحديث قيامه بصورته الحقيقية ليؤكد أن ما يأتيه في صورة دحية هو هو فقد رآه بصورة نفسه وعرفه حق معرفته فلا يشتبه عليه بوجه، وقوله تعالى: (ثم دنا فتدلى) تتميم لحديث نزوله إليه عليه الصلاة والسلام وإتيانه بالمنزل، وقوله سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أي جبريل ذلك الوحي الذي مر أنه من عند الله تعالى إلى عبد الله وإنما قال سبحانه: - ما أوحى - ولم يأت بالضمير تفخيماً لشأن المنزل وأنه شيء يجل عن الوصف فأني يستجيز أحد من نفسه أن يقول إنه شعر أو حديث كاهن، وإيثار عبده بدل إليه أي إلى صاحبكم لإضافة الاختصاص وإيثار الضمير على الاسم العلم في هذا المقام لترشيحه وأنه ليس عبداً إلا له عز وجل فلا لبس لشهرته بأنه عبد الله لا غير، وجاز أن يكون التقدير فأوحى الله تعالى بسببه أي بسبب هذا المعلم إلى عبده في الفاء دلالة على هذا المعنى وهذا وجه أيضاً سديد، ثم قال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ على معنى أنه لما عرفه وحققه لم يكذب فؤاده بعد ذلك ولو تصور بغير تلك الصورة إنه جبريل، فهذا نظم سرى مرعى فيه النكت حق الرعاية مطابق للوجود لم يعدل به عن وأجب الوفاق بين البداية والنهاية انتهى *

وهو كلام نفيس يرجح به ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها وسيأتي ذلك إن شاء الله عز وجل بماله وعليه ﴿أَقْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَبْرِىٰ ١٢﴾ أي أنكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة فتمارونه عطف على مخدوف على مذهب إليه الزمخشري من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة إذا مسح ظهرها وضربها ليخرج لبنها وتدر به فشبّه به الجدل لأن كلا من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الآخر ليلزمه الحجة فكأنه يستخرج دزّه *

وقرأ على كرم الله تعالى وجهه. وعبد الله. وابن عباس. والجحدري. ويعقوب. وابن سعدان. وحمزة. والكسائي. وخلف (أقتمروه) بفتح التاء وسكون الميم مضارع مريت أي جحدت يقال: مريته حقه إذا جحدته، وأنشدوا لذلك قول الشاعر:

لئن هجرت أخا صدق ومكرمة لقد (مريت) أخا ما كان يبريكا

(٧٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

أو مضارع مريته إذا غلبته في المراء على أنه من باب المغالبة، ويجوز حمل ما في البيت عليه وعدى الفعل بعلى وكان حقه أن يعدى بنى لتضمينه معنى المغالبة فإن المجادل والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم، وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه والشعبي فيما ذكر شعبة (أقتمرونه) بضم التاء وسكون الميم مضارع أمرت قال أبو حاتم: وهو غلط، والمراد بما يرى مارآه من صورة جبريل عليه السلام، وعبر بالمضارع استحضاراً للصورة الماضية لما فيها من الغرابة، وفي البحر جئ بصيغة المضارع وإن كانت الرؤية قد مضت إشارة إلى ما يمكن حدوثه بعد، رقيق: المراد (أقتمرونه على ما يرى) من الصور التي يظهر بها جبريل عليه السلام بعد مارآه قبل وحققه بحيث لا يشتبه عليه بأى صورة ظهر فالتعبير بالمضارع على ظاهره ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أى رأى النبي جبريل ﷺ في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ﴿نَزْلَةً أُخْرَى ۚ﴾ أى مرة أخرى من النزول وهي فعلة من النزول أقيمت مقام المارة ونصبت نصبها على الظرفية لأن أصل المرة مصدر مزمر ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه ولم يقل مرة بدلها ليفيد أن الرؤية في هذه المرة كانت بتزول ودنو كالرؤية في المرة الأولى الدال عليها مامر، وقال الخوفي: وإن عطية: إن نزلة منصوب على المصدرية للحال المقدرة أى نازلا نزلة، وجوز أبو البقاء كونه منصوبا على المصدرية - لرأى - من معناه أى رؤية أخرى وفيه نظر، والمراد من الجملة القسمية نفي الريبة والشك عن المرة الأخيرة وكانت ليلة الاسراء ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ هي شجرة نبق عن يمين العرش في السماء السابعة على المشهور، وفي حديث أخرجه أحمد ومسلم، وأبو داود، وغيرهم في السماء السادسة نبقها كقلال حجر وأوراقها مثل آذان الفيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها، وأخرج الحاكم وصححه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله تعالى عنهما مرفوعا «يسير الراكب في الفتن منها مائة سنة» والاحاديث ظاهرة في أنها شجرة نبق حقيقة •

والنبات في الشاهد يكون ترايا ومائيا وهوائيا، ولا يمد من الله تعالى أن يخلقه في أى مكان شاء وقد أخبر سبحانه عن شجرة الزقوم أنها تنبت في أصل الجحيم، وقيل: لإطلاق السدرة عليها مجاز لانها تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس في ظل السدرة، و(المنتهى) اسم مكان وجوز كونه مصدرا ميميا، وقيل: لها (سدرة المنتهى) لانها كما أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس اليها ينتهى علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى، أو لانها ينتهى اليها علم الانبياء عليهم السلام ويعزب عليهم عما وراءها. أو لانها تنتهى اليها أعمال الخلائق بأن تعرض على الله تعالى عندها، أو لانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها. أو لانها تنتهى اليها أرواح الشهداء أو أرواح المؤمنين مطلقا. أو لاتهاء من رفع اليها في الكرامة، وفي الكشف كأنها منتهى الجنة وآخرها، وإضافة (سدرة) إلى (المنتهى) من إضافة الشيء لمحله كما في أشجار البستان، وجوز أن تكون من إضافة المحل إلى الحال كما في قولك كتاب الفقه، وقيل: يجوز أن يكون المراد بالمنتهى الله عز وجل فالإضافة من إضافة الملك إلى المالك أى (سدرة) الله الذى اليه (المنتهى) كما قال سبحانه: (وأن إلى ربك المنتهى) وعد ذلك من باب الحذف والايصال ولا يخفى أن هذا القول يكاد يكون المنتهى في البعد ﴿عِنْدَهَا﴾ أى عند السدرة، وجوز أن يكون الضمير للنزلة وهو نازل عن رتبة القبول ﴿جَنَّةَ الْمَأْوَى ۚ﴾ التى يأوى اليها المتقون يوم القيامة كما روى عن الحسن، واستدل به على أن الجنة في السماء، وقال ابن عباس بخلاف عنه. وقناة:

هي جنة تأوى إليها أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون، وقيل: هي جنة تأوى إليها الملائكة عليهم السلام والاول أظهر، والمأوى على مانص عليه الجمهور اسم مكان وإضافة الجنة إليه بيانية، وقيل: من إضافة الموصوف إلى الصفة كما في مسجد الجامع، وتعقب بأن اسم المكان لا يوصف به، والجملة حالية، وقيل: الحال هو الظرف، و(جنة) مرتفع به على الفاعلية، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه. وأبو الدرداء. وأبو هريرة. وابن الزبير. وأنس. وزر. ومحمد بن كعب. وقتادة: (جنة) بهاء الضمير وهو ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وجن فعل ماضى أي عندها ستره إيواء الله تعالى، وجعل صنعه به، أو ستره المأوى بظلاله ودخل فيه على أن (المأوى) مصدر ميمي، أو اسم مكان، وجهه بمعنى ستره، قال أبو البقاء: شاذ والمستعمل أجنه، ولهذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها. وكذا جمع من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: من قرأ به فأجنه الله تعالى أي جعله مجنوناً أو أدخله الجن وهو القبر، وأنت تعلم أنه إذا صح أنه قرأ به الامير كرم الله تعالى وجهه ومن معه من أكابر الصحابة فليس لأحد رده من حيث الشذوذ في الاستعمال، وعائشة قد حكى عنها الاجازة أيضاً.

﴿إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ متعلق برآه، وقيل: بما بعد من الجملة المنفية ولا يضر التقدم على (ما) النافية للتوسع في الظرف والغشيان بمعنى التغطية والستر، ومنه الغواشي أو بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيداً كل حين أي يأتيه. والاول هو الاليق بالمقام، وفي إلهام (ما يغشى) من التفخيم مالا يخفى فكان الغاشي أمر لا يحيط به نطاق البيان ولا تسعه أركان الازهان، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة، وجوز أن يكون للايدان باستمرار الغشيان بطريق التجدد، وورد في بعض الاخبار تعيين هذا الغاشي، فعن الحسن غشياً نور رب العزة جل شأنه فاستنارت. ونحوه ماروى عن أبي هريرة يغشاه نور الخلاق سبحانه، وعن ابن عباس غشياً رب العزة عز وجل وهو من المتشابه، وقال ابن مسعود. ومجاهد. وإبراهيم: يغشاه جراد من ذهب، وروى عن مجاهد أن ذلك تبدل أغصانها أولواً وياقوتاً وزبرجداً * وأخرج عبد بن حميد عن سلبة قال: استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إليه عليه الصلاة والسلام، وفي حديث «رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى» وقيل: يغشاه رفر من طير خضر، والابهام على هذا كله على نحو ماتقدم * ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أي ما مال بصر رسول الله صلى الله تعالى عليه عما رآه ﴿وَمَا طَغَى﴾ وما تجاوزه بل أثبتته إثباتاً صحيحاً مستيقناً، وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها إلى ما لم يؤمر برؤيته.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ أي والله لقد رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج. فالكبرى-صفة موصوف محذوف مفعول لرأى أقيمت مقامه بعد حذفه وقد جمعوا ليطابق الواقع، وجوز أن تكون (الكبرى) صفة المذكور على معنى، و(لقد رأى) بعضها من الآيات الكبرى، ورجح الاول بأن المقام يقتضى التعظيم والمبالغة فينبغي أن يصرح بأن المرأى الآيات الكبرى وجوزت الوصفية المذكورة مع كون من مزيدة، وأنت تعلم أن زيادة من في الاثبات ليس مجمعا على جوازه، وجاء في بعض الاخبار تعيين ما رأى عليه الصلاة والسلام، أخرج البخاري. وابن جرير. وابن المنذر. وجماعة عن ابن مسعود أنه قال في

الآية رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد الأفق . وعن ابن زيد رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها، والذي ينبغي أن لا يحمل ذلك على الحصر فلا يخفى فقد رأى عليه الصلاة والسلام آيات كبرى ليلة المعراج لا تحصى ولا تكاد تستقصى (هذا وفي الآيات) أقوال غير ما تقدم ، فعن الحسن أن (شديد القوى) هو الله تعالى، وجمع (القوى) للتعظيم ويفسر (ذومرة) عليه بذى حكمة ونحوه مما يليق أن يكون وصفاً له عز وجل، وجعل أبو حيان الضميرين في قوله تعالى: (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) عليه له سبحانه أيضاً، وقال إن ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان، ولعل الحسن يجعل الضمائر في قوله سبحانه: (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) له عز وجل أيضاً، وكذا الضمير المنصوب في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) فقد كان عليه الرحمة يحلف بالله تعالى ، لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه وفسر دنوه تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم برفع مكاته ﷺ عنده سبحانه وتدليه جل وعلا بجذبه بشارته إلى جانب القدس ، ويقال لهذا الجذب : الفناء في الله تعالى عند المتألهين ، وأريد بنزوله سبحانه نوع من دنوه المعنوي جل شأنه . ومذهب السلف في مثل ذلك إرجاع علمه إلى الله تعالى بعد نفى التشبيه ، وجوز أن تكون الضمائر في (دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) على ما روى عن الحسن للنبي ﷺ ، والمراد ثم دنا النبي عليه الصلاة والسلام من ربه سبحانه فكان منه عز وجل (قاب قوسين أو أدنى) والضمائر في (فأوحى) الخ لله تعالى ، وقيل : (إلى عبده) ولم يقل اليه للتعظيم ، وأمر المتشابه قد علم، وذهب غير واحد في قوله تعالى : (عليه شديد القوى) إلى قوله سبحانه: (وهو بالأوفق الأعلى) إلى أنه في أمر الوحي وتلقيه من جبريل عليه السلام على ما سمعت فيما تقدم، وفي قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى) الخ إلى أنه في أمر العروج إلى الجباب الأقدس ودنوه سبحانه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته عليه السلام إياه جل وعلا فالضمائر في (دنا، وتدلى) وكان و (أوحى) وكذا الضمير المنصوب في (رآه) لله عز وجل، ويشهد لهذا ما في حديث أنس عند البخاري من طريق شريك بن عبد الله « ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة » الحديث ، فإنه ظاهر فيما ذكره .

واستدل بذلك مثبتو الرؤية كحبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره، وأدعت عائشة رضي الله تعالى عنها خلاف ذلك ، أخرج مسلم عن مسروق قال : « كنت متكئاً عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى)؟ فقالت : أنا أول هذه الامة سألت عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : لا إنما هو جبريل لم أره على صورته الذي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، الحديث ، وفي رواية ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق « فقالت : أنا أول من سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا فقلت : يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال : إنما رأيت جبريل منهبطاً » ولا يخفى أن جواب رسول الله عليه الصلاة والسلام ظاهر في أن الضمير المنصوب في (رآه) ليس راجعاً اليه تعالى بل إلى جبريل عليه السلام ، وشاع أنها تنفى أن يكون صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه سبحانه مطلقاً ، وتستدل لذلك بقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وقوله

سبحانه. (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) وهو ظاهر ما ذكره البخاري في صحيحه في تفسير هذه السورة ، وقال بعضهم : إنما تنفى رؤية تدل عليها الآية التي نحن فيها وهي التي احتج بها مسروق *

وحاصل ما روى عنها نفي صحة الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته عليه الصلاة والسلام ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها إنما هو جبريل عليه السلام على ما يدل عليه جواب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إياها، وحمل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في جوابها « لا » على أنه نفي للرؤية المخصوصة وهي التي يظن دلالة الآية عليها ويرجع إلى نفي الدلالة ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق ، والانصاف أن الاخبار ظاهرة في أنها تنفي الرؤية مطلقاً ، وتستدل عليه بالآيتين السابقتين ، وقد أجاب عنهما مثبتو الرؤية بما هو مذكور في محله ، والظاهر أن ابن عباس لم يقل بالرؤية إلا عن سماع ، وقد أخرج عنه أحمد أنه قال : « قال رسول الله ﷺ : رأيت ربى » ذكره الشيخ محمد الصالحى الشامى تليذ الحافظ السيوطى فى الآيات البينات وصححه ، وجمع بعضهم بين قولى ابن عباس. وعائشة بأن قول عائشة محمول على نفي رؤيته تعالى فى نوره الذى هو نوره المنعوت بأنه لا يقوله بصره ، وقول ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى فى نوره الذى لا يذهب بالابصار بقرينة قوله فى جواب عكرمة عن قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) : ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وبه يظهر الجمع بين حديثى أبى ذر ، أخرج مسلم من طريق يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : « نورانى أراه » ومن طريق هشام . وهما كلاهما عن قتادة عن عبد الله قال : قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسألته فقال : عن أى شئ كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ فقال أبو ذر : قد سألته فقال : « رأيت نوراً » فيحمل النور فى الحديث الاول على النور القاهر للابصار بجعل التنوين للنوعية أو للتعظيم ، والنور فى الثانى على ما لا يقوم له البصر والتنوين للنوعية ، وإن صحت رواية الاول كما حكاه أبو عبد الله المازرى بالفظ « نورانى » بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون نورانى بمعنى المنسوب إلى النور على خلاف القياس ويكون المنسوب اليه هو نوره الذى هو نوره ، والمنسوب هو النور المحمول على الحجاب حمل مواطاة فى حديث السبحات فى قوله عليه الصلاة والسلام : « حجاب النور » وهو النور المانع من الإحراق الذى يقوم له البصره ثم إن القائلين بالرؤية اختلفوا ، فمنهم من قال : إنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه سبحانه بعينه ، وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس ، وهو مروي أيضا عن ابن مسعود . وأبى هريرة . وأحمد بن حنبل ، ومنهم من قال : رآه عز وجل بقلبه ، وروى ذلك عن أبى ذر ، أخرج النسائى عنه أنه قال : « رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره » وكذا روى عن محمد بن كعب القرظى بل أخرج عبد بن حميد . وابن المنذر . وابن أبى حاتم عنه أنه قال : قالوا : يا رسول الله رأيت ربك ؟ قال : « رأيت بفؤادى مرتين ولم أره بعينى ثم قرأ ما كذب الفؤاد ما رأى » وفى حديث عن ابن عباس يرفعه « فجعل نور بصرى فى فؤادى فنظرت اليه بفؤادى » وكأن التقدير فى الآية على هذا (ما كذب الفؤاد فيما رأى) ، ومنهم من ذهب إلى أن إحدى الرؤيتين كانت بالعين والاخرى بالفؤاد وهى رواية عن ابن عباس ، أخرج الطبرانى . وابن مردويه عنه أنه قال : إن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه عز وجل مرتين مرة يبصره ومرة بفؤاده ، ونقل القاضي عياض عن بعض مشايحه أنه توقف أى

في الرؤية بالعين ، وقال : إنه ليس عليه دليل واضح قال في الكشف : لأن الروايات مصرحة بالرؤية أما أنها بالعين فلا ، وعن الامام أحمد أنه كان يقول : إذا سئل عن الرؤية رآه رآه حتى ينقطع نفسه ولا يزيد على ذلك وكأنه لم يثبت عنده ماذكرناه ، واختلف فيما يقتضيه ظاهر النظم الجليل فجزم صاحب الكشف بأنه ماعليه إلا كثرون من أن الدنو والتدلى مقسم ما بين النبي وجبريل صلاة الله تعالى وسلامه عليهما أي وأن المرئي هو جبريل عابه السلام ، وإذا صح خبر جوابه عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله تعالى عنها لم يكن لأحد محيص عن القول به ، وقال العلامة الطيبي : الذي يقتضيه النظم إجراء الكلام إلى قوله تعالى : (وهو بالآفاق الأعلى) على أمر الوحي وتلقيه من الملك ورفع شبه الخصوم ، ومن قوله سبحانه : (ثم دنا فتدلى) إلى قوله سبحانه : (من آيات ربه الكبرى) على أمر العروج إلى الجذاب الأقدس ، ثم قال : ولا يخفى على كل ذي لب إباء مقام (فأوحى) المحل على أن جبريل أوحى إلى عبد الله (ما أوحى) إذ لا يذوق منه أرباب القلوب إلا معنى المناغاة بين المتسارين وما يضيق عنه بساط الوهم ولا يطيقه نطاق الفهم ، وكلمة (ثم) على هذا للتراخي الرتبى والفرق بين الوحيين أن أحدهما وحي بواسطة وتعليم ، والآخر بغير واسطة بجهة التكريم فيحصل عنه عنده الترقى من مقام (وما منا إلا له مقام معلوم) إلى مخدع (قاب قوسين أو أدنى) وعن جعفر الصادق عليه الرضا أنه قال : لما قرب الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف لأنه لا تتحمل غاية الهيبة إلا بغاية اللطف ، وذلك قوله تعالى : (فأوحى إلى عبده ما أوحى) أي كان ما كان وجرى ما جرى قال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه وألطف به إلطاف الحبيب بحبيبه وأسر إليه ما يسر الحبيب إلى حبيبه فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحداً وإلى نحو هذا يشير ابن الفارض بقوله :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرّ أرق من النسيم إذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا فيقولون بدنوا الله عز وجل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودنوه منه سبحانه على الوجه اللائق وكذا يقولون بالرؤية كذلك ، وقال بعضهم في قوله تعالى : (مازاغ البصر وماطغى) : مازاغ بصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما التفت إلى الجنة ومزخرقاتها ولا إلى الجحيم وزفراتها بل كان شاخصاً إلى الحق (وماطغى) عن الصراط المستقيم ، وقال أبو حفص السهروردي : مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر (وماطغى) لم يسبق البصر البصيرة ويتعدى مقامه ، وقال سهل بن عبد الله التستري : لم يرجع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى شاهد نفسه وإلى مشاهدتها وإنما كان مشاهداً لربه تعالى يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المحل ، وأرجع بعضهم الضمير في قوله تعالى : (وهو بالآفاق الأعلى) إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهو منتهى وصول اللطائف ، وفسر (سدره المنتهى) بما يكون منتهى سير السالكين إليه ولا يمكن لهم مجاوزته إلا بجذبة من جذبات الحق ، وقالوا في (قاب قوسين) ما قالوا وأنا أقول برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ربه سبحانه وبدنوه منه سبحانه على الوجه اللائق ذهب فيما اقتضاه ظاهر النظم الجليل إلى مقاله صاحب الكشف أم ذهب فيه إلى مقاله الطيبي فتأمل والله تعالى الموفق .

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۚ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ إِنَّ هِيَ أَصْنَامٌ كَانَتْ لَهُمْ فَالَاتٌ ۖ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ : لثَقِيفَ بِالطَّائِفِ ، وَأَنشَدُوا

وفرت ثقيف إلى (لاتها) بمنقلب الخائب الخاسر

وقال أبو عبيدة . وغيره : كان بالكعبة ، وقال ابن زيد : كان بنخلة عند سوق عكاظ يعبده قريش ، ورجح ابن عطية قول قتادة ، وقال أبو حيان : يمكن الجمع بأن يكون المسمى بذلك أصناماً فأخبر عن كل صنم بمكانه ، والتاء فيه قيل : أصلية وهي لام الكلمة كالباء في باب ، وألفه منقلبة فيما يظهر من ياء لان مادة (ل ي ت) موجودة فإن وجدت مادة (ل و ت) جاز أن تكون منقلبة من واو ، وقيل : تاء العوض ، والأصل لوية بزنة فعلة من لوى لانهم كانوا يلون عليه ويعتكفون للعبادة ، أو يلتون عليه أى يطوفون تخفف بحذف الياء وأبدلت واره ألفاً ، وعوض عن الياء تاءً أفصارت كتاء أخت وبنت ، ولذا وقف عليها بالتاء ، وقرأ ابن عباس . ومجاهد . ومنصور بن المعتمر . وأبو صالح . وطلحة . وأبو الجوزاء . ويعقوب . وابن كثير في رواية بتشديد التاء على أنه اسم فاعل من لت يلت إذا عجن قيل : كان رجل يلت السوق للحاج على حجر فلما مات عبدوا ذلك الحجر إجلالاً له وسموه بذلك ، وعن مجاهد أنه كان على صخرة في الطائف يصنع حيساً ويطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه ، وأخرج ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس أنه كان يلت السوق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبده ، وأخرج الفاكهي عنه أنه لما مات قال لهم عمرو بن لحي : إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتاً ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال : كان رجل من ثقيف يلت السوق بالزيت فلما توفي جعلوا قبره وثناً ، وزعم الناس أنه عامر بن الظرب أحد عدوان ، وقيل : غير ذلك (والعزى) لغطفان وهي على المشهور سمرة بنخلة - كما قال قتادة - وأصلها تأنيث الأعز ، وأخرج النسائي . وابن مردويه عن أبي الطفيل قال : « لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأناها خالد وكانت ثلاث سمرة فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال : ارجع فانك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما أبصرته السدنة مضوا وهم يقولون يا عزي يا عزي فأناها فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحو التراب على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال عليه الصلاة والسلام : تلك العزى » وفي رواية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إليها خالداً فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانه إلى رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : تلك العزى ولن تعبد أبداً » وقال ابن زيد : كانت العزى بالطائف ، وقال أبو عبيدة : كانت بالكعبة ، وأيده في البحر بقول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين لنا العزى ولا عزي لكم ، وذكر فيه أنه صنم وجمع بمثل ما تقدم ، (ومناة) قيل : صخرة كانت لهذيل . وخزاعة ، وعن ابن عباس لثقيف ، وعن قتادة للانصار بقديد ، وقال أبو عبيدة : كانت بالكعبة أيضاً ، واستظهر أبو حيان أنها ثلاثتها كانت فيها قال : لأن المخاطب في قوله تعالى : أرأيتم قريش ؟ وفيه بحث ، ومناة مقصورة قيل : وزنها فعلة ، وسميت بذلك لان دماء النساء كانت تمنى عندها أى تراق ، وقرأ ابن كثير على مافي البحر مناة بالمد والهمز كما في قوله :

ألا هل أتى تيم بن عبد (مناة) على الثأى فيما بيننا ابن تميم

ووزنها مفعلة فالألف منقلبة عن واو كما في مقالة ، والهمزة أصل وهي مشتقة من التوء كأنهم كانوا

يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها ، والظاهر أن (الثالثة الأخرى) صفتان لمناة وهما على ما قيل : للتأكيد فان كونها ثالثة وأخرى مغايرة لما تقدمها معلوم غير محتاج للبيان ، وقال بعض الأجلة : (الثالثة) للتأكيد ، و (الأخرى) للذم بأنها متأخرة في الرتبة وضعية المقدار ، وتعقبه أبو حيان بأن آخر ومؤثته أخرى لم يوضعالذم ولا لمدح وإنما يدلان على معنى غير ، والحق أن ذلك باعتبار المفهوم الاصلى وهى تدل على ذم السابقتين أيضاً قال فى الكشف : هى اسم ذم يدل على وضاعة السابقتين بوجه أيضاً لان (أخرى) تأنيث آخر تستدعى المشاركة مع السابق فاذا أتى بها لفصد التأخر فى الرتبة عملاً بمفهومها الاصلى إذ لا يمكن العمل بالمفهوم العرفى لان السابقتين ليستا ثالثة أيضاً استدعت المشاركة قضاءً لحق التفضيل ، وكأنه قيل : (الأخرى) فى التأخر انتهى وهو حسن ، وذكر فى نكتة ذم مناة بهذا الذم أن الكسفرة كانوا يزعمون أنها أعظم الثلاثة فأكذبهم الله تعالى بذلك * وقال الامام : (الأخرى) صفة ذم كأنه قال سبحانه : (ومناة الثالثة) الدلية وذلك لأن اللات كان على صورة آدمى (والعزى) صورة نبات (ومناة) صورة صخرة ، فالآدمى أشرف من النبات ، والنبات أشرف من الجماد - فالجماد متأخر - ومناة جماد فهى فى أخريات المراتب ، وأنت تعلم أنه لا يتأتى على كل الاقوال ، وقيل : (الأخرى) صفة للعزى لأنها ثانية اللات ، والثانية يقال لها (الأخرى) وأخرت لموافقة رموس الآى ، وقال الحسن ابن المفضل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير والعزى الأخرى (ومناة الثالثة) ولعمري إنه ليس بشئ ، والكلام خطاب لعبدة هذه المذكورات وقد كانوا مع عبادتهم لها يقولون : إن الملائكة عليهم السلام وتلك المعبودات الباطلة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقل لهم توبيخاً وتبكيثاً : (أفأيتم) الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى عليه عند كثير ، ومفعولها الثانى على ما اختاره بعضهم محذوف لدلالة الحال عليه ، فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وإحكام قدرته ونفاذ أمره أيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها بنات الله سبحانه وتعالى * وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۚ ﴾ (الكم) ٢١ توبيخ منى على ذلك التوبيخ ومداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه عز وجل حيث جعلوا له تعالى الاناث واختاروا لأنفسهم الذكور ، ومناط الاول نفس تلك النسبة ، وقيل : المعنى (أفأيتم) هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله سبحانه مع ما تقدم من عظمتهم ، وقيل : المعنى أخبروني عن آلهتكم هل لها شئ من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة ، وقيل : المعنى أظننتم أن هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم ، وقيل : المعنى (أفأيتم) هذه الاصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم ، ولا يخفى أن قوله تعالى : (ألكم) الخ لا يلشتم مع ما قبله على جميع هذه الاقوال التثامه على القول السابق ، وقيل : إن قوله سبحانه : (ألكم) الخ فى موضع المفعول الثانى للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الاول لما أن الاصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكور وهن أى تلك الاصنام فوضع موضعها الاثنى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ وهو على تكلفه يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقيقير الدليل على جناب الله تعالى العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه ، وفى الكشف وجه النظم الجليل أنه بعد ما صور أمر الوحي تصويراً تاماً وحققه بأن ما يستعده وحي لا شبهة فيه لانه رأى الآتى به وعرفه حق المعرفة قال سبحانه : (أفتأرونه على ما يرى) على معنى أتلاحونه بعد هذه البيانات على ما يرى من الآيات المحققة لانه على بينة من ربه سبحانه هادياً مهدياً ، وأنى يبقى للمراء مجال - وقد رآه نزلة أخرى - ١٩

وعرفه حق المعرفة، ثم قيل : (لقد رأى من آيات) الخ تنبيهها على أن ماعد منها فهو أيضا نفي للضلالة والغواية وتحقيق للدراية والهداية *

وقوله تعالى : (أفرايتم) عطف على تمارونه وإدخال الهمزة لزيادة الإنكار والفاء لأن القول بأمثاله مسبب عن الطبع والعناد وعدم الاصغاء لداعي الحق، والمعنى أبعد هذا البيان تستمرون على ما أنتم عليه من المراءفترون اللات والعزى ومناة أولاداً له تعالى ثم أحسها وسد مسد المفعول الثاني قوله تعالى : (ألكم) الخ زيادة للإنكار فعلى هذا ليس (أفرايتم) في معنى الاستخبار وجاز أن يكون في معناه على معنى (أفتمارونه) فأخبروني هل لكم الذكر وله الأثني ، والقول مقدر أى قفل لهم أخبروني والمعنى هو كذا تمكنا وتنبيهها على أنه نتيجة مرأئهم وأن من كان هذا معتقده فهو على الضلال الذي لا ضلال بعده ولا يبعد عن أمثاله نسبة الهادين المهديين إلى ما هو فيه من النقص انتهى، وما ذكره أولاً أولى وهو ليس بالبعيد عما ذكرنا ﴿ تلك ﴾ إشارة إلى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية ﴿ إذا قسمة ضيزى ٢٢ ﴾ أى جائرة حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه وبذلك فسر ضيزى ابن عباس . وقادة ، وفي معناه قول سفيان منقوصة، وابن زيد مخالفة، ومجاهد، ومقاتل عوجاء، والحسن غير معتدلة، والظاهر أنه صفة، واختلف في يائه فقيل : منقلبة عن واو، وقيل : أصلية، ووزنه فعلى بضم الفاء كجلى وأثني، ثم كسرت لتسلم الياء كما فعل ذلك في ييض جمع أبيض فان وزنه فعل بضم الفاء كحمر ثم كسرت الفاء لما ذكر ومثله شائع، ولم يجعل وزنه فعلى بالكسر ابتداءً لما ذهب إليه سيديويه من أن فعلى بالكسر لم يجئ عن العرب في الصفات وجعله بعضهم كذلك متفسكا بورود ذلك . فقد حكى ثعلب مشية حيكى، ورجل كيصى، وغيره امرأة عزهى وامرأة سعلى، ورد بأنه من النوادر والخل على الكثير المطرد في بابه أولى ، وأيضاً يمكن أن يقال في حيكى و كيصى ما قيل في ضيزى، ويمنع ورود عزهى وسعلى فان المعروف عزهارة وسعلارة، وجوز أن يكون ضيزى فعلى بالكسر ابتداءً على أنه مصدر كذكرى ووصف به مبالغة، ويجئ هذا الوصف في المصادر كما ذكر، والأسماء الجامدة كدفلى وشعرى، والجمع كجلى كثير، وقرأ ابن كثير ضيزى بالهمز على أنه مصدر وصف به، وجوز أن يكون وصفاً وهو مضموم عومل معاملة المعتل لأنه يؤول إليه . وقرأ ابن زيد ضيزى بفتح الصاد وبالياء على أنه كدعوى أو كسكرى ، ويقال ضؤزى بالواو والهمز وضم الفاء ؛ وقد حكى الكسائى ضازيضاً وضازاً بالهمز وأنشد الاخفش :

فان تناعنهما تقتصك وإن تغب فسهمك (مضنوز) وأنفك راغم

والاكثر ضازبلا همز كما في قول امرئ القيس :

(ضازت) بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

وأنشده ابن عباس على تفسيره السابق ﴿ إن هـ ﴾ الضمير للأصنام أى ما الأصنام باعتبار الألوهية التى تدعونها ﴿ إلا أسماء ﴾ محضة ليس فيها شئ ما أصلاً من معنى الألوهية؛ وقوله تعالى : ﴿ سَمِئْتُمْوهَا ﴾ صفة للأسماء وضميرها لها لا للأصنام، والمعنى جعلائها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست إلى الاسم فعنناها جعله اسماً للمسمى وإن قيست إلى المسمى فعنناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير ههنا

المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما في قوله سبحانه : (ماتعبدون من دونه إلا أسماء) الآية لأن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية ، وقيل : هي للأسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرايين ، وتعقب بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هي في سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الوصف بطريق الأولوية أي ما هي شئ من الأشياء إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها ﴿ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ ﴾ بمقتضى الاهواء الباطلة ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ برهان يتعلقون به ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ ﴾ أي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بها ﴿ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق توهمهما باطلاً ، فالظن هنا مراد به التوهم وشاع استعماله فيه ، ويفهم من كلام الراغب أن التوهم من أفراد الظن ﴿ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ أي والذي تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء على أن (ما) موصولة وعائدها مقدر - وأل - في الانفس للعهد ، أو عوض عن المضاف اليه ، وجوز كون (ما) مصدرية وكذا جوز كون - أل - للجنس والنفس من حيث هي إنما تهوى غير الأفضل لأنها مجبولة على حب الملاذ وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل ، والالفتات في (يتبعون) إلى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم ، وحكاية جناياتهم لغيرهم ، وقرأ ابن عباس . وابن مسعود . وابن وثاب . وطلحة . والاعمش وعيسى بن عمر - تتبعون - بقاء الخطاب ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ حال من ضمير ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ مقرر لبطلان ما هم عليه من اتباع الظن والهوى ، والمراد بالهدى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو القرآن العظيم على أنه بمعنى الهادي أو جعله هدى مبالغة أي ما يتبعون إلا ذلك ، والحال لقد جاءهم من ربهم جل شأنه ما ينبغي لهم معه تركه واتباع سبيل الحق •

وحاصله (يتبعون) ذلك في حال ينافيه ، وجوز أن تكون الجملة معترضة وهي أيضا مؤكدة لبطلان ذلك ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا مَمْنَى ۚ ٢٤ ﴾ (أم) منقطعة مقدرة - بيل - وهي للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلاً ؛ والهمزة وهي للانكار والنفي أي بل ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه ، ومفاده قيل : رفع الإيجاب الكلي ومرجهه إلى سالبة جزئية ، واليه يشير قول بعضهم : المراد نفي أن يكون للكفرة ما كانوا يطمعون فيه من شفاعاة الآلهة والظفر بالحسن عند الله تعالى يوم القيامة وما كانوا يشتهونه من نزول القرآن على رجل من إحدى القريتين عظيم ونحو ذلك ، ويفهم من كلام بعض المحققين أن المراد السلب الكلي ، والمعنى لاشئ مما يتمناه الانسان مملوكاً له مختصاً به يتصرف فيه حسب إرادته ويتضمن ذلك نفي أن يكون للكفرة ماذكر وليس الانسان خاصاً بهم كما قيل ، وقوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۚ ٢٥ ﴾ تعليل لانتفاء ذلك فان اختصاص ملك أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتضى لانتفاء أن يكون للانسان أمر من الامور بل ماشاء الله تعالى له كان وما لم يشأ لم يكن ، وقدست الآخرة اهتماً ما برد ما هو أهم أطماعهم عندهم من الفوز فيها ، ولذا أدف ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ وإقناطهم عما طمعوا به من شفاعاة الملائكة عليهم السلام موجب لإقناطهم عن شفاعاة الاصنام بطريق الاولوية (وكم) خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء ، والخبر الجملة المنفية ، وجمع الضمير في شفاعتهم مع أفراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء في وقت من الاوقات ﴿ إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ ﴾ لهم في الشفاعاة *

﴿ لَمَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يشفعوا له ﴿ وَيَرْضَى ٢٦ ﴾ ويراه سبحانه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والايان ، وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل . وعنه بألف ألف منزل ، وجوز أن يكون المراد إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة بالشفاعة ويراه عز وجل أهلاً لها ، وأياً ما كان فالمعنى على أنه إذا كان حال الملائكة في باب الشفاعاة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ، والكلام قيل من باب :

* على لاحب لا يهتدى بمناره * فحاصله لاشفاعاة لهم ولا غناء بدون أن يأذن الله سبحانه الخ ، وقيل : هو وارد على سبيل الفرض فلا يخالف قوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ، وقرأ زيد بن علي شفاعته بإفراد الشفاعاة والضمير ، وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكامل أى القاسم الهذلي ، وأفردت الشفاعاة في قراءة الجمهور قال أبو حيان : لأنها مصدر ولأنهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ﴿ لَيْسُوا بِالْمَلَائِكَةِ ﴾

المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق ﴿ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى ٢٧ ﴾ فانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يقولون ، (والملائكة) في معنى استغراق المفرد فيكون التقدير ليسمون كل واحد من (الملائكة تسمية الانثى) أى يسمونه بناتاً لأنهم إذا قالوا ذلك فقد جعلوا كل واحد منهم بنتاً ، فالكلام على وزان كسانا لا مير حلة أى كسا كل واحد منا حلة ، والإفراد لعدم اللبس ، ولذا لم يقل تسمية الإناث فلا حاجة إلى تأويل الانثى بالإناث ولا إلى كون المراد الطائفة الانثى ، وما ذكر أولاً قيل : مبنى على أن تسمية الانثى في النظم الجليل ليس نصباً على التشبيه وإلا فلا حاجة إليه أيضاً ، وفي تعليق التسمية بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشناعة والفضاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ حال من فاعل (يسمون) وضمير به للمذكور من التسمية وبهذا الاعتبار ذكر ، أو باعتبار القول أى يسمونهم إنثاءً ، والحال أنهم لا علم لهم بما يقولون أصلاً ، وقرأ أبى بها أى بالتسمية ، أو بالملائكة ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ ﴾ أى ما يتبعون في ذلك ﴿ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ أى التوهم الباطل ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ ﴾ أى جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الاضمار ، وقيل : الإظهار ليستقل الكلام استقلال المثل *

﴿ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ من الإغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ وما هو عليه إنما يدرك إدراكاً معتداً به إذا كان عن يقين لا عن ظن وتوهم فلا يعتد بالظن في شأن المعارف الحقيقية أعنى المطالب الاعتقادية التى يلزم فيها الجزم ولولم يكن عن دليل ، وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدى إليها *

وفسر بعضهم الحق بالله عز وجل لقوله سبحانه : (ذلك بأن الله هو الحق) ، واستدل بالآية من لم يعتبر

التقليد في الاعتقادات - وفيه بحث - والظاهرة على إبطاله مطلقاً ، وإبطال القياس ورده على أتم وجه في الأصول ، وما أخرج ابن أبي حاتم عن أيوب قال : قال عمر بن الخطاب : احذروا هذا الرأي على الذين فاتما كان الرأي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصيباً لأن الله تعالى كان يريه وإنما هو منا تكلف وظن (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) هو أحد أدلتهم على إبطال القياس أيضاً ، وقد حكى الآمدى في الاحكام نحوه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال : قال ابن عمر : اتهموا الرأي عن الذين فإن الرأي منا تكلف وظن (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) وأجاب عنه بأن غايته الدلالة على احتمال الخطأ فيه وليس فيه ما يدل على إبطاله ، وأن المراد بقوله : (إن الظن) الخ استعمال الظن في مواضع اليقين وليس المراد به إبطال الظن بدليل صحة العمل بظواهر الكتاب والسنة ، ويقال نحو هذا في كلام عمر رضي الله تعالى عنه ، وقد ذكر جملة من الآثار استدلل بها المبطل على ما زعمه ورددها كلها فن أراد ذلك فليراجعه (فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما في حيز صلتهم من الأوصاف القيحة ، وتعليل الحكم بها أى فأعرض عنهم أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم الحق وهو القرآن العظيم . المنطوى على بيان الاعتقادات الحقة . المشتمل على علوم الاولين والآخرين . المذكور للآخره وه افهام الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ، والمراد بالاعراض عنه ترك الأخذ بما فيه وعدم الاعتناء به ، وقيل : المراد بالذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وبالأعراض عنه ترك الأخذ بما جاء به ، وقيل : المراد به الايمان ، وقيل : هو على ظاهره والاعراض عنه كناية عن الغفلة عنه عز وجل (وَلَمْ يَرَوْا إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٢٩) راضياً بها قاصراً نظره عليها جاهداً فيما يصلحها كالنضر بن الحرث . والوليد بن المغيرة ، والمراد من الأمر المذكور النهى عن المبالغة في الحرص على هدام كانه قيل . لا تبالغ في الحرص على هدى من تولى عن ذكرنا وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه ، وقوله تعالى : (ذَلِكَ) أى أمر الحياة الدنيا المفهوم من الكلام ولذا ذكر اسم الإشارة ، وقيل : أى ما أدام إلى ما هم فيه من التولى وقصر الإرادة على الحياة الدنيا ، وقيل : ذلك إشارة إلى الظن الذى يتبعونه ، وقيل : إلى جعلهم الملائكة بنات الله سبحانه وكلا القولين كما ترى (مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ) أى منتهى علمهم لا علم لهم فوفقه اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا . والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد ، وضمير (مبلغهم) - لمن - وجمع باعتبار معناه كما أن إفراده قبل باعتبار لفظه ، وقوله سبحانه :

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ٣٠) تعليل للأمر بالاعراض ، وتكرير قوله تعالى : (هو أعلم) لزيادة التقرير والايذان بكال تباين المعلومين ، والمراد (بمن ضل) من أصر على الضلال ولم يرجع إلى الهدى أصلاً ، و (بمن اهتدى) من شأنه الاهتداء في الجملة ، أى هو جل شأنه المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبداً ، وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره سبحانه فلا تعب نفسك في دعوتهم ولا تبالغ في الحرص عليها فانهم من القليل الاول ، وقوله تعالى : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى له ذلك على الوجه الآتم أى خلقاً وملكاً لا غيره عز وجل أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً ، ويشعر بفعل يتعلق به

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أى خلق ما فيهما ليجزى الضالين بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بياناً لحاله ؛ أو بمثل ما عملوا ، أو بسبب ما عملوا على أن الباء صلة الجزاء بتقدير مضاف أولسببية بلا تقدير ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أى اهدتوا ﴿بِالْحُسْنَى﴾ أى بالثبوت الحسنى التى هى الجنة ، أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الأعمال الحسنى تكميل لما قبل لأنه سبحانه لما أمره عليه الصلاة والسلام بالاعراض نفي توهم أن ذلك لأنهم يتركون سدى ، وفى العدول عن ضمير ربك إلى الاسم الجامع ما ينبئ عن زيادة القدرة وأن السلام مسوق لوعيد المعرضين وأن تسوية هذا الملك العظيم لهذه الحكمة فلا بد من ضال ومهتد ، ومن أن يلقى كل ما يستحقه ، وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى الحسنى جزاءً لتبليغه وهم يلقون السوأى جزاءً لتكذيبهم ، وكرر فعل الجزاء لابرار كال الاعتناء به والتنبه على تباين الجزاءين •

وجوز أن يكون معنى (فأعرض) الخ لا تقابلهم بصنيعهم وكلهم إلى ربك أنه أعلم بك وبهم فيجزى كلا ما يستحقه ، ولا يخفى ما فى العدول عن الضميرين فى (بمن ضل) (وبمن اهتدى) وجعل قوله تعالى: (ليجزى) على هذا متعلقاً بما يدل عليه قوله تعالى: (إن ربك هو أعلم) الخ أى ميز الضال عن المهتدى وحفظ أحوالهم (ليجزى) الخ ، وقوله سبحانه : (ولله ملك السموات) جملة معترضة تؤكد حديث أنهم يجزون البتة ولا يهملون كأنه قيل: هو سبحانه أعلم بهم وهم تحت ملكه وقدرته ، وجوز على ذلك المعنى أن يتعلق (ليجزى) بقوله تعالى: (ولله ما فى السموات) كما تقدم على تأكيد أمر الوعيد ، أى - هو أعلم بهم - وإنما سوى هذا الملك للجزاء ، ورجح بعضهم ذلك المعنى بالوجهين المذكورين على ما مر ، وجوز فى جملة (لله ما فى السموات) كونها حالا من فاعل أعلم سواء كان بمعنى عالم أولاً ، وفى (ليجزى) تعلقه - بضل . واهتدى - على أن اللام للعاقبة أى هو تعالى (أعلم بمن ضل) ليؤول أمره إلى أن يجزيه الله تعالى بعمله ، (وبمن اهتدى) ليؤول أمره إلى أن يجزيه بالحسنى ، ولا يخفى بعده ، وأبعد منه بمراحل تعلقه بقوله سبحانه : (لا تغنى شفاعتهم) كما ذكره مكى ، وقرأ زيد بن على - لنجزى - ونجزى بالنون فيهما ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ﴾ بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلاته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره . أو يان . أو نعت . أو منصوب على المدح . أو مرفوع على أنه خبر محذوف ؛ و(الأثم) الفعل المبطى عن الثواب وهو الذنب . وكبائر ما يكبر عقابه ، وقرأ حمزة . والكسائى . وخلف - كبير الأثم - على إرادة الجنس ، أو الشرك ﴿وَالْفَوْ حَشَ﴾ ما عظم قبحه من الكبائر فعطفه على ما تقدم من عطف الخاص على العام ، وقيل: الفواحش والكبائر مترادفتان ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ما صغر من الذنوب وأصله ما قل قدره ، ومنه لمة الشعر لأنها دون الوفرة ، وفسره أبو سعيد الخدرى بالنظرة . والغمرة . والقبلة وهو من باب التثيل ، وقيل : معناه الدنو من الشئ دون ارتكاب له من الممت بكذا أى نزلت به وقاربته من غير موافقة - وعليه قول الرماني - هو الهمة بالذنب وحديث النفس دون أن يواقع ، وقول ابن المسيب : ما خطر على القلب ، وعن ابن عباس . وابن زيد هو ما ألموا به من الشرك والمعاصى فى الجاهلية قبل الاسلام ، والآية نزلت لقول الكفار للمسلمين قد كنتم بالأمس تعملون أعمالنا فهى مثل قوله تعالى: (وأن تجمعوا بين الإختين إلا ما قد سلف) على ما فى البحر ، وقيل: هو مطلق الذنب •

وفي رواية عن ابن عباس أنه ما يلم به المرء في الحين من الذنوب ثم يتوب، والمعظم على تفسيره بالصغائر والاستثناء منقطع، وقيل: إنه لاستثناء فيه أصلاً، و(إلا) صفة بمعنى غير إما لجعل المضاف إلى المعرف باللام الجنسية أعنى كبائر الاثم في حكم النكرة، أو لأن غير و(إلا) التي بمعناها قد يتعرفان بالاضافة كما في (غير المغضوب) وتعقبه بعضهم بأن شرط جواز وقوع (إلا) صفة كونها تابعة لجمع منكر غير محصور ولم يوجد هنا، ورد بأن هذا مذهب إليه ابن الحاجب، وسيدويه يرى جواز وقوعها صفة مع جواز الاستثناء فهو لا يشترط ذلك، وتبعه أكثر المتأخرين، نعم كونها هنا صفة خلاف الظاهر ولاداعي إلى ارتكابها، والآية عند أكثرين دليل على أن المعاصي منها كبائر ومنها صغائر وأنكر جماعة من الأئمة هذا الانقسام وقالوا: سائر المعاصي كبائر، منهم الاستاذ أبو إسحق الأسفرائني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين في الارشاد، وتقى الدين السبكي. وابن القشيري في المرشد بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة، واختاره في تفسيره فقال: معاصي الله تعالى كلها عندنا كبائر وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالاضافة، وحكى الانقسام عند المعتزلة، وقال: إنه ليس بصحيح، وقال القاضي عبد الوهاب: لا يمكن أن يقال في معصية إنها صغيرة إلا على معنى أنها تصغر باجتناب الكبائر ويوافق ذلك ما رواه الطبراني عن ابن عباس لكنه منقطع أنه ذكر عنده الكبائر فقال: كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة، وفي رواية كل شئ عصى الله تعالى فيه فهو كبيرة، والجمهور على الانقسام قيل: ولا خلاف في المعنى، وإنما الخلاف في التسمية، والاطلاق لاجماع الكل على أن من المعاصي ما يقدر في العدالة ومنها ما لا يقدر فيها وإنما الاولون فروا من التسمية فكروا تسمية معصية الله تعالى صغيرة نظراً إلى عظمة الله عز وجل وشدة عقابه سبحانه وإجلاله جل شأنه عن تسمية معصيته صغيرة لأنها بالنظر إلى باهر عظمته كبيرة أى كبيرة، ولم ينظر الجمهور إلى ذلك لأنه معلوم؛ وقسموها إلى ما ذكر لظواهر الآيات والاحاديث ولذلك قال الغزالي: لا يليق إنكار الفرق بين الكبائر والصغائر وقد عرفنا من مدارك الشرع، ثم القائلون بالفرق اختلفوا في حد الكبيرة فقيل: هي ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وهي عبارة كثير من الفقهاء، وقيل: كل معصية أوجب الحد - وبه قال بغوى. وغيره - والاول أوفق لما ذكره في تفصيل الكبائر إذ عدوا الغيبة والنميمة والعقوق وغير ذلك منها ولا حد فيه فهو أصح من الثاني وإن قال الرافعي: إنهم إلى ترجيحه أميل، وقد يقال: يرد على الاول أيضاً أنهم عدوا من الكبائر ما لم يرد فيه بخصوصه وعيد شديد *

وقيل: هي كل مانص الكتاب على تحريمه أو وجب في جنسه حد وترك فريضة تجب فوراً والكذب في الشهادة والرواية واليمين، زاد الهروي. وشريح وكل قول خالف الاجماع العام، وقيل: كل جريمة تؤذن بقلّة اكرات مرتكبها بالدين ورقة الديانة وهو المحكى عن إمام الحرمين، ورجحه جمع لما فيه من حسن الضبط، وتعقب بأنه بظاھر يتناول صغيرة الحسة، والامام - كما قال الاذري - إنما ضبط به ما يبطل العدالة من المعاصي الشاملة لذلك لا الكبيرة فقط، نعم هو أشمل من التعريفين الاولين، وقيل: هي ما أوجب الحد أو توجه اليه الوعيد ذكره الماوردي في فتاويه، وقيل: كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه فان فعله على وجه يجمع وجهين أو جوها من التحريم كان فاحشة، فالزنا كبيرة وبجيلة الجار فاحشة والصغيرة تعاطي ما تنقص رتبته عن رتبته المنصوص عليه. أو تعاطيه على وجه دون المنصوص عليه فان تعاطاه على وجه يجمع وجهين أو أكثر من التحريم

كان كبيرة. فالقبلة . واللمس . والمفاخذة صغيرة ، ومع حليلة الجار كبيرة كذا نقله ابن الرفعة وغيره عن القاضي حسين عن الحلبي ، وقيل : هي كل فعل نص الكتاب على تحريمه أى بلفظ التحريم وهو أربعة أشياء ، أكل الميتة ، ولحم الخنزير ، ومال اليتيم ، والفرار من الزحف ورد بمنع الحصر ، وقيل : إنها كل ذنب قرن به حد ، أو وعيد . أو لعن نص كتاب . أو سنة . أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به ذلك . أو أكثر . أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعاراً صغر الكبائر المنصوص عليها بذلك كما لو قتل من يعتقد معصوما فظهر أنه مستحق لدمه أو وطئ امرأة ظاناً أنه زان بها فاذا هي زوجته أو أمته ، وإلى ذهب شيخ الإسلام البارزي وقال : هو التحقيق ، وقيل : غير ذلك ، واعتمد الواحدى أنها لا حد لها يحصرها فقال : الصحيح أن الكبيرة ليس لها حد يعرفها العباد به وإلا لا قبح للناس الصغائر واستباحوها ولكن الله تعالى أخفى ذلك عنهم ليجتهدوا في اجتناب المنهى عنه رجاء أن تجتنب الكبائر ، ونظير ذلك إخفاء الاسم الأعظم . والصلاة الوسطى . وليلة القدر . وساعة الإجابة ، وقال العلامة ابن حجر الهيتمي : كل ما ذكر من الحدود إنما قصده التقریب فقط وإلا فهي ليست بحدود جامعة ، وكيف يمكن ضبط ما لا مطلق في ضبطه ؟ وذهب جمع إلى تعريفها بالعد ، فعن ابن عباس أنها ما ذكره الله تعالى في أول سورة النساء إلى قوله سبحانه : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) *

وقيل : هي سبع وروى ذلك عن علي كرم الله تعالى وجهه . وعطاء . وعبيد بن عمير ، واستدل له بما في الصحيحين «اجتنبوا السبع الموبقات . الاشرار بالله تعالى . والسحر . وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق . وأكل مال اليتيم . وأكل الربا . والتولي يوم الزحف . وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وقيل : خمس عشرة ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : أربع ، وعن ابن مسعود ثلاث ، وفي رواية أخرى عشرة ، وقال شيخ الإسلام العلائي : المنصوص عليه في الأحاديث أنه كبيرة خمس وعشرون ، وتعقبه ابن حجر بزيادة على ذلك ، وقال أبو طالب المكي : هي سبع عشرة أربع في القلب . الشرك . والاصرار على المعصية . والقنوط . والأمن من المكر ، وأربع في اللسان . القذف . وشهادة الزور . والسحر ، وهو كل كلام يغير الانسان أو شيئاً من أعضائه . واليمين الغموس وهي التي تبطل بها حقاً أو تثبت بها باطلاً ، وثلاث في البطن . أكل مال اليتيم ظلماً . وأكل الربا . وشرب كل مسكر ، واثنان في الفرج . الزنا . واللواط . واثنان في اليد القتلة . والسرقه ، وواحدة في الرجل . الفرار من الزحف ، وواحدة في جميع الجسد عقوق الوالدين ، وفيه مافيه ، وروى الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً قال له : كم الكبائر سبع هي ؟ فقال هي إلى سبع مائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، وقد ألف فيها غير واحد من العلماء ، وفي كتاب الزواج تأليف العلامة ابن حجر مافيه كفاية فليراجع ، والله تعالى الموفق وإنا لنستغفره وتوب اليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، فالجمله تعليل لاستثناء اللطم ، وتنبه على أن إخراجهم عن حكم المؤاخذه ليس لخلوهم عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية ، وجوز أن يكون المعنى له سبحانه أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ، ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعده المحسنين بذلك حينئذ لئلا يئس صاحب الكبيرة من رحمة تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه عز وجل ، وزعم بعض جواز كون الموصول مبتدأ وهذه الجملة خبره والرباط محذوف أى (واسع المغفرة) لهم ليس بشئ كما لا يخفى .

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أى بأحوالكم من كل أحد ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ﴾ في ضمن إنشاء أيكم آدم عليه السلام *

﴿مَنْ الْأَرْضُ﴾ إنشاءً إجمالياً حسب ما مر تحقيقه ، وقيل : إنشاؤهم من الأرض باعتبار أن المني الذي يتكونون منه من الاغذية التي منشؤها من الأرض ، وأياً ما كان - فاذا - ظرف - لأعلم - وهو على باب من التفضيل . وقال مكي : هو بمعنى عالم إذ تعلق عليه تعالى بأحوالهم في ذلك الوقت لا مشارك له تعالى فيه ، وتعقب بأنه قد يتعلق علم من أطلعه الله تعالى من الملائكة عليه ، وقيل : (إذ) منصوب بمحذوف ، والتقدير اذكروا (إذ أنشأكم) وهو كما ترى ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ﴾ ووقت كونكم أجنة ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه سبحانه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جماتها اللطم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله ، فالجمله استئناف مقرر لما قبلها وذكر (في بطون أمهاتكم) مع أن الجنين ما كان في البطن للإشارة إلى الاطوار كما أشرنا إليه ، وقيل : لتأكيد شأن العلم لما أن بطن الام في غاية الظلمة ، والفاء في قوله تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لترتيب النهي عن تزكية النفس على ماسبق من أن عدم المؤاخذه باللطم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه سبحانه بصدوره عنكم أي إذا كان الامر كذلك فلا تتنذروا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بزكاء العمل وزيادة الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته جل شأنه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها كذا في الارشاد ، وقيل : اتقى الشرك ، وقيل : اتقى شيئاً من المعاصي ، والآية نزلت على ما قيل : في قوم من المؤمنين كانوا يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وهذا مذموم منهى عنه إذا كان بطريق الإعجاب ، أو الرياء أما إذا لم يكن كذلك فلا بأس به ولا يعد فاعله من المزكين أنفسهم ، ولذا قيل : المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ، ولا فرق في التزكية بين أن تكون عبارة وأن تكون إشارة وعد منها التسمية بنحو برة ، أخرج أحمد . ومسلم . وأبو داود . وابن مردويه . وابن سعد عن زينب بنت أبي سلمة أنها سميت برة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : «لاتزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم سموها زينب» وكذا غير عليه الصلاة والسلام إلى ذلك اسم برة بنت جحش ، وتغيير مثل ذلك مستحب وكذا ما يوقع فيه بعض الناس في شيء من الطيرة كبركة ويسار ، والنهي عن التسمية به للتنزيه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى جابر : «إن عشت إن شاء الله أنهى أمتي أن يسموا نافعاً وأفطح وبركة» محمول كما قال النووي على إرادة أنهى نهى تحريم ، والظاهر أن كراهة ما يشعر بالتزكية مخصوصة بما إذا كان الاشعار قويا كما إذا كان الاسم قبل النقل ظاهر الدلالة على التزكية مستعملاً فيها فلا كراهة في التسمية بما يشعر بالمدح إذا لم يكن كذلك كسعيد وحسن ، وقد كان لعمر رضي الله تعالى عنه ابنة يقال لها : عاصية فسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جميلة كذا قيل ، والمقام بعد لا يخلو عن بحث فليراجع ، وقيل : معنى - لاتزكوا أنفسكم - لا يزي بعضكم بعضاً ، والمراد النهي عن تزكية السمعة أو المدح للدنيا ، أو تزكية على سبيل القطع ، وأما التزكية لاثبات الحقوق ونحوه فهي جائزة ، وذهب بعضهم إلى أن الآية نزلت في اليهود .

أخرج الواحدى . وابن المنذر . وغيرهما عن ثابت بن الحرث الانصارى قال : « كانت اليهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا : هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله تعالى في بطن أمها إلا يعلم سعادتها أو شقاوتها » فأنزل الله سبحانه عند ذلك (هو أعلم بكم) الآية .

(أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۚ ۢ۲۳) أى عن اتباع الحق والثبات عليه (وَأَعْطَى قَلِيلًا) أى شيئاً قليلاً ، أو إعطاءً قليلاً (وَأُكْدِيَ ۚ ۢ۲٤) أى قطع العطاء من قولهم حفر فأكدى إذا بلغ إلى كدبه أى صلابته فى الارض فلم يمكنه الحفر ، قال مجاهد. وابن زيد: نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم إنه عاتبه رجل من المشركين ، وقال له : أنت ترك ملة آبائك ١٤ ارجع إلى دينك واثبت عليه وأنا أنحمل عنك كل شئ. تخافه فى الآخرة لكن على أن تعطينى كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام وصل ضلالاً بعيداً ، وأعطى بعض المال لذلك الرجل ثم أمسك عنه وشج ، وقال الضحاك : هو النضر بن الحرث أعطى خمس فلائص لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له أن يحمل عنه ما ثم رجوعه ، وقال السدى : نزلت فى العاص بن وائل السهمى كان يوافق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض الأمور ، وقال محمد بن كعب : فى أنى جهل قال : والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الاخلاق ، والاول هو الأشهر الأنسب لما بعده من قوله سبحانه : (أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْقَيْبِ) إلى آخره ، وأما ما فى الكشف من أنها نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال له عبدالله بن سعيد بن أبى سرح : يوشك أن لا يبقى لك شئ. فقال عثمان : إن لى ذنوباً وخطايا وإنى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله : أعطى ناقتك برحلتها وأنا أحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فباطل - كما قال ابن عطية - ولا أصل له ، وعثمان رضى الله تعالى عنه منزّه عن مثل ذلك ، و(أفرايت) هنا على ما فى البحر بمعنى أخبرنى ومفعولها الاول الموصول ، والثانى الجملة الاستفهامية ، والفاء فى قوله تعالى : (فَهَوَّيْ) للتسبب عما قبله أى أعنده علم بالأمور الغيبية فهو بسبب ذلك يعلم أن صاحبه يتحمل عنه يوم القيامة ما يخافه ، وقيل : يرى أن ماسمعه من القرآن باطل ، وقال الكلبي : المعنى أنزل عليه قرآن فرأى أن ماصنعه حق ، وأياً ما كان - فيرى - من الرؤية القلبية ، وجوز أن تكون من الرؤية البصرية أى فهو يبصر ما خفى عن غيره بما هو غيب (أَمْ لَمْ يَبْأَنَّ) أى بل ألم يخبر •

(بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) وهى التوراة (وَلَا بُرْهِيمَ) وبما فى صحف إبراهيم التى نزلت عليه (الَّذِي وَفَّى) أى وفر وأتم ما أمر به ، أو بالغ فى الوفاء بما عاهد عليه الله تعالى ، وقال ابن عباس : وفى بسهام الاسلام كلها ولم يوفها أحد غيره وهى ثلاثون سهماً منها عشرة فى برامة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآيات ، وعشرة فى الأحزاب (إن المسلمين والمسلمات) الآيات ، وست فى - قد أفلح المؤمنون - الآيات التى فى أولها ، وأربع فى سأل سائل (والذين يصدقون يوم الدين) الآيات ، وفى حديث ضعيف عن أبى أمامة يرفعه ، وفى أربع ركعات كان يصلين فى كل يوم ، وفى رواية يصلين أول النهار •

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً أيضاً «ألا أخبركم لم سمي الله تعالى إبراهيم خليله الذى وفى أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى سبحان الله حين تمشون وحين تصبحون الآية» وقال عكرمة : (وفى) بتبليغ هذه العشرة أن لا تزر إلى آخره (وقيل ، وقيل :) والاولى العموم وهو مروي عن الحسن قال : ما أمره الله تعالى بشئ إلا وفى به وتخصيصه عليه السلام بهذا الوصف لاحتماله مالا يحتمله غيره ، وفى قصة الذبح ما فيه كفاية

وخص هذان النبيان عليهما السلام بالذكر قيل: لأنه فيما بين نوح . وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وبأبيه وعمه وخاله ، والزوج بامرأته ، والعبد بسيده فأول من خالفهم إبراهيم وقرر ذلك موسى ولم يأت قبله مقرر مثله عليه السلام ، وتقديمه لما أن صحفه أشهر عندهم وأكثر ، وقرأ أبو أمامة الباهلي . وسعيد بن جبير . وأبو مالك الغفاري . وابن السميع . وزيد بن علي (وفي) بتخفيف الفاء ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن (أن) هي المخففة من الثقلية وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف ، والجملة المنفية خبرها وحمل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى ، أو الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف والاستئناف يباين كانه قيل: ما في صحفهما؟ فقليل: هو (أن لا تزر) الخ ، والمعنى أنه لا يؤخذ أحد بدين غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ، ولا يقدح في ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره لا وزر غيره ، وقوله تعالى :

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ﴾ بيان لعدم إثابة الانسان بعمل غيره إثر بيان عدم مؤاخذته بذنب غيره (وأن) كاختها السابقة ، و(ما) مصدرية وجوز كونها موصولة أي ليس له إلا سعيه ، أو إلا الذي سعى به وفعله ، واستشكل بأنه وردت أخبار صحيحة بنفع الصدقة عن الميت ، منها ما أخرجه مسلم . والبخاري . وأبو داود . والنسائي عن عائشة «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم» وكذا بنفع الحج .

أخرج البخاري . ومسلم . والنسائي عن ابن عباس قال : «أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : إن اختي نذرت لأن تحج وأنها ماتت فقال النبي عليه الصلاة والسلام: لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال: لحق الله أحق بالقضاء.» وأجيب بأن الغير لما نوى ذلك الفعل له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكأنه بسعيه ، وهذا لا يتأتى إلا بطريق عموم المجاز ، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز ، وأجيب أيضاً بأن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعى نفسه من الايمان فكأنه سعيه ، ودل على بئانه على ذلك ما أخرجه أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام ابنه نحر حصته خمسين وأن عمرأ سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال : «أما أبوك فلو كان أقرب بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفقه ذلك» وأجيب بهذا عما قيل : إن تضعيف الثواب الوارد في الآيات ينافي أيضاً القصر على سعيه وحده ، وأنت تعلم ما في الجواب من النظر ، وقال بعض أجلة المحققين إنه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الاتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية فتقيد بما لا يهبه العامل ، وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى : (والله يضاعف لمن يشاء) فقال : ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله تعالى فقبل عبد الله رأس الحسين ، وقال عكرمة : كان هذا الحكم في قوم إبراهيم . وموسى عليهما السلام ، وأما هذه الأمة فلا انسان منها سعى غيره يدل عليه حديث سعد بن عباد «هل لأمي إذا تطوعت عنها؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : نعم» وقال الربيع : الانسان هنا الكافر ، وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره ، وعن ابن عباس أن الآية منسوخة بقوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان أحققنا بهم ذرياتهم) وقد أخرج عنه ما يشعر به أبو داود

والنحاس كلاهما في النسخ ، وابن جرير . وابن المنذر . وابن مردويه ، وتعقب أبو حيان رواية النسخ بأنها لا تصح لأن الآية خبر لم تضمن تكليفاً ولا نسخ في الاخبار . وما يتوهم جواباً من أنه تعالى أخبر في شريعة موسى . وإبراهيم عليهما السلام أن لا يجعل الثواب لغير العامل ثم جعله لمن بعدهم من أهل شريعتنا مرجعه إلى تقييد الاخبار لا إلى النسخ إذ حقيقته أن يراد المعنى ، ثم من بعد ذلك ترتفع إرادته ، وهذا تخصيص الارادة بالنسبة إلى أهل الشرائع فافهمه ، وقيل : اللام بمعنى على أي ليس على الانسان غير سعيه ، وهو بعيد من ظاهرها ومن سياق الآية أيضاً فانها وعظ للذي تولى وأعطى قليلاً وكدي ، والذي أميل إليه كلام الحسين ، ونحوه كلام ابن عطية قال : والتحرير عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى هو اللام من قوله سبحانه : (للا انسان) فاذا حققت الشيء الذي حق الانسان أن يقول فيه لي كذا لم تجده إلا سعيه وما يكون من رحمة بشفاعة ، أو رعاية أب صالح ، أو ابن صالح ، أو تضعيف حسنات ، أو نحو ذلك فليس هو للانسان ولا يسعه أن يقول لي كذا وكذا إلا على تجوز ، وإلحاق بما هو حقيقة انتهى *

ويعلم من مجموع ما تقدم أن استدلال المعتزلة بالآية على أن العبد إذا جعل ثواب عمله أي عمل كان لغيره لا ينجعل ويلغو جعله غير تام ؛ وكذا استدلال الامام الشافعي بها على أن ثواب القراءة لا تلحق الأموات - وهو مذهب الامام مالك - بل قال الامام ابن الهمام : إن مالكا والشافعي لا يقولان بوصول العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة بل غيرها كالصدقة والحج ، وفي الاذكار للنووي عليه الرحمة المشهور من مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وجماعة أنها لا تصل ، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعي إلى أنها تصل ، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان ، والظاهر أنه إذا قال ذلك ونحوه كوهبت ثواب ما قرأته لفلان بقلبه كفي ، وعن بعضهم اشتراط نية النيابة أول القراءة وفي القلب منه شيء ، ثم الظاهر أن ذلك إذا لم تكن القراءة بأجرة أما إذا كانت بها كما يفعله أكثر الناس اليوم فانهم يعطون حفظة القرآن أجرة ليقروا الموتاهم فيقرمون لتلك الأجرة فلا يصل ثوابها إذ لا ثواب لها يصل لحرمة أخذ الأجرة على قراءة القرآن وإن لم يحرم على تعليمه كحقيقته خاتمة الفقهاء المحققين الشيخ محمد الأمين بن عابدين الدهشقي رحمه الله تعالى ، وفي الهداية من كتاب الحج عن الغير إطلاق صحة جعل الانسان عمله لغيره ولو صلاة وصوماً عند أهل السنة والجماعة ، وفيه ما علمت مامت أنفا *

وقال الخفاجي : هو محتاج إلى التحرير وتحريمه أن محل الخلاف العبادة البدنية هل تقبل النيابة فتسقط عن لزومه بفعل غيره سواء كان باذنه أم لا بمدحياته أم لا فهذا وقع في الحج كما ورد في الاحاديث الصحيحة ، أما الصوم فلا ، وما ورد في حديث « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » وكذا غيره من العبادات فقال الطحاوي : إنه كان في صدر الاسلام ثم نسخ وليس الكلام في الفدية وإطعام الطعام فانه بدل وكذا إهداء الثواب سواء كان بعينه أو مثله فانه دعاء وقبوله بفضل عز وجل كالصدقة عن الغير فاعرفه انتهى فلا تغفل *

((وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى . ع)) أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء ، وفي البحر يراه حاضرو القيامة ويطلعون عليه تشریفاً للمحسن وتوبيخاً للمسيء ((ثم يجزيه)) أي يجزي الانسان سعيه ، يقال : جزاه الله عز وجل بعمله وجزاه علي عمله وجزاه بعمله بخلاف الجار وإيصال الفعل ، وقوله تعالى :

﴿الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ٤١﴾ مصدر مبين للنوع وإذا جاز وصف المجزى به بالأوفى جاز وصف الحدث عن الجزاء للابسته له ، وجوز كونه مفعولاً به بمعنى المجزى به وحيث يكون الفعل في حكم المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل . ولا بأس لأن الثاني بالحذف ولا يصال لا التوسع فيجوز فيه الخلاف ، وبعضهم يجعل الجزاء منصوباً بنزع الخافض ، وجوز أن يكون الضمير المنصوب في (يجزاه) للجزاء للسعي ، و (الجزاء الأوفى) عليه عطف بيان ، أو بدل كما في قوله تعالى : (وأسروا النجوى الذين ظلموا) وتعقبه أبو حيان بأن فيه إبدال الظاهر من الضمير وهي مسألة خلافية والصحيح المنع ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ أى إن انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً ، والمراد بذلك رجوعهم إليه سبحانه يوم القيامة حين يحشرون ولهذا قال غير واحد : أى إلى حساب ربك أو إلى ثوابه تعالى من الجنة وعقابه من النار الانتهاء ، وقيل : المعنى أنه عز وجل منتهى الأفكار فلا تزال الأفكار تسير في يدها حقائق الأشياء وما هيئاتها والاحاطة بما فيها حتى إذا وجهت إلى حرم ذات الله عز وجل وحقائق صفاته سبحانه وقفت وحرنت وانتهى سيرها ، وأيد بما أخرجه البغوى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في الآية : « لا فكرة في الرب » وأخرجه أبو الشيخ في العظمة عن سفيان الثوري ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر الرب فانتها » ، وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال : « مر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال : تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لن تقدروه » وأخرج أبو الشيخ عن أبي ذر قال : « قال رسول الله ﷺ : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » .

واستدل بذلك من قال باستحالة معرفته عز وجل بالكنه ، والبحث في ذلك طويل ، وأكثر الأدلة النقلة على عدم الوقوع ، وقرأ أبو السمال ، وإن بالكسر هنا وفيما بعد على أن الجمل منقطعة عما قبلها فلا تكون بما في الصحف ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ٤٣﴾ خلق فعل الضحك والبكاء ، وقال الزمخشري : خلق قوت الضحك والبكاء ، وفيه دسيسة اعتزال ، وقال الطيبي : المراد خلق السرور والحزن أو ما يسر ويحزن من الاعمال الصالحة والطالحة ، ولذا قرن بقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤﴾ وعليه فهو مجاز ولا يخفى أن الحقيقة أيضاً تناسب الاماتة والاحياء لاسيما والموت يعقبه البكاء غالباً والاحياء عند الولاد الضحك وما أحسن قوله :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سروراً

فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

وقال مجاهد . والكلي : (أضحك) أهل الجنة (وأبكى) أهل النار ، وقيل : (أضحك) الأرض بالنبات (وأبكى) السماء بالمطر ، وتقديم الضمير وتكرير الاسناد للحصر أى أنه تعالى فعل ذلك لا غيره سبحانه ، وكذا في أنه (هو أَمَاتَ وَأَحْيَا) فلا يقدر على الإماتة والإحياء غير عز وجل ، والقاتل إنما ينقض البنية الانسانية ويفرق أجزائها والموت الحاصل بذلك فعل الله تعالى على سبيل العادة في مثله فلا إشكال في الحصر ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ٤٥﴾ من نوع الانسان وغيره من أنواع الحيوانات ولم يذكر الضمير على طرز ما تقدم لأنه لا يتوهم نسبة خلق الزوجين إلى غيره عز وجل ﴿مِنْ نُّطْقَةٍ إِذَا تُنْفَخُ ٤٦﴾ أى تدفق في الرحم

يقال : أمنى الرجل ومنى بمعنى ، وقال الاخفش : أى تقدر يقال منى لك المالى أى قدر لك المقدر ، ومنه المنى الذى يوزن به فيما قيل ، والمنية وهى الاجل المقدر للحيوان ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ٤٧ ﴾ أى الاحياء بعد الامانة وفاء بوعده جل شأنه، وفي البحر لما كانت هذه النشأة يذكرها الكفار بولغ بقوله تعالى عليه كأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه ، وفي الكشف قال سبحانه : (عليه) لأنها واجبة في الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة وفيه مع كونه على طريق الاعتزال نظر ، وقرأ ابن كثير . وأبو عمرو - النشأة - بالمد وهى أيضاً مصدر نشأه الثلاثي ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ٤٨ ﴾ وأعطى القنية وهو ما يبقى ويدوم من الأموال ببقاء نفسه أو أصله كالرياض والحيوان والبناء ، وإفراد ذلك بالذكر مع دخوله في قوله تعالى : (أغنى) لأن القنية أنفوس الأموال وأشرفها ، وفي البحر يقال : قنيت المال أى كسبته ويعدى أيضاً بالهمزة والتضعيف فيقال : أقناه الله تعالى مالا وقناه الله تعالى مالا ، وقال الشاعر :

لم من غنى أصاب الدهر ثروته ومن فقير (يقنى) بعد إقلال

أى يقنى المال ، وعن ابن عباس (أغنى) مول ، (وأقنى) أرضى . وهو بهذا المعنى مجاز من القنية قال الراغب : وتحقيق ذلك أنه جعل له قنية من الرضا والطاعة وذلك أعظم القناتين ، والله تعالى در من قال :

هل هى إلا مدة وتنقضى ما يغلب الايام إلا من رضى

وعن ابن زيد . والاخفش (أقنى) أفقر ، ووجه بأنهما جعلتا الهمزة فيه للسلب والازالة كما في أشكى ، وقيل : إنهما جعلتا (أقنى) بمعنى جعل له الرضا والصبر قنية كناية عن ذلك ليظهر فيه الطباق كما في (أمات وأحيا) (وأضحك) (وأبكى) وفسره بأفقر أيضاً الحضرمي إلا أنه كما أخرج عنه ابن جرير . وأبو الشيخ قال (أغنى) نفسه سبحانه و (أفقر) الخلائق اليه عز وجل ، والظاهر على تقدير اعتبار المفعول في جميع الافعال المتقدمة أن يكون من المحدثات الصالحة لتعلق الفعل ، وعندى أن (أغنى) سبحانه نفسه كأوجد جل شأنه نفسه لا ينحلو عن سماجة وإيهام محذور ، وإنما لم يذكر مفعول لأن القصد إلى الفعل نفسه ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ٤٩ ﴾ (الشعري) العبور بفتح العين المهملة والباء الموحدة والراء المهملة بعد الواو ، وتقال (الشعري) أيضاً على الغميصاء بغين معجمة مضمومة وميم مفتوحة بعدها ياء مثناة تحتية وصادهملة ومد ، والاولى في الجوزاء ، وإنما قيل لها العبور لأنها عبرت المجرة فلقبت سهيلاً ولأنها تراه إذا طلع كأنها ستعر وتسمى أيضاً كلب الجبار لأنها تتبع الجوزاء المسماة بالجبار كما يتبع الكلب الصائد أو الصيد ، والثانية في ذراع الاسد المبسوطة ، وإنما قيل لها الغميصاء لأنها بسكت من فراق سهيل فغمصت عينها ، والغمص ماسال من الرمص وهو وسخ أبيض يجتمع في الموق ، وذلك من زعم العرب أنها أختا سهيل ، وفي القاموس من أحاديثهم أن الشعري العبور قطعت المجرة فسميت عبوراً وبكت الاخرى على أثرها حتى غمصت ويقال لها الغموص أيضاً ، وقيل : زعموا أن سهيلاً (الشعري) كانا زوجين فانهدر سهيل وصار يمانياً فاتبعه الشعري فعبرت المجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء وسميت بذلك لأنها دون الاولى ضياءاً ، وكل ذلك من تخيلاتهم الكاذبة التي لا حقيقة لها ، والمتبادر عند الاطلاق وعدم الوصف العبور لأنها أكبر جرماً وأكثر ضياءاً وهى التي عبت من دون الله سبحانه في الجاهلية .

قال السدي : عبتا حمير . وخزاعة ، وقال غيره : أول من عبدها أبو كبشة رجل من خزاعة ، أو هو سيدهم

واسمه وخز بن غالب وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : ابن أبي كبشة شبهوه به لخالفته قومه في عبادة الاصنام ، وذكر بعضهم أنه أحد أجداده عليه الصلاة والسلام من قبل أمه وأنهم كانوا يزعمون أن كل صفة في المرء تسرى اليه من أحد أصوله فيقولون نزع اليه عرق كذا ، وعرق الخال نزع ، وقيل : هو كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل أمه ، وقولهم له عليه الصلاة والسلام ذلك على ما يقتضيه ظاهر القاموس لانه صلى الله تعالى عليه وسلم في الشبه الخلقي دون المخالفة ، وقيل : كنية زوج حليمة السعدية مرضعته عليه الصلاة والسلام ، وقيل : كنية عم ولدها وليكونها عبت من دونه عز وجل خصت بالذكور ليكون ذلك تجهيلاً لهم بجعل المربوب رباً ، ولزيد الاعتناء بذلك جاء بالجملة على ما نطق به النظم الجليل .

ومن العرب من كان يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم يزعمون أنها تقطع السماء عرضاً وسائر النجوم تقطعها طولاً ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها في قوله تعالى : (وأنه هو رب الشعري) إشارة إلى نفى تأثيرها * (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى) أي القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح كما قاله ابن زيد والجمهور ، وقال الطبري : وصفت بالاولى لأن في القبائل (عاداً) أخرى وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال ، وقال المبرد : عاد الأخرى هي ثمود ، وقيل : الجبارون ، وقيل : عاد الاولى ولد عاد بن إرم بن عوف بن سام بن نوح ، وعاد الأخرى من ولد عاد الاولى ، وفي الكشف (الاولى) قوم هود والأخرى إرم ، والله تعالى أعلم . وجوز أن يراد بالاولى المتقدمون الاشراف ؛ وقرأ قوم عاد الولي بحذف الهمزة ونقل ضمها إلى اللام قبلها ، وقرأ نافع . وأبو عمرو - عاداً لولى - بإدغام التتوين في اللام المنقول اليها حركة الهمزة المحذوفة ، وعاب هذه القراءة المازني . والمبرد ، وقالت العرب : في الابتداء بعد النقل - الحمر ، والحمر - فهذه القراءة جاءت على الحمر فلا عيب فيها ، وأنى قالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو كما في قوله :

* أحب الموقدين إلى موسى * وكأقرأ بعضهم - على سؤفة - وفيه شذوذ ، وفي حرف أبي عاد غير مصروف للعلية والتأنيث ومن صرفه فباستبار الحى ، أو عامله معاملة هند لكونه ثلاثياً ساكن الوسط ((وَتُمُودٌ)) عطف على (عاداً) ولا يجوز أن يكون مفعولاً - لأبقى - في قوله تعالى : ((فَأَبَقَى)) لأن - ما - النافية لها صدر الكلام والفاء على ما قيل : مانعة أيضاً فلا يتقدم معمول ما بعدها ، وقيل : هو معمول - لأهلك - مقدر ولا حاجة اليه ، وقرأ عاصم . وحزة . - ثمود - بلا تنوين ويقفان بغير ألف ، والباقون بالتنوين ويقفون بالألف ، والظاهر أن متعلق (أبقى) يرجع إلى عاد وثمود معاً أي فما أبقي عليهم ، أي أخذهم بذنوبهم ، وقيل : أي ما أبقى منهم أحداً ، والمراد ما أبقى من كفارهم ((وَقَوْمُ نُوحٍ)) دُخِلَ على (عاداً) أيضاً ((مَنْ قَبْلُ)) أي من قبل إهلاك عاد وثمود ، وصرح بالقبيلة لأن نوحاً عليه السلام آدم الثاني وقومه أول الطاغين والهاالكين . (إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْمَ أَظْلَمَ وَأَطْغَى) أي من الفريقين حيث كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكاد يتحرك وكان الرجل منهم يأخذ بيد ابنه يتمشى به إليه يحذره منه ويقول : يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذ فأياك أن تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه ولم يتأثروا من دعائه وقد دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وقيل : ضمير (إنهم) يعود على جميع من تقدم عاد وثمود وقوم نوح أي كانوا أظلم من قريش وأطغى منهم ، وفيه من التسلية للنبي عليه الصلاة والسلام

مالا يخفى ، و (هم) يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب ويجوز أن يكون فصلاً لأنه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل ، وحذف المفعول مع الواقع خبراً لكان لأنه جار مجرى خبر المبتدأ وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ هي قرى قوم لوط سميت بذلك لأنها انتفكت بأهلها أى انقلبت بهم ، ومنه الإفك لأنه قلب الحق ، وجوز أن يراد بالمؤتفكة كل ما انقلبت مساكنه ودثرت أماكنه *

وقرأ الحسن - والمؤتفكات - جمعاً ﴿أَهْوَى﴾ أى أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام إلى السماء ، وقال المبرد : جعلها تهوى *

والظاهر أن أهوى ناصب للمؤتفكة وآخر العامل لكونه فاصلة وجوز أن يكون - المؤتفكة - معطوفاً على ما قبله و (أهوى) مع فاعله جملة في موضع الحال بتقدير قد ، أو بدره توضح كيفية إهلاكمهم *

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ فيه تهويل للعذاب وتعميم لما أصابهم منه لأن الموصول من صيغ العموم والتضعيف في غشاهها يحتمل أن يكون للتعدية فيكون (ما) مفعولاً ثانياً والفاعل ضميره تعالى ، ويحتمل أن يكون للتكثير والمبالغة ف (ما) هي الفاعل ﴿فَبَآئِيَ الْآءَ رَبِّكَ تَمَارَى﴾ تشكك والتفاعل هنا مجرد عن التعدد في الفاعل والمفعول للمبالغة في الفعل ، وقيل : إن فعل التمارى للواحد باعتبار تعدد متعلقه وهو الآلاء المتمارى فيها ، والخطاب قيل : لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أنه من باب الإلهاب والتعريض بالغير ، وقيل : للانسان على الإطلاق وهو أظهر والاستفهام للانسكار ، والآلاء جمع إلى النعم ، والمراد بها ما عدى في الآيات قبل وسمى الكل بذلك مع أن منه نعماً لما في النقم من العبر والمواعظ للبعثرين والانتفاع للانبياء والمؤمنين فهي نعم بذلك الاعتبار أيضاً ، وقيل : التعبير بالآلاء للتغليب وتعقب بأن المقام غير مناسب له ، وقرأ يعقوب . وابن محيصن - ربك تمارى - بناء مشددة ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾ الإشارة إلى القرآن . وقال أبو مالك : إلى الأخبار عن الامم ، أو الإشارة إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، والنذير يحىء مصدراً ووصفاً ، والنذر جمعه مطلقاً وكل من الامرين محتمل هنا ، ووصف (النذر) جمعاً للوصف بالاولى على تأويل الفرقة ، أو الجماعة ، واختير على غيره رعاية للفاصلة ، وأياً ما كان فالمراد (هذا نذير من) جنس (النذر الاولى) *

وفي الكشف أن قوله تعالى : (هذا نذير) الخ فذلكم للكلام إما لما عدد من المشتمل عليه الصحف وإما لجميع الكلام من مفتتح السورة فتدبر ولا تغفل ﴿أَزَفَتِ الْأَزَقَةُ﴾ أى قربت الساعة الموصوفة بالقرب في غير آية من القرآن ، فال في (الأزقة) كالعهد للجنس ، وقيل : (الأزقة) علم بالغلبة للساعة هنا ، وقيل : لا بأس بارادة الجنس ووصف القريب بالقرب للمبالغة ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى غير الله تعالى أو إلا الله عز وجل ﴿كَاشِفَةٌ ٥٨﴾ نفس قادرة على كشفها إذا وقعت لكنه سبحانه لا يكشفها ، والمراد بالكشف الازالة ، وقريب من هذا ما روى عن قتادة . وعطاء . والضحاك أى إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يرددها عنهم أحد ، أوليس لها الآن نفس كاشفة أى مزيله للخوف منها فانه باق إلى أن يأتي الله سبحانه بها وهو مراد المخشري بقوله : أوليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير ، وقيل : معناه لو وقعت الآن لم يرددها الله ، وقها أحد إلا الله تعالى ، فالكشف بمعنى التأخير وهو إزالة مخصوصة ، وقال الطبري . والزجاج : المعنى

ليس لها من دون الله تعالى نفس كاشفة تكشف وقت وقوعها وتبينه لأنها من أخفى المغيبات ، فالكشف بمعنى التبيين والآية كقوله تعالى: (لا يجلها لوقتها إلا هو) والتاء في (كاشفة) على جميع الالوجه للتأنيث ، وهو لتأنيث الموصوف المحذوف كما سمعت ، وبعضهم يقدر الموصوف حالا ، والاول أولى ؛ وجوز أن تكون للمبالغة مثلها في علامة ، وتعقب بأن المقام يأباه لا يهامه ثبوت أصل الكشف لغيره عز وجل وفيه نظر ، وقال الرماني . وجماعة : يحتمل أن يكون (كاشفة) مصدراً كالعافية ، وخاتمة الاعين أى ليس لها كشف من دون الله تعالى ﴿ أَفَنُ هَذَا الْحَدِيث ﴾ أى القرآن ﴿ تَعْجُونَ ٥٩ ﴾ إنكاراً ﴿ وَتَضَحَّكُونَ ﴾ استهزاءً مع كونه أبعد شئ من ذلك ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ٦٠ ﴾ حزن أعلى ما فرطتم في شأنه وخوفاً من أن يحق بكم ما حاق بالأمم المذكورة ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ٦١ ﴾ أى لاهون كما روى عن ابن عباس جواباً لنافع بن الأزرق ، وأنشد عليه قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد :

ليت (عاداً) قبلوا الحق ولم يسدوا جحودا

قيل : قم فانظر اليهم ثم دع عنك (السمودا)

وفي رواية أنه رضى الله تعالى عنه سئل عن السمود ، فقال : البرطمة وهي رفع الرأس تكبراً أى وأنتم رافعون رموسكم تكبراً ، وروى تفسيره بالبرطمة عن مجاهد أيضاً ، وقال الراغب : السامد الالهى الرافع رأسه - من سمد البعير في سيره - إذا رفع رأسه ، وقال أبو عبيدة : السمود الغناء بلغة حمير يقولون : يا جارية اسمدى لنا أى غنى لنا ، وروى نحوه عن عكرمة ، وأخرج عبدالرزاق . والبخاري . وابن جرير . والبيهقي في سننه . وجماعة عن ابن عباس أنه قال : هو الغناء باليمانية وكانوا إذا سمعوا القرآن غنوا تشاغلاً عنه ، وقيل : يفعلون ذلك ليشغلوا الناس عن استماعه ، والجملة الاسمية على جميع ذلك حال من فاعل - لا تبكون - ومضمونها قيد للنفي والانكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود ، وقال المبرد : السمود الجود والخشوع كما في قوله :

رمى الحدثنان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له (سمودا)

فرد شعورهن السود ييضاً ورد وجوههن البيض سودا

والجملة عليه حال من فاعل - تبكون - أيضاً إلا أن مضمونها قيد للنفي ، والانكار واردة على نفي البكاء والسمود معاً فلا تغفل ، وفي حرف أبي . وعبدالله تضحكون - بغير واو ، وقرأ الحسن - تعجبون تضحكون - بغير واو وضم التامين وكسر الجيم والحاء ، واستدل بالآية كما في أحكام القرآن على استحباب البكاء عند سماع القرآن وقراءته ، أخرج البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة قال : « لما نزلت (أفن هذا الحديث) الآية بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ حينئذ بكى معهم فبكينا ببيكانه فقال عليه الصلاة والسلام : لا يبلغ النار من بكى من خشية الله تعالى ولا يدخل الجنة . صر على معصيته ولو لم تذنبوا لجاز الله تعالى يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » وأخرج أحمد في الزهد . وابن أبي شيبة . وهناد . وغيرهم عن صالح أبي الخليل قال : لما نزلت هذه الآية (أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ما ضحك النبي ﷺ بعد ذلك إلا أن يتبسم » ولفظ عبد بن حميد « فما روى النبي عليه الصلاة والسلام ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا » وفيه سد باب الضحك عند قراءة القرآن ولو لم يكن استهزاءً والعياذ بالله عز وجل .

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ٦٢ ﴾ الفاء لترتيب الأمر أو موجه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالتعجب والضحك وحقية مقابله بما يليق به ، ويدل على عظم شأنه أى وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله تعالى الذى أنزله واعبدوه جل جلاله ، وهذه آية سجدة عند أكثر أهل العلم ، وقد سجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندها . أخرج الشيخان . وأبو داود . والنسائي . وابن مردويه عن ابن مسعود قال : « أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسجد الناس كلهم إلا رجلا » الحديث . وأخرج ابن مردويه . والبيهقى فى السنن عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « قال : صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ النجم فسجد بنا فأطال السجود » وكذا عمر رضى الله تعالى عنه ، أخرج سعيد ابن منصور عن سبرة قال : صلى بنا عمر بن الخطاب الفجر فقرأ فى الركعة الأولى سورة يوسف ، ثم قرأ فى الثانية سورة النجم فسجد ، ثم قام فقرأ إذا زلزلت ثم ركع ، ولا يرى مالك السجود هنا ، واستدل به بما أخرجه أحمد . والشيخان . وأبو داود . والترمذى . والنسائي والطبرانى وغيرهم عن زيد بن ثابت قال : قرأت النجم عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يسجد فيها ، وأجيب بأن الترك إنما ينافى وجوب السجود وليس بمجمع عليه وهو عند القائل به على التراخى فى مثل ذلك على المختار وليس فى الحديث ما يدل على نفيه بالسكينة فيحتمل أنه عليه الصلاة والسلام سجد بعد ، وكذا زيد رضى الله تعالى عنه ، نعم التأخير مكروه تنزيهاً ولعله فعل لبيان الجواز ، أو لعذر لم نطلع عليه ، وما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس من قوله : « إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسجد فى شيء من المفصل منذ تحول إلى المدينة » ناف وضعيف ، وكذا قوله فيما رواه أيضا عنه « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد فى النجم بمكة فلما هاجر إلى المدينة تركها » على أن الترك إنما ينافى ما سمعت الوجوب ، والله تعالى أعلم .

﴿ سورة القمر ﴾

وتسمى أيضا (اقتربت) وعن ابن عباس أنها تدعى فى التوراة الميضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه ، أخرجه عنه البيهقى فى شعب الايمان اسكن قال : إنه منكر (وهى مكية) فى قول الجمهور ، وقيل : بما نزل يوم بدر ، وقال مقاتل : مكية إلا ثلاث آيات (أم يقولون) إلى (وأمر) واقتصر بعضهم على استثناء (سيهزم الجمع) الخ ، ورد بما أخرجه ابن أبى حاتم . والطبرانى فى الاوسط . وابن مردويه عن أبى هريرة قال : أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل يوم بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله أى جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر وانهمزت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ فى آثارهم مصلاً بالسيف وهو يقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكانت ليوم بدر ، وفى الدر المنثور : أخرج البخارى عن عائشة قالت : « نزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) » ويرد به وبما قبله ما حكي عن مقاتل أيضا ، وقيل : (إلا أن المتقين) الآيتين وأياها خمس وخمسون بالاجماع ، ومناسبة أولها لآخر السورة التى قبلها ظاهرة فقد قال سبحانه : (ثم أذنت الآفة) وهنا (اقتربت الساعة) وقال الجلال السيوطى : لا يخفى ما فى توالى هاتين السورتين من حسن التناسق

للتناسب في التسمية لما بين - النجم ، والقمر - من الملايسة ، وأيضا إن هذه بعد تلك - كالأعراف بعد الانعام ، وكالشعراء بعد الفرقان ، وكالصفات بعد يس - في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم في قوله تعالى : (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح) إلى قوله سبحانه : (والمؤتفة أهوى) .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ أي قربت جداً ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ ﴾ انفصل بعضه عن بعض وصار فرقتين وذلك على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة بنحو خمس سنين فقد صح من رواية الشيخين . وابن جرير عن أنس أن أهل مكة سألوه عليه الصلاة والسلام أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما ، وخبر أبي نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس - أن أحبار اليهود سألو آية فأراهم الله تعالى القمر قد انشق - لا يعول عليه ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا » ومن حديثه أيضاً « انشق القمر على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة فقال رجل : انتظروا ما يأتيكم به السفار فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك » رواه أبو داود . والطيالسي ، وفي رواية البيهقي « فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا : رأيناه » فأنزله الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) *

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس من وجه ضعيف قال : « اجتمع المشركون على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة . وأبو جهل بن هشام . والعاص بن وائل . والعاص بن هشام . والاسود بن عبد يغوث . والاسود بن المطلب . وربيعة بن الاسود . والنضر بن الحرث فقالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قينقاع فقال لهم النبي ﷺ : « إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عز وجل أن يعطيه ما سألو فأمسى القمر قدمثل نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قينقاع ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي يا أبا سلبة بن عبد الأسد . والأرقم بن الأرقم اشهدوا » *

والاحاديث الصحيحة في الانشقاق كثيرة ، واختلف في تواتره فقليل : هو غير متواتر ، وفي شرح المواقف الشريفي أنه متواتر وهو الذي اختاره العلامة ابن السبكي قال في شرحه لمختصر ابن الحاجب : الصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره انتهى باختصار ، وقد جاءت أحاديثه في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم على كرم الله تعالى وجهه . وأنس . وابن مسعود . وابن عباس . وحذيفة . وجبير بن مطعم . وابن عمر . وغيرهم ، نعم إن منهم من لم يحضر ذلك كابن عباس فإنه لم يكن مولوداً إذ ذاك وكأنس فإنه كان ابن أربع أو خمس بالمدينة ، وهذا لا يطعن في صحة الخبر كما لا يخفى ، ووقع في رواية البخاري . وغيره عن ابن مسعود « كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى فانشق القمر » ولا يعارض ما صح عن أنس أن ذلك كان بمكة لأنه لم يصرح بأنه عليه الصلاة والسلام كان ليلتذ بمكة ، فالمراد أن الانشقاق كان والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ ذاك مقيم بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ، ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي ما هو نص في وقوع الانشقاق مرتين ، وظاهر في أنه مجمع على وقوعه كذلك حيث قال : وانشق مرتين بالاجماع ، وكان مستند الأول ما أخرجه

عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل من طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث ، وأما الاجماع فغير مسلم ، وفي المواهب قال الحافظ ابن حجر : أظن أن قوله بالاجماع يتعلق بانشق - لا بمرتين فاني لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولعل قائل مرتين أراد فرقتين ، وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات انتهى ، ولا يخفى أن هذا التأويل مع بعده لا يتسنى في خبر ابن مسعود المذکور آنفاً لمكان شقتين وهي بمعنى فرقتين ومرتين معاً ، والذي عندى في تأويل ذلك أن مرتين في كلام ابن مسعود قيد للرؤية وتعددتها لا يقتضى تعدد الانشقاق بأن يكون رآه منشقاً فصرف نظره عنه ثم أعاده فراه كذلك لم يتغير فقيه إشارة إلى أنها رؤية لاشبهة فيها وقد فعل نحو ذلك الكفرة ، أخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : انتهى أهل مكة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل لاهل مكة أن يجتمعوا هذه الليلة يروا آية فأخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمقالة جبريل عليه السلام فخرجوا ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فسحوها ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا ما هذا إلا سحر فأنزله الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) فلو قال أحد هؤلاء رأيت القمر منشقاً ثلاث مرات على معنى تعدد الرؤية صح بلا غبار ولم يقتض تعدد الانشقاق فيخرج كلام ابن مسعود على هذا الطرز ليجمع بين الروايات ، ثم هذا الحديث إن صح كان دليلاً لما أشار اليه البوصيرى في قوله :

شق عن صدره وشق له البدن رومن شرط كل شرط جزاء

من أن الشق كان ليلة أربع عشرة لأن البدر هو القمر ليلة أربع عشرة ويعلم من ذلك ما في قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه : ظاهر التعبير بالبدر دون القمر أن الشق كان ليلة أربع عشرة ولم أر له في ذلك سلفاً ، ولعله أراد بالبدر مطلق القمر ، ويؤيد كونه ليلة البدر ما أخرجه الطبراني ، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة) إلى (مستمر) فإن الكسوف وإن جاز عادة أن يكون ليلة الثالث عشر وليلة الخامس عشر إلا أن الأغلب كونه ليلة الرابع عشر ولا ضرورة إلى حمل الكسوف في هذا الخبر على الانشقاق إذ لا مانع كما في البداية والنهاية أن يكون قد حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، نعم ذكر فيها أن سياق الخبر غريب ثم إن القمر بعد انشقاقه لم تفارق قطعاته السماء بل بقيتا فيهما متباعدتين تباعداً ما لحظت ثم اتصلتا ، وما يذكره بعض القصاص من أنه دخل في جيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخرج من كه فباطل لا أصل له كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العباد بن كثير ولعنة الله تعالى على من وضعه . وما في خبر أبي نعيم - الذي أخرجه من طريق الضحاك عن ابن عباس من أنه انشق فصار قرين أحدهما على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون اليه ثم غاب - لا يقول عليه ، كيف وقد تضمن ذلك الخبر أن الانشقاق وقع لطلب أخبار اليهود وأن القائل (هذا سحر مستمر) هم ، وهو مخالف لما نطقت به الاخبار الصحيحة الكثيرة كما لا يخفى على المتتبع ، وقد شاع « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشار إلى القمر بسبابته الشريفة فانشق » ولم أره في خبر صحيح والله تعالى أعلم .

وأنكر الفلاسفة أصل الانشقاق بناءً على زعمهم استحالة الخرق والالتزام على الاجرام العلوية ودليلهم على ذلك أو هن من بيت العنكبوت وقد خرق بأدنى نسمة من نسيات أفكار أهل الحق العلويين خرقاً لا يقبل الالتزام بكابين في موضعه ، وقال بعض الملاحدة : لو وقع لنقل متواتراً واشترك أهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد ، ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ولم يعهد أصلاً في الزمن القديم ولو كان له أصل لخلد أيضاً في كتب التسيير والتنجيم ولذكره أهل الارصاد فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير وإطباقيهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة ، وايضا لا يعقل سبب لخرق هذا الجرم العظيم وأيضاً خرقه يوجب صوتاً هائلاً أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه ، وأيضاً متى خرق وصار قطعتين ذهبت منه قوة التجاذب كالجلجل إذا انشق فيلزم بقاؤه منشقاً ولا أقل من أن يبقى كذلك سنين كثيرة ، والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان النفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ضرورة اختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعاً على قوم غائباً عن آخرين ومكسوفاً عند قوم غير مكسوف عند آخرين والاعتناء بأمر الارصاد لم يكن بمثابة اليوم وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد والانشقاق لا يختلف به تنازله ولا يتغير به سيره غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سيرة لتلحق أختها الغربية ، وأي مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس فقد قال أهل الحكمة الجديدة : إن بين الأرض والشمس ثلثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ وأن ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها كروية الكواكب قريبة مع بعدها المفرط فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكفي في ذلك عدم وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة ولو أخبرهم بخبر بفرض إن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الانكار وكذبوه غاية التكذيب ونسبوه إلى الجنون هـ ومن سلم تأثير النفوس إلى حد أن يصرح الشخص آخر بمجرد النظر اليه وتوجيه نفسه نحوه لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك ، وقد صح في إصابة العين أن بعض الاعراب ممن له عين صائبة يفلق سنام الناقة فلقنتين ، وربما تصور له من رمل فينظر إليه ويفلقه فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها وهذا كله من باب المباشرة وإلا فإرادة الله تعالى كافية في الانشقاق وكذا في كل المعجزات وخوارق العادات ولو كان لكل حادث سبب لزم التسلسل وقد قامت الأدلة على بطلانه ، وكون الخرق يوجب صوتاً هائلاً ممنوع فيما نحن فيه ومثله ذهاب التجاذب والاجسام مختلفة من حيث الخواص فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها ويمكن أن يكون إحدى القطعتين كالجلجل العظيم بالنسبة إلى الأرض إذا ارتفع عنها بقاسر مثلاً جذبته إليه إذ لم يخرج عن حد جذبها على مازعموه ويلتزم في تلك القطعة عدم الخروج عن حد الجذب على أنها في غنى عن كل ذلك أيضاً بعد إثبات الامكان

ل قدرته عز وجل وأنه سبحانه فعال لما يريد •

والحاصل أنه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة النافية ولو انشق ، والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم ، وروى عن الحسن أنه قال : هذا

الانشقاق بعد النفخة الثانية، والتعبير بالماضي لتحقيق الوقوع، وروى ذلك عن عطاء أيضاً، ويؤيده ما تقدم الذي عليه الاكثر ون قراءة حذيفة وقد انشق القمر فان الجملة عليها حالية فتقتضي المقارنة لاقتراب الساعة ووقوع الانشقاق قبل يوم القيامة، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ﴾ فانه يقتضي أن الانشقاق آية رأوها وأعرضوا عنها، وزعم بعضهم أن انشقاق القمر عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه وهذا كما يسمى الصبح فلما عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق كما في قوله النابغة:

فلما أدبروا ولهم دوى دعانا عند (شق) الصبح داعي

وزعم آخر أن معنى انشق القمر وضع الامر وظهور وكلا الزعمين مما لا يعول عليه ولا يلتفت اليه ولا أظن الداعي اليهما عند من يقر بالساعة التي هي أعظم من الانشقاق ويعترف بالعقائد الاسلامية التي وقع عليها الاتفاق سوى عدم ثبوت الاخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده، ومنشأ ذلك القصور التام والتسكك بشبهه هي على طرف التمام، ومع هذا لا يكفر المنكر بناءً على عدم الاتفاق على تواتر ذلك وعدم كون الآية نصاً فيه، والاخراج من الدين أمر عظيم فيحتاج فيه ما لا يحتاج في غيره والله تعالى الموفق.

والظاهر أن المراد باقتراب الساعة القرب الشديد الزماني، وكل آت قريب، وزمان العالم مديد، والباقي بالنسبة إلى الماضي شيء يسير، ومال الامام إلى أن المراد به قربها في العقول والاذهان، وحاصله أنها ممكنة إمكاناً قريباً لا ينبغي لأحد إنكارها، واستعمال الاقتراب مع أنه أمر مقطوع به كاستعمال (لعل) في قوله تعالى: (لعل الساعة تكون قريباً) مع أن الامر معلوم عند الله تعالى وانشقاق القمر آية ظاهرة على هذا القرب، وعلى الاول قيل: هو آية لاصل الامكان الذي يقتضيه قرب الوقوع، وقيل: هو آية لقرب الوقوع ومعجزة للنبي ﷺ باعتبار أن الله تعالى مخبر في كتبه السالفة بأنه إذا قربت الساعة انشق القمر ومعجزة وكلاهما كما ترى، واختار بعضهم أنه آية لصدق النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ما يقول ويبلغ ربه سبحانه لانه معجزة له ﷺ ومنه دعوى الرسالة والاخبار باقتراب الساعة وغير ذلك، و(آية) نكرة في سياق الشرط فتعم، فالمعنى (وإن يروا كل آية يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على وجه دلالتها وعلو طبقتها ﴿ وَيَقُولُوا سَحْرٌ ﴾ أي هذا أو هو أي مانراه سحر ﴿ مُسْتَمِرٌّ ٢ ﴾ أي مطرد دائم يأتي به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على مر الزمان وهو ظاهر في ترادف الآيات وتتابع المعجزات.

وقال أبو العالية: والضحاك: (مستمر) محكم موثق من المرة بالفتح أو الكسر بمعنى القوة وهو في الأصل مصدر مررت الحبل مرة إذا فتلته فتلحكما فأريد به مطلق المحكم مجازاً مرسلًا، وقال أنس. ويمان. ومجاهد. والكسائي. والفراء. واختاره النحاس. مستمر أي ما زال ذاهب زائل عن قريب عللوا بذلك أنفسهم ومنوها بالآمانى الفارغة كأنهم قالوا: إن حاله عليه الصلاة والسلام وما ظهر من معجزاته سبحانه.

• سحابة صيف عن قريب تقشع • (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) وقيل: (مستمر) مشتد المرارة أي مستبشع عندنا منفور عنه لشدة مرارته يقال: مز الشيء وأمز إذا صار مزاً وأمز غيره ومزّه يكون لازماً ومتعدياً، وقيل: (مستمر) يشبه بعضه بعضاً أي استمرت أفعاله على هذا الوجه من التخيلات، وقيل: (مستمر) ما زال من الأرض إلى السماء أي بلغ من سحره أنه سحر القمر وهذا ليس بشئ، ولعل الأنسب

بغلوم في العناد والمكابرة ماروى عن أنس ومن معه ، وقرئ - وأن يروا - بالبناء للفعول من الإراءة ﴿ وَكَذَّبُوا ﴾ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبما أظهره الله تعالى على يده من الآيات ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ التي زينها الشيطان لهم ، وقيل : (كذبوا) الآية التي هي انشقاق القمر (واتبعوا أهواءهم) وقالوا سحر القمر أو سحرت أعيننا والقمر بحاله ، والعطف على الجزاء السابق وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ، وقيل : العطف على (اقتربت) والجملة الشرطية اعتراض لبيان عادتهم إذا شاهدوا الآيات ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ استئناف مسوق للرد على الكفار في تكذيبهم ببيان أنه لا فائدة لهم فيه ولا يمنع علو شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو لإقناطهم عما علقوا به أمانتهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا : (سحر مستمر) ببيان ثبوته ورسوخه أى وكل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها الاحالة ومن جملتها أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه ، وللإشارة إلى ظهور هذه الغاية لأمره عليه الصلاة والسلام لم يصرح بالمستقر عليه ، وفي الكشف أى كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها وأن أمره ﷺ سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر له عاقبتهم أو وكل أمر من أمره عليه الصلاة والسلام ، وأمرهم مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة نصرة أو خذلان في الدنيا أو سعادة وشقاوة في الآخرة ، قال في الكشف : والكلام على الاول تذييل جار مجرى المثل وعلى الثانى تذييل غير مستقل ، وقرأ شيبه (مستقر) بفتح القاف ورويت عن نافع ، وزعم أبو حاتم أنها لا وجه لها وخرجت على أن مستقراً مصدر بمعنى استقرار ، وحمله على كل أمر بتقدير مضاف أى ذو مستقر ولو لم يقدر وقصد المبالغة صح ، وجوز كونه اسم زمان أو مكان بتقدير مضاف أيضاً أى ذو زمان استقرار ، أو ذو موضع استقرار ، وتعقب بأن كون كل أمر لا بد له من زمان أو مكان أمر معلوم لا فائدة في الاخبار به ، وأجيب بأن فيه إثبات الاستقرار له بطريق الكناية وهى أبلغ من التصريح . وقرأ زيد بن على (مستقر) بكسر القاف والجر ، وخرج على أنه صفة أمر وأن كل معطوف على الساعة أى اقتربت الساعة ، واقترب كل أمر يستقر ويتبين حاله أى بقربها ، قال في الكشف : وفيه شمة من التجريد وتهويل عظيم حيث جعل في اقترابها اقتراب كل أمر يكون له قرار وتبين حاله وقع ، وقوله تعالى : (وانشق القمر) على هذا إما على تقدير قد وينصره القراءة بها ، وإما منزل منزلة الإعراض لكونه مؤكداً لقرب الساعة ، وقوله سبحانه : (وإن يروا آية) الخ مستطرد عند ذكر انشقاق القمر *

واعترض ذلك أبو حيان بأنه بعيد . لكثرة الفواصل بين المعطوف والمعطوف عليه وجعل الكلام عليه نظير - أكلت خبزاً ، وضربت خالداً ، وإن يحكى زيد أكرمه ، ورحل إلى بنى فلان ، ولجأ بعطف - لجأ على خبزاً - ثم قال بل لا يوجد مثله في كلام العرب ، وتعقب بأنه ليس بشئ لأنه إذا دل على العطف الدليل لا يعد ذلك مانعاً منه على أن بين الآية والمثال فرقا لا يخفى ، وقال صاحب اللوامح إن (مستقر) خبر كل ، والجر للجوار ، واعتراض - أبو حيان أيضاً بأنه ليس بجيد لأن الجر على الجوار في غاية الشذوذ في مثله إذ لم يعهد في خبر المبتدأ ، وإنما عهد في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده ، واستظهر كون كل مبتدأ وخبره مقدر كآت ، أو معمول به ونحوه مما يشعر به الكلام أو مذكور بعد وهو قوله تعالى : (حكمة بالغية) وقد اعترض بينهما بقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾ في القرآن ﴿ مِنَ الْأَنْبَاءِ ﴾ أى أخبار القرون الخالية . أو أخبار الآخرة ، والجار والمجرور

في موضع الحال من مافى قوله عز وجل : ﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ قدم عليه رعاية للفاصلة وتويقاً اليه (من) للتبويض ، أو للتبيين بناءً على المختار من جواز تقديمه على المبين ، قال الرضى : إنما جاز تقديم (من) المبينة على المبهم في نحو - عندى من المال ما يكفى - لانه في الاصل صفة لمقدر أى شئ من المال ، والمذكور عطف بيان للبين المقدر قبلها ليحصل البيان بعد الابهام أى بالله لقد جاءهم كائنات من الانباء ما فيه ازدجار لهم ومنع عما هم فيه من القبائح ، أو موضع ازدجار ومنع ، وهى أنباء التعذيب ، أو أنباء الوعيد ، وأصل (مزدجر) مزجر بالناء موضع الدال وتاء الافتعال تقلب دالامع الدال والذال والراء للتناسب ، وقرئ مزجر بقلبها زاي أو إدغام الزاي فيها ، وقرأ زيد بن على مزجر اسم فاعل من أزجر أى صار ذازجر كأعشب صار ذاعشب ﴿ حِكْمَةٌ بَلَّغَةٌ ﴾ أى واصله غاية الإحكام لا خلل فيها ، ورفع (حكمة) على أنها بدل كل ، أو اشتغال من (ما) ، وقيل : من (مزدجر) أو خبر مبتدأ محذوف أى هى ، أو هذه على أن الإشارة لما يشعر به الكلام من إرسال الرسل وإيضاح الدليل والانذار لمن مضى ، أو إلى مافى الانباء ، أو إلى الساعة المقترية ، والآية الدالة عليها - كما قاله الامام وتقدم آتفا - احتمال كونها خبراً عن كل في قراءة زيد ، وقرأ الباقى (حكمة بالغة) بالنصب حالاً من (ما) فانها موصولة أو نكرة موصوفة ، ويجوز مجئ الحال منها مع تأخرها أو هو بتقدير أعنى *

﴿ قَسَا تَغْنُ النُّذْرُ ٥ ﴾ نفي للإغناء أو استفهام إنكارى والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجئ الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار ، و(ما) على الوجه الثانى فى محل نصب على أنها مفعول مطلق أى فاقى إغناء تغنى النذر ، وجوز أن تكون فى محل رفع على الابتداء ، والجملة بعدها خبر ، والعائد مقدر أى فما تغنيه النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر ، وجوز أن يكون جمع نذير بمعنى الانذار ، وتعقب بأن حق المصدر أن لا يثنى ولا يجمع وأن يكون مصدرأ كالانذار ، وتعقب بأنه يأباه تأنيث الفعل المسند اليه وكونه باعتبار أنه بمعنى النذارة لا يخفى حاله ﴿ قَتَلَهُ عَنْهُمْ ﴾ الفاء للسببية والمسبب التولى أو الامر به والسبب عدم الإغناء أو العلم به ، والمراد بالتولى إما عدم القتال ، فالآية منسوخة ، وإما ترك الجدال للجلاد فهى محكمة ، والظاهر الأول ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ ظرف - ليخرجون - أو مفعول به لا ذكر مقدرأ ، وقيل : لا تنتظر ، وجوز أن يكون ظرفاً لتغنى ، أو لمستقر وما بينهما اعتراض ، أو ظرفاً - ليقول الكافر - أو - لتول - أى تول عن الشفاعة لهم يوم القيامة ، أو هو معمول له بتقدير إلى ، وعليه قول الحسن - قتل عنهم إلى يوم - *

والمراد استمرار التولى والكل كما ترى ، والداعى إسرائيل عليه السلام ، وقيل : جبرائيل عليه السلام ، وقيل : ملك غيرهما موكل بذلك ، وجوز أن يكون الدعاء لإعادة فى ذلك اليوم كالامر فى (كن فيكون) على القول بأنه تمثيل ، فالداعى حينئذ هو الله عز وجل ، وحذفت الواو من (يدع) لفظاً لالتقاء الساكنين ورسماً اتباعاً للفظه ، والياء من (الداع) تخفيفاً ، وإجراء لال مجرى التنوين لأنها تعاقبه ، والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره ﴿ إِلَى شَيْءٍ تُكْرَهُ ﴾ أى فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة ويكنى بالنكر عن الفظيع لانه فى الغالب منكر غير معهود ، وجوز أن يكون من الإنكار ضد الإقرار وأياً كان فهو وصف على فعل بضمين وهو قليل فى الصفات ، ومنه - روضة أنف لم ترع ، ورجل شلل خفيف فى الحاجة سريع حسن الصحة

طيب النفس ، وسجع لين سهل - وقرأ الحسن . وابن كثير . وشبل (نكر) يأسكان الكاف كما قالوا : شغل وشغل ، وعسر وعسر وهو إسكان تخفيف ، أو السكون هو الاصل والضم للاتباع ، وقرأ مجاهد . وأبو قلابة . والجحدري . وزيد بن علي (نكر) فعلا ماضياً مبنياً للفعول بمعنى أنكر (خُشِعاً أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أى يخرجون (من الْأَجْدَاثِ) أى القبور أذلة أبصارهم من شدة الهول أى أذلاء من ذلك ، وقدم الحال لتصرف العامل والاهتمام ، وفيه دليل على بطلان مذهب الجرمي من عدم تجويز تقدم الحال على الفعل وإن كان متصرفاً ، ويرده أيضاً قولهم : شتى تؤب الحلبة ، وقوله :

سريعاً يهون الصعب عند ألى النهي إذا بر جاء صادق قابلاً البأسا

وجمل حالاً من ذلك لقوله تعالى : (يوم يخرجون من الاجداث سرعاً) إلى قوله تعالى : (خاشعة أبصارهم) ، وقيل : هو حال من الضمير المفعول المحذوف في (يدع الدعاء) أى يدعوهم الدعاء ؛ وتعقب بأنه لا يطابق المنزل وأيضاً يصير حالاً مقدرة لأن الدعاء ليس حال خشوع البصر وليست في الكثرة كغيرها وكذلك جعله مفعول - يدعو - على معنى يدعو فريقاً خاشعاً أبصارهم أى سيخضع وإن كان هذا أقرب مما قيل ، وقيل : هو حال من الضمير المحذوف في قوله تعالى : (فتولى عنهم) وفيه ما لا يخفى ، وأبصارهم فاعل خشعاً وطابقه الوصف في الجمع لأنه إذا كسر لم يشبه الفعل لفظاً فتحسن فيه المطابقة وهذا بخلاف ما إذا جمع جمع مذ كرسالمفاته لم يتغيرزته وشبهه للفعل فيبنى أن لا يجمع إذا رفع الظاهر المجموع على اللغة الفصيحة دون لغة أكلوني البراغيث ، لكن الجمع حيثند في الاسم أخف منه في الفعل كما قال الرضى ، ووجه ظاهر ، وفي التسهيل إذا رفعت الصفة اسماً ظاهراً مجموعاً فإن أمكن تكسيرها - كررت برجل (قيام) غلبانه - فهو أولى من أفرادها - كررت برجل (قائم) غلبانه - وهذا قول المبرد ومن تبعه والسمع شاهد له كقوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسى وتجملي

وقوله : بمطرد لدن صحاح كموبه وذى روثى غضب يقدا القوانسا

وقال الجمهور : الافراد أولى والقياس معهم ، وعليه قوله :

ورجال حسن أوجههم من إيراد بن زرار بن معد

وقيل : إن تبع مفرداً فالافراد أولى - كرجل (قائم) غلبانه - وإن تبع جمعاً فالجمع أولى - كرجال قيام غلبانهم - وأما التثنية والجمع السالم فعلى لغة أكلوني البراغيث ؛ وجوز أن يكون في (خشعاً) ضمير مستتر ، و (أبصارهم) بدلاً منه ، وقرأ ابن عباس . وابن جبير . ومجاهد . والجحدري . وأبو عمرو . وحمة . والكسائي - خاشعاً - بالافراد ، وقرأ أبى . وابن مسعود - خاشعة - وقرئ - خشع - على أنه خبر مقدم ، و (أبصارهم) مبتدأ ، والجملة في موضع الحال ، وقوله تعالى : (كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۖ) حال أيضاً وتشبيههم بالجراد المنتشر في الكثرة والتفج والانتشار في الاقطار ، وجاء تشبيههم بالفرش المبثوث ولهم يوم الخروج سهم من الشبه لكل ، وقيل : يكونون أولاً كالفرش حين يوجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون لان الفراش لاجهة لها تقصدها ، ثم كالجوار المحشر إذا توجهوا إلى المحشر فهما تشبيهان باعتبار وقتين ، وحكى ذلك عن مكى بن أبى طالب • (مَهْطَمِينَ إِلَى الدَّاعِ) سرعين اليه قال أبو عبيدة : وزاد بعضهم ما ذى أعناقهم ، وآخر مع هز ورهق ومد بصر ،

وقال عكرمة : فاتحين آذانهم إلى الصوت ، وعن ابن عباس ناظرين إليه لا تتقلع أبصارهم عنه وأنشد قول تبع :
تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي (مطيع ومهطع)

وفي رواية أنه فسرهم بخاضعين وأنشد البيت ، وقيل : خافضين ما بين أعينهم ، وقال سفيان : شاخصة أبصارهم إلى السماء ، وقيل : أصل المطع مد العنق ، أو مد البصر ، ثم يكتفى به عن الاسراع ، أو عن النظر والتأمل فلا تغفل ،
(يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ ۚ) صعب شديد لما يشاهدون من محال هوله وما يرتقبون من سوء

منقلبهم فيه ، وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأنه على المؤمنين ليس كذلك (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ)
شروع في تعداد بعض ماذكر من الأنبياء الموجبة للازدجار ، ونوع تفصيل لها ويان لعدم تأثيرهم بها تقريراً
لفحوى قوله تعالى : (فما تغني النذر) والفعل منزل منزلة اللازم أي فعلت التكذيب قبل تكذيب قومك قوم

نوح ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ تفسير لذلك التكذيب المهم في قوله تعالى : (ونادى نوح ربه فقال)
الخ ، وفيه مزيد تحقيق وتقرير للتكذيب ، وجوز أن يكون المعنى كذبوا تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم
قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله ، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين
لرسل جاحدين للنبوّة رأساً كذبوا نوحاً حالاً أنه من جملة الرسل ، والفاء عليه سببية ، وقيل : معنى كذبت قصدت
التكذيب وابتدأته ، ومعنى فكذبوا أتموه وبلغوا نهايته فاقبل في قوله : ٥ قد جبر الدين الإله فجبر ٥ وفي ذكره
عليه السلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وتشنيع لمكذبيه ٥

(وَقَالُوا بَجُنُونٌ) أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون فقالوا هو مجنون (وَأَزْدُ جَرٍ ۙ)
عطف على - قالوا - وهو إخبار منه عز وجل أي وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية والتخويف قاله ابن زيد ،
وقرأ (لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين) وقال مجاهد : هو من تمام قولهم أي هو مجنون ، وقد ازدجرته
الجن وذهبت بلبه وتخبطته ، والاول أظهر وأبلغ ، وجعل مبنياً للمفعول لغرض الفاصلة ، وطهر الالسنه عن
ذكرهم دلالة على أن فعلهم أسوأ من قولهم (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) أي باني ٥

وقرأ ابن أبي إسحق . وعيسى . والأعمش . وزيد بن علي . ورويت عن عاصم - (إني) بكسر الهمزة على
إضمار القول عند البصريين ، وعلى إجماع الدعاء مجرى القول عند الكوفيين (مَغْلُوبٌ) من جهة قومي مالى
قدرة على الانتقام منهم (فَأَنْتَصَرُوا ۚ) فانتقم لي منهم ، وقيل : فانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك ، وقيل :
المراد - بمغلوب - غلبتني نفسى حتى دعوت عليهم بالهلاك وهو خلاف الظاهر وما دعا عليه السلام عليهم إلا
بعد اليأس من إيمانهم ، والتأكيد لمزيد الاعتناء بأمر الترحم المقصود من الاخبار ٥

(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمَرٍ ۙ) أي منصب ، وقيل : كثير قال الشاعر :

أعيناي جوداً بالدموع (الهوامر) على خير باد من معد وحاضر

والباء للآلة مثلها في فتحت الباب بالفتح ، وجوز أن تكون للبلاسة والاول أبلغ ، وفي الكلام استعارة
تمثيلية بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء وانشق أديم الخضراء . وهو
الذي ذهب إليه الجمهور ، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته وهو ظاهر كلام ابن عباس ٥

أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم عنه أنه قال : لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماء آن ، وفي رواية لم تقلم أربعين يوماً ، وعن النقاش أنه أريد بالأبواب المجرة وهي شرج السماء كشرج العيبة ، والمعروف من الارصاد أن المجرة كواكب صغار متقاربة جداً ، والله تعالى أعلم .

ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم ، وقرأ ابن عامر . وأبو جعفر . والاعرج . ويعقوب (فتحتنا) بالتشديد لكثرة الابواب ، والظاهر أن جمع القلة هنا للكثرة ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله فجرنا عيون الأرض فغير إلى التمييز للبالغة بجعل الأرض كلها متفجرة مع الإبهام والتفسير ، فالتمييز يحول عن المفعول ، وجعله بعضهم محولا عن الفاعل بناءً على أنه الأكثر ، والأصل انفجرت عيون الأرض وتحويلة كما يكون عن فاعل الفعل المذكور ليكون عن فاعل فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق - وهذا منه - وهو تكلف لا حاجة إليه ، ومنع بعضهم مجي التمييز من المفعول فأعرب (عيوناً) حالاً مقدرة ، وجوز عليه أن يكون مفعولاً ثانياً لفجرنا على تضمينه ما يتعدى إليه أى صيرنا بالتفجير الأرض عيوناً وكان ذلك على ما في بعض الروايات أربعين يوماً ، وقرأ عبد الله . وأصحابه . وأبو حيو . والمفضل عن عاصم (فجرنا) بالتخفيف ﴿ فَالتَقَى السَّمَاءُ ﴾ أى ماء السماء وماء الأرض ، والإفراد لتحقيق أن التقاء المائين لم يكن بطريق المجاورة بل بطريق الاختلاط والاتحاد ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه . والحسن . ومحمد بن كعب . والجحدري - الماء آن - والثنية لقصد بيان اختلاف النوعين وإلا فالماء شامل لماء السماء وماء الأرض ، ونحوه قوله :

لنا (إبلان) فيهما ما علمتم فعن (أيها) ما شتمت فسكبوا

وقيل فيها إشارة إلى أن ماء الأرض فار بقوة وارتفع حتى لاقي ماء السماء في ذلك مبالغة لا تفهم من الأفراد ، وقرأ الحسن أيضاً - ما وان - بقلب الهمزة واو أو كقولهم: علبا وان كما قال الزمخشري ، ولم يرد أنه نظيره بل أراد كما أن هنالك إبدالاً بعلّة أنها غير أصلية لأنها زائدة للالحاق كذلك ههنا لأنها مبدلة والبديل وإن كان من الهاء لكنها أجريت مجرى البديل عن الواو فقل في النسبة فيه : ماوى ، وجاء في جمعه أمواء كما جاء أمواه ، ولا يبعد أن يكون من ثناء بالواو قاسه على النسبة كذا في الكشف ، وعنه أيضاً المايان بقلب الهمزة ياءاً .

﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدَرْتَهُ ﴾ أى كائناً على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهي أن ما نزل على قدر ما خرج .

وقيل : إن ماء الأرض علا سبعة عشر ذراعاً ونزل ماء السماء مكلاً أربعين ، وقيل : ماء الأرض كان أكثر وله مقدار معين عند الله عز وجل ، أو على أمر قدره الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ، ورجحه أبو حيان بأن كل قصة ذكرت بعد ذكر الله تعالى فيها هلاك المكذبين فيكون هذا كناية عن هلاك هؤلاء . و(على) عليه للتعليل ، ويحتمل تعلقها بالتقى . وفيه رد على أهل الأحكام النجومية حيث زعموا أن الطوفان لاجتماع الكواكب السبعة ما عدا الزهرة في برج مائى ، وقرأ أبو حيو . وابن مقسم (قدر) بتشديد الدال ﴿ وَحَمَلْنَاهُ ﴾ أى نوحاً عليه السلام ﴿ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ ﴾ أخشاب عريضة ﴿ وَدُسِّرَ ﴾ أى مسامير كما قاله الجمهور . وابن عباس في رواية ابن جرير ، وابن المنذر جمع دسار ككتاب وكتب ، وقيل :

(دسر) كسقف وسقف. وأصل الدسر الدفع الشديد بقهر فسمى به المسار لأنه يدق في دفع بشدة. وقيل: حبال من ليف تشد بها السفن. وقال الليث: خيوط تشد بها ألواحها، وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة. والحسن أنها مقادير السفينة وصدرها الذي تضرب به الموج وتدفعه. وروى عن ابن عباس نحوه. وأخرج عن مجاهد أنها عوارض السفينة أى الحشبات التي تعرض في وسطها. وفي رواية عنه هي أضلاع السفينة. وأياً ما كان فقوله تعالى: (ذات ألواح ودرج) من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات على سبيل الكناية كقوله: حتى مستوى القائمة عريض الاظفار في الكناية عن الانسان وهو من فصيح الكلام وبديعه. ونظير الآية قول الشاعر:

مفرشى صهوة الحصان ولكن (قيصى) مسرودة من حديد

فانه أراد قيصى درج. وقوله يصف هزال الابل:

تراهى الها في كل عين مقابل ولو في (عيون النازيات بأكرع)

فانه أراد في عيون الجراد لأن النزوبالاً كرج يختص بها. وأما كونه على حذف الموصوف لدلالة الصفة عليه على ما في الفصل وغيره فكلام نحوى ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا. وكفى به عن الحفظ أى تجرى في ذلك الماء بحفظنا وكلاءنا، وقيل: بأوليائنا يعنى نوحا عليه السلام ومن آمن معه يقال: مات عين من عيون الله تعالى أى ولى من أوليائه سبحانه، وقيل: بأعين الماء التي فجرناها، وقيل: بالحفظة من الملائكة عليهم السلام سمام أعيناً وأضافهم اليه جل شأنه والاول أظهر، وقرأ زيد بن علي. وأبو السمال - بأعيننا - بالادغام *

﴿جَزَاءَ مَنْ كَانَ كُفْرًا ١٤﴾ أى فعلنا ذلك جزاءً لنوح عليه السلام فانه كان نعمة أنعمها الله تعالى على قومه فكفروها وكذا كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته، وجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير واستتارها في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً أى لمن كفر به وهو نوح عليه السلام أيضاً أى جحدت نبوته، فالكفر عليه ضد الايمان، وعلى الأول كفران النعمة، وعن ابن عباس. ومجاهد من يراد به الله تعالى كأنه قيل: غضباً وانتصاراً لله عز وجل وهو كما ترى، وقرأ مسلمة بن محارب - كفر - بإسكان الفاء خفف فعل ثاقف قوله: * لو عصر منه البان والمسك (انعصر) * وقرأ يزيد بن رومان بمرقناة. وعيسى (كفر) مبنياً للفاعل

فن يراد بها قوم نوح عليه السلام لا غير، وفي هذه القراءة دليل على وقوع الماضي بغير قد خبراً لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم يقول لا بد من وقوع قد ظاهرة أو مقدرة، وجوز أن تكون (كان) زائدة كأنه قيل: جزاء لمن (كفر) ولم يؤمن ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ أى أبقينا السفينة ﴿آيَةً﴾ بناءً على ما روى عن قتادة. والنقاش أنه بقي خشبها على الجودي حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة، أو أبقينا خبرها، أو أبقينا جنسها وذلك بإبقاء السفن، أو - تركنا - بمعنى جعلنا، وجوز كون الضمير للفعلة وهي إنجاء نوح عليه السلام ومن معه

وإغراق الكافرين ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أى معتبر بتلك الآية الحزبية بالاعتبار، وقرأ قتادة على ما نقل ابن عطية - مذكر - بالذال المعجمة على قلب تاء الافتعال ذالا وإدغام الذال في الذال، وقال صاحب اللوامح: قرأ قتادة فهل من - مذكر - بتشديد الكاف من التذكير أى من يذكر نفسه أو غيره بها، وقرئ مذتكر بالذال معجمة بعدها تاء الافتعال فهو الاصل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٥﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة

لا يحيط بها الوصف، والنذر - مصدر كالانذار، وقيل: جمع نذير بمعنى الانذار، وجعله بعضهم بمعنى المنذر منه، وليس بشئ، وكذا جعله بمعنى المنذر، وكان يحتمل أن تكون ناقصة فكيف في موضع الخبر؟ وتامة فكيف في موضع الحال؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ الخ جملة قسمية وردت في آخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى: (ولقد جاءهم) الخ وتنبها على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار، أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرنا فيه من الوعيد والوعد ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أى للتذكر والاعتاظ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ إنكار ونفي للتعطى على أبلغ وجه وآكده يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم، وقيل: المعنى سهلنا القرآن للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلاسة اللفظ وشرف المعاني وصحتها وعروقه عن الوحشى ونحوه فله تعلق بالقلوب وحلاوة في السمع فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ومن هنا قال ابن جبير: لم يستظهر شئ من الكتب إلا سهية غير القرآن، وأخرج ابن المنذر: وجماعة عن مجاهد أنه قال: يسرنا القرآن هونا قراءته *

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لولا أن الله تعالى يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله تعالى *

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله * وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين أنه من رجل يقول سورة خفيفة فقال: لا تقل ذلك ولكن قل سورة يسيرة لأن الله تعالى يقول: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) والمعنى الذى ذكر أولاً أنسب بالمقام، ولعل خبر أنس إن صح ليس تفسيراً للآية، وجوز تفسير (يسرنا) بهيأنا من قوهلم: يسرنا نأقته للسفر إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه قال الشاعر:

وقت إليه باللجام (ميسراً) هنالك يجزىنى الذى كنت أصنع

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ شروع في قصة أخرى ولم تعطف وكذا ما بعدها من القصص إشارة إلى أن كل قصة مستقلة في القصد والاعتاظ ولما لم يكن لقوم نوح اسم علم ذكروا بعنوان الإضافة ولما كان لقوم هود علم وهو (عاد) ذكروا به لأنه أبلغ في التعريف، والمراد كذبت عاد هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب، وقوله:

﴿فَكَيْفَ كَانَتْ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقى اليهم قبل ذكره لالتحويل وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعديانته وإقبله وما بعده كأنه قيل: (كذبت عاد) فهل سمعتم، أو فاسمعوا كيف عذابى وإنذارى لهم، وقيل: هو للتحويل أيضاً لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفراد هذا النوع من العذاب، وفيه بحث، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ استئناف لبيان ما أجمل أولاً، والصرصر الباردة على ما روى عن ابن عباس: وقنادة. والضحاك، وقيل: شديدة الصوت وتما الكلام قد مر في (فصلت) *

﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم عليهم ﴿مُسْتَمِرّاً ١٩﴾ ذلك الشؤم لأنهم بعد أن أهلكوا لم يزالوا معذبين في البرزخ حتى يدخلوا جهنم يوم القيامة، والمراد باليوم مطلق الزمان لقوله تعالى: (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات)، وقوله سبحانه: (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) والمشهور أنه يوم الاربعاء

وكان آخر سؤال على معنى أن ابتداء إرسال الريح كان فيه فلا ينافي آيتي (فصلت . والحاقة) *
وجوز كون (مستمر) صفة يوم أى في يوم استمر عليهم حتى أهلـكهم ، أو شمل كبيرهم وصغيرهم حتى لم تبج
منهم نسمة على أن الاستمرار بحسب الزمان أو بحسب الاشخاص والافراد لكن على الاول لابد من تجوز
بإرادة استمرار نحسه ، أو يجعل اليوم بمعنى مطلق الزمان لأن اليوم الواحد لم يستمر فتدبر ، وجوز كون (مستمر)
بمعنى محكم وكونه بمعنى شديد المرارة وهو مجاز عن بشاعته وشدة هوله إذ لا طعم له ، وجوز كونه بدلا ،
أو عطف بيان وهو كما ترى ، وقرأ الحسن (يوم نحس) بتنوين يوم وكسر حاء نحس ، وجعله صفة ليوم فیتعين
كون (مستمر) صفة ثانية له ، وأيد بعضهم بالآية ما أخرجه وكيع في الغرر . وابن مردويه . والخطيب البغدادي
عن ابن عباس مرفوعا آخر أربعا في الشهر يوم نحس مستمر وأخذ بذلك كثير من الناس فتطهروا منه وتركوا
السعي لمصالحهم فيه ويقولون له : أربعا لا تدور ، وعليه قوله :

لقاؤك للبكر فال سوء ووجهك - أربعا لا تدور -

وذلك مما لا ينبغي ، والحديث المذكور في سنده مسلسلة بن الصلت قال أبو حاتم : متروك ، وجزم ابن الجوزي
بوضعه ؛ وقال ابن رجب : حديث لا يصح ورفعه غير متفق عليه فقد رواه الطيوري من طريق آخر موقوف على ابن عباس ،
وقال السخاوي : طريقه كلها واهية ، وضعفوا أيضا خبر الطبراني يوم الاربعاء يوم نحس مستمر ، والآية قد علمت
معناها ، وجاء في الأخبار والآثار ما يشعر بمدحه ففي منهاج الحليمي ، وشعب البيهقي أن الدعاء يستجاب يوم
الاربعاء بعيد الزوال ، وذكر برهان الاسلام في تعليم المتعلم عن صاحب الهداية أنه ما بدى شئ يوم الاربعاء
إلا وتم وهو يوم خلق الله تعالى فيه النور فلذلك كان جمع من المشايخ يتحررون ابتداء الجلوس للتدريس فيه ،
واستحب بعضهم غرس الاشجار فيه لخبر ابن حبان . والدليل عن جابر مرفوعا « من غرس الاشجار يوم الاربعاء
وقال : سبجان الباءث الوارث أتنه أكلها » نعم جاءت أخبار وآثار تشعر بخلاف ذلك ، ففي الفردوس عن عائشة
مرفوعا « لولا أن تكره أمتي لأمرتها أن لا يسافروا يوم الاربعاء ، وأحب الايام إلى الشيوخ فيها يوم الخميس »
وهو غير معلوم الصحة عندي *

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس . وابن عدى . وتمام في فوائده عن أبي سعيد مرفوعا يوم السبت يوم مكر وخديعة .
ويوم الاحد يوم غرس وبناء . ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق . ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس . ويوم
الاربعاء لا أخذ ولا عطاء . ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان . والجمعة يوم خطبة ونكاح ،
وتعقبه السخاوي بأن سنده ضعيف ، وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا ، وخرجه الحاكم من طريقين آخرين
« لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الاربعاء » وفي بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وأنه يورث
البرص ، وكره بعضهم عيادة المرضى فيه ، وعليه قيل :

لم يؤت في الأربعا مريض إلا دفن - اه في الخميس

وحكى عن بعضهم أنه قال لآخيه : أخرج معي في حاجة فقال : هو الاربعاء قال : فيه ولد يونس قال : لا جرم
قد بانث له بركته في اتساع موضعه وحسن كسوته حتى خلصه الله تعالى قال : وفيه ولد يوسف عليه السلام
قال : فما أحسن ما فعل أخوته حتى طال حبسه وغرته قال : وفيه نصر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم يوم
الاحزاب قال : أجل لكن - بعد أن زاعت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر - ونقل المناوى عن البحران

أخباره عليه الصلاة والسلام عن نحوسة آخر أربعاء في الشهر من باب التطير ضرورة أنه ليس من الدين بل فعل الجاهلية ولا مبنى على قول المنجمين أنه يوم عطار وهو نحس مع النحوس سعد مع السعود فانه قول باطل، ويجوز أن يكون من باب التخويف والتحذير أي احذروا ذلك اليوم لما نزل فيه من العذاب وكان فيه من الهلاك وجددوا فيه لله تعالى توبة خوفاً أن يلحقكم فيه بؤس كما وقع لمن قبلهم ، وهذا كما قال حين أتى الحجر : لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين إلى غير ذلك ، وحكى أيضاً عن بعضهم أنه قال : التطير مكروه كراهية شرعية إلا أن الشرع أباح لمن أصابه في آخر أربعاء شئ في مصالحه أن يدع التصرف فيه لآعلى جهة التطير واعتقاد أنه يضرب أو ينفع بغير إذن الله تعالى بل على جهة اعتقاد إباحة الإمساك فيه لما كرهته النفس لا اقتفاءً للتطير ولكن إثباتاً للرخصة في التوقي فيه لمن يشاء مع وجوب اعتقاد أن شيئاً لا يضرب شيئاً ، ونقل عن الحلبي أنه قال : علمنا ببيان الشريعة أن من الأيام نحساً ، ويقابل النحس السعد وإذا ثبت الأول ثبت الثاني أيضاً ، فالأيام منها نحس ومنها سعد كالأشخاص منهم شقي ومنهم سعيد ، لكن زعم أن الأيام والسكاك تنحس أو تسعد باختيارها أوقاتها وأشخاصا باطل ، والقول - إن السكاك قد تكون أسبابا للحسن والقبیح والخير والشر والكل فعل الله تعالى وحده - بما لا بأس به ، ثم قال المناوي : والحاصل أن توقي الأربعاء على جهة الطيرة وظن اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم إذ الأيام كلها لله تعالى لا تنفع ولا تضر بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور فيه ؛ ومن تطير حاقت به نحوسته ، ومن أيقن بأنه لا يضرب ولا ينفع إلا الله عز وجل لم يؤثر فيه شئ من ذلك كما قيل :

تعلم أنه لا طير إلا على (متطير) وهو الثبور

انتهى ، وأقول كل الأيام سواء ولا اختصاص لذلك يوم الأربعاء وما من ساعة من الساعات إلا وهي سعد على شخص نحس على آخر باعتبار ما يحدث الله تعالى فيها من الملائم والمنافر والخير والشر ، فكل يوم من الأيام يتصف بالامرین لاختلاف الاعتبار وإن استنحس يوم الأربعاء لوقوع حادث فيه فليستنحس كل يوم فما أوج الليل في النهار والنهار في الليل إلا لا يلاذ الحوادث ، وقد قيل :

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهنئ الليالي كلها أخوات

وقد حكى أنه صبح ثمود العذاب يوم الأحد ، وورد في الأثر ولا أظنه يصح - نعوذ بالله تعالى من يوم الأحد فان له حداً أحد من السيف - ولو صح فلعله في أحد مخصوص علم بالوحي ما يحدث فيه ، وزعم بعضهم - أن من المجرب الذي لم يخط قط أنه متى كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأحد وفعل فيه شئ لم يتم - غير مسلم ، وورد في الفردوس من حديث ابن مسعود - خلق الله تعالى الأمراض يوم الثلاثاء ، وفيه أنزل إبليس إلى الأرض ، وفيه خلق جهنم ، وفيه سلب الله تعالى ملك الموت على أرواح بني آدم . وفيه قتل قاييل هابيل ، وفيه توفي موسى وهرون عليهم السلام ، وفيه ابتلى أيوب - الحديث ، وهو إن صح لا يدل على نحوسته غاية أنه وقع فيه ما وقع وقد وقع فيه غير ذلك مما هو خير ، ففي رواية مسلم - خلق المنفق أي ما يقوم به المعاش يوم الثلاثاء - وإذا تتبعنا التواريخ وقفت على حوادث عظيمة في سائر الأيام ، ويكفي في هذا الباب أن حادثه عاد استوعبت أيام الأسبوع فقد قال سبحانه : (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) فان كانت النحوسة لذلك فقل لي أي يوم من الأسبوع خلا منها ؟ ! ومثل أمر النحوسة فيما أرى أمر تخصيص كل يوم بعمل كما

يزعمه كثير من الناس ، ويذكرون في ذلك آياتنا نسبها الحافظ الديماطي لعلّ كرم الله تعالى وجهه وهي

فنعم اليوم (يوم السبت) حقاً لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي (الاحد) البناء لان فيه تبدى الله في خلق السماء
وفي (الاثنين) إن سافرت فيه سترجع بالنجاح وبالثراء
ومن يرد الحجامه (فالثلاثا) ففي ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواءً فنعم اليوم يوم (الاربعاء)
وفي (يوم الخميس) قضاء حاج فان الله يأذن بالقضاء
وفي (الجمعات) تزويج وعرس ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يدره إلا نبي أو وصي الانبياء

ولا أظنها تصح ، وقصارى ما أقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا دخل في ذلك لوقت ولا لغيره، نعم لبعض الاوقات شرف لا ينكر كيوم الجمعة وشهر رمضان وغير ذلك ، ولبعضها عكس ذلك كالأوقات التي تكره فيها الصلاة لكن هذا أمر ومحل النزاع أمر فاحفظ ذاك ، والله تعالى يتولى هداك ، وقوله تعالى :

﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ يجوز أن يكون صفة للريح وأن يكون حالاً منها لأنها وصفت فقربت من المعرفة ، وجوز أن يكون مستأنفاً، وجيء - بالناس - دون ضمير عادي: ليشمل ذكورهم وإنايتهم - والنزع - القلع، روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فقلعتهم الريح وصرعتهم موتى *

﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعَرٍ ٢٠ ﴾ أى منقلع عن مغارسه سائط على الارض ، وقيل: شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رموسهم فتبقى أجساداً وجشاً بلا رموس ، ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوى جثث عظام طوال ، والنخل اسم جنس يذكر نظراً للفظ كانهما ويؤنث نظراً للمعنى كما في قوله تعالى: (أعجاز نخل خاوية) واعتبار كل في كل من الموضعين للفاصلة، والجملة التشبيهية حال من الناس وهي حال مقدرة ، وقال الطبري: في الكلام حذف والتقدير فتركهم كأنهم النخ ، فالكاف على ما في البحر في موضع نصب بالمحذوف وليس بذاك ، وقرأ أبو نبيك أعجز على وزن أفعل نحو ضبع وأضبع ، وقوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ٢١ ﴾ تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار مع ما تقدم، وقيل: إن الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحقق بهم في الآخرة، (كان) للشاكلة، أو للدلالة على تحقيقه على عادته سبحانه في إخباره ، وتعقب بأنه يأباه ترتيب الثاني على العذاب الديوى *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢ ﴾ الكلام فيه كالذي مر ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣ ﴾ بالرسول عليهم الصلاة والسلام فان تكذيب أحدهم وهو صالح عليه السلام هنا تكذيب للكل لا تفاههم على أصول الشرائع ، وجوز أن يكون مصدراً ، أو جماعاً وأن يكون جمع نذير بمعنى المنذر منه فلا تغفل •

﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا ﴾ أى كائناً من جنسنا على أن الجار والمجرور في موضع الصفة - لبشراً - واتصابه بفعل يفسره - تتبع - بعد أى أتبع بشراً ﴿ وَاحِدًا ﴾ أى منفرداً لا تبعه ، أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم كما يفهم من التفسير

الدال على عدم التعيين وهو صفة أخرى لبشر وتأخيره مع إفراده عن الصفة الأولى مع كونها شبه الجملة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة بما ينعم الاتباع ولو قدم عليها لفات هذا التنبيه ، وقرأ أبو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه السكامل وأبو عمرو الداني - أبشر منا واحداً - برفعهما على أن - بشر - مبتدأ ، وما بعد صفته ، وقوله تعالى : ﴿ تَبِعْهُ ﴾ خبره . ونقل ابن خالويه . وصاحب اللوامح . وابن عطية عن أبي السمال رفع - بشر - ونصب (واحداً) وخرج ذلك ابن عطية على أن رفع - بشر - إما على إضمار فعل مبني للفعول والتقدير أئبنا بشراً ، وإما على الابتداء والخبر جملة (تبعه) ، ونصب (واحداً) على الحال إما من ضمير النصب في (تبعه) ، وإما من الضمير المستقر في (منا) وخرج صاحب اللوامح نصب (واحداً) على هذا أيضاً ، وأما رفع بشر فخرجه على الابتداء وإضمار الخبر أى أبشر منا يبعث إلينا أو يرسل أو نحوهما ، وتقدم الاستفهام يرجح تقدير فعل يرفع به (إِنَّا إِذَا) أى إذا اتبعنا بشراً منا واحداً ﴿ لَنِي ضَلَّلَ ﴾ عظيم عن الحق ﴿ وَسُعِّرَ ٢٤ ﴾ أى نيران جمع سعير . وروى أن صالحاً عليه السلام كان يقول لهم : إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعير فمكسوا عليه لغاية عتقهم فقالوا : إن اتبعناك كنا إذا كما نقول ، فالسكلام من باب التعكيس والقول بالموجب ، وجمع السعير باعتبار الدرجات ، أو للمبالغة ، وروى عن ابن عباس ما يحتمل ما قلنا فانه قال : أى لني بعد عن الحق وعذاب ، وفي رواية أخرى عنه تفسير الشعر بالجمون على أنه اسم مفرد بمعنى ذلك يقال ناقة مسعورة إذا كانت تفرط في سيرها كأنها مجنونة قال الشاعر :

كأن بها (سعراً) إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب

والأول أوجه وأصح ﴿ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أى أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بذلك ، والتعبير بألقى دون أنزل قيل : لانه يتضمن العجلة في الفعل ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ٢٥ ﴾ أى شديد البطور وهو على ما قال الراغب : دهش يعتري من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقوقها ووضعها إلى غير وجهها ، ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما تعتري من الفرح : ومرادهم ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله شدة بطره وطلبه التعظيم علينا على ادعاء ذلك ، وقرأ قتادة . وأبو قلابة - بل هو الكذب الأشر - بلام التعريف فيهما ويفتح الشين وشد الراء ، وسيأتى إن شاء الله تعالى قريباً ما في ذلك ، وقوله تعالى :

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ ٢٦ ﴾ حكاية لما قاله سبحانه وتعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعداً لقومه ، والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده ، والمراد بالغد وقت نزول العذاب الدنيوي بهم ، وقيل : يوم القيامة فهو لمطلق الزمان المستقبل وعبر به لتقريبه ، وعليه قول الطرماح :

ألا علائق قبل نوح النوائج وقبل اضطراب النفس بين الجوانح
وقبل (غد) يالطف نفسى على غد إذا راح أصحابى ولست برائح

أى (سيعلمون) البتة عن قريب (من الكذاب الأشر) الذى حمله أشره وبطره على ما حمله أصالح أم من كذبه ، والمراد سيعلمون أنهم هم الكذابون الأشرون لكن أورد ذلك مورد الإبهام إيماء إلى أنه بما لا يكاد يخفى ، ونحوه قول الشاعر :

فلئن لقيتك خالين لتعلن (أي وأيك) فارس الاحزاب

وقرأ ابن عامر . وحمة . وطلحة . وابن وثاب . والأعمش . ستعلمون - بناء الخطاب على حكاية ما قال لهم صالح مجيباً لهم، وفي الكشف أو هو كلام على سبيل الالتفات، قال صاحب الكشف: أي هو كلام الله تعالى لقوم ثمود على سبيل الالتفات اليهم إما في خطابه تعالى لرسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نظير ما حكاه سبحانه عن شعيب (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم) بعد ما استؤصلوا هلاكاً وهو من بليغ الكلام فيه دلالة على أنهم أحقاء بهذا الوعيد وكأنهم حضور في المجلس حول اليهم الوجه لينعى عليهم جنايتهم . وإما في خطابه عز وجل لصالح عليه السلام والمنزل حكاية ذلك الكلام المشتمل على الالتفات . وعلى التقديرين لا إشكال فيه كما توهم . ولفظ الزمخشري على الأول أدل وهو أبلغ انتهى، ومن التفت إلى ما قاله الجمهور في الالتفات لا أظنه تسكن نفسه بما ذكر فتأمل ، وقرأ مجاهد فيما ذكره صاحب اللوامح . وأبو قيس الاودي (الأشر) بثلاث ضمات وتخفيف الراء . ويقال : أشر وأشر تحذر وحذر فضمة الشين لغة وضم الهمزة تبع لها *

وحكى الكسائي عن مجاهد ضم الشين دون الهمزة فهو كندس . وقرأ أبو حيوة (الأشر) أفعل تفضيل أي الأبلغ في الشرارة وكذا قرأ قتادة . وأبو قلابة أيضاً هو قليل الاستعمال وإن كان على الأصل كالآخر في قول روبة: * بلال خير الناس وابن الآخر * وقال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالآخر - و(الأشر) إلا في ضرورة الشعر وأنشد البيت ، وقال الجوهري: لا يقال (الأشر) إلا في لغة رديئة ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّا نُرْسِلُ النَّاقَةَ ﴾ الاستئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود على ما هو الظاهر، وبه يتعين كون المراد بالغد وقت نزول العذاب الديني بهم دون يوم القيامة، والارسال حقيقة في البعث وقد جعل هنا كناية عن الإخراج، وأريد المعنى الحقيقي معه لما أوماً إليه بعض الأجلة أي إنا نخرجوا الناقة التي سألوها من الهضبة وباعثوها ﴿ فَتَنَّةٌ لَهُمْ ﴾ امتحاناً، وجوز إبقاؤها على معناها المعروف ﴿ فَأَرْقَبُ لَهُمْ ﴾ فانتظروهم وتبصر ما هم فاعلون ﴿ وَأَصْطَبِرُ ۚ ﴾ ٢٧ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتي أمر الله تعالى ﴿ وَنَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ ﴾ وأخبرهم بأن ماء البئر التي لهم ﴿ قَسَمَةٌ يَنْهَمُ ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم، و(ينهم) لتغليب العقلاء، وقرأ معاذ عن أبي عمرو (قسمة) بفتح القاف ﴿ كُلُّ شَرْبٍ ﴾ نصيب وحصه منه ﴿ مُحْتَضَرٌ ۚ ﴾ ٢٨ يحضره صاحبه في نوبته فتحضر الناقة تارة ويحضره أخرى، وقيل: يتحول عنه غير صاحبه من حضر عن كذا تحول عنه وقيل: يمنع عنه غير صاحبه مجاز عن الحظر بالظاء بمعنى المنع بعلاقة السببية فانه مسبب عن حضور صاحبه في نوبته وهو كما ترى، وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها، والمعنى كل شرب من الماء واللبن تحضره أنتم ﴿ فَنَادَوْا ﴾ أي فأرسلنا الناقة وكانوا على هذه الوتيرة من القسمة فلما ذلك وعزموا على عقر الناقة ﴿ فَنَادَوْا ﴾ لعقروا ﴿ صَاحِبَهُمْ ﴾ وهو قدار بن سالف أحيمر ثمود وكان أجراًهم ﴿ فَتَعَاطَى ﴾ العقر أي فاجترأ على تعاطيه مع عظمه غير مكترث به *

﴿ فَعَقَرَهُ ۚ ﴾ ٢٩ فأحدث العقر بالناقة، وجوز أن يكون المراد فتعاطى الناقة فعقرها، أو فتعاطى السيف فقتلها، وعلى كل ففعل تعاطى محذوف والتفريع لا غبار عليه، وقيل: تعاطى منزل منزلة اللازم على أن معناه أحدث

مستقبلين شمال الشام تضر بنا (بحاصب) كنديف القطن منشور

وجوز أن يراد بها نفس العذاب ﴿فَمَارُوا﴾ فكذبوا ﴿بِالنَّذْرِ ٣٦﴾ متشاكين ، فالفعل مضمن معنى التكذيب ولولاه تعدى بنى ﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ صرفوه عن رأيه فيهم وطلبوا الفجور بهم وهذا من إسناد مالبعض للجميع لرضاهم به ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أى أزلنا أثرها وذلك بمسحها وتسويتها كسائر الوجوه ، وهو كما قال أبو عبيدة ، وروى أن جبريل عليه السلام استأذن ربه سبحانه في عقوبتهم ليلة جاءوا وعالجوا الباب ليدخلوا عليهم فصفقهم بجناحه فتركهم عياناً يترددون لا يهتدون إلى طريق خروجهم حتى أخرجهم لوط عليه السلام

وقال ابن عباس. والضحاك : إنما حجب إدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً فجعل ذلك كالطمس فعبّر به عنه *
وقرأ ابن مقسم (فطمسنا) بتشديد الميم للتكثير في المفعول ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ﴾ (٣٧) أى قتلنا لهم ذلك على السنة الملائكة عليهم السلام ، فالقول في الحقيقة لهم وأسند إليه تعالى مجازاً لأنه سبحانه الأمر أو القائل ظاهر الحال فلا قول وإنما هو تمثيل ، والمراد بالعذاب الطمس وهو من جملة ما أنذروه *
﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً ﴾ أول النهار وهي أخص من الصباح فليس في ذكرها بعده زيادة وكان ذلك أول شروق الشمس ، وقرأ زيد بن علي (بكرة) غير مصروقة للعلية والتأنيث على أن المراد بها أول نهار مخصوص *
﴿ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴾ (٣٨) * يستقر بهم ويدوم حتى يسلمهم إلى النار، أو لا يدفع عنهم، أو يبلغ غايته *
﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ﴾ (٣٩) * حكاية لما قيل لهم بعد التصحيح من جهته تعالى تشديداً للعذاب ، أو هو تمثيل *
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٤٠) * تقدم ما فيه من الكلام ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ (٤١) *
صدرت قصتهم بالتوكيد القسبي لابرز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول مالا قوه من العذاب وقوة إيجابها للاعتاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك فانه رأس الطغيان ومدعى الألوهية ، والقول : بأنه إشارة إلى إسلامه مما لا يلتفت إليه ، (النذر) إن كان جمع نذير بمعنى الانذار فالأمر ظاهر وكذا إن كان مصدرأ ، وأما إن كان جمع نذير بمعنى المنذر فالمراد به موسى وهرون وغيرهما لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أى وبالله تعالى لقد جاءهم المنذرون ، أو الانذرات ، أو الانذار ، وقوله تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجي النذر كأنه قيل : فماذا فعل آل فرعون حينئذ ؟ فقيل : كذبوا بجميع آياتنا وهي آيات الأنبياء كلهم عليهم السلام فان تكذيب البعض تكذيب للكل ، أو هي الآيات التسع ، وجوز الواحدى أن يراد بالنذر نفس الآيات فقوله سبحانه : (بآياتنا) من إقامة الظاهر مقام الضمير والأصل كذبوا بها ، وزعم بعض غلاة الشيعة وهم المسلمون بالكشفية في زماننا أن المراد - بالآيات كلها - على كرم الله تعالى وجهه فإنه الإمام المبين المذكور في قوله تعالى : (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) وأنه كرم الله تعالى وجهه ظهر مع موسى عليه السلام لفرعون وقومه فلم يؤمنوا - وهذا من الهذيان بمكان - نسأل الله تعالى العفو والعافية ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ أى آل فرعون ، وزعم بعض أن ضمير (كذبوا) وضمير أخذناهم عائدان على جميع من تقدم ذكره من الأمم وتم الكلام عند قوله تعالى : (النذر) وليس بشئ ، والفاء للتفريع أى (فأخذناهم) وقهرناهم لأجل تكذيبهم ﴿ (أَخَذَ عَزِيزٌ) ﴾ لا يغالب ﴿ (مُقْتَدِرٌ) ﴾ (٤٢) *
لا يعجزه شئ ، ونصب أخذ على المصدرية لاعلى قصد التشبيه * (أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ) * أى الكفار المعدودين قوم نوح . وهود . وصالح . ولوط . وآل فرعون ، والمراد الخيرية باعتبار الدنيا وزيتها ككثرة القوة والشدة وفور العدد والعدة ، أو باعتبار لين الشكيمة في الكفر بأن يكون الكفار المحدث عنهم بالخيرية أقل عناداً وأقرب طاعة وانقياداً ، وظاهر كلام كثير أن الخطاب هنا عام للسليين وغيرهم حيث قالوا : (أ كفاركم) يامعشر العرب (خير) الخ والاستفهام إنكارى فى معنى النفي فكأنه قيل : ما كفاركم خير من أولئكم الكفار المعدودين بأن يكونوا أكثر منهم قوة وشدة وأوفر عدداً وعدة ، أو بأن يكونوا ألين شكيمة في الكفر والعصيان

والضلال والطفیان بل هم دونهم في القوة وما أشبهها من زينة الدنيا، وأسوأ حالا منهم في الكفر ، وقد أصاب من هو خير ما أصاب فكيف يطمعون هم في أن لا يصيبهم نحو ذلك ، وكذا قيل : في الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ وجعل بتقدير أم لكفاركم وهو إضراب وانتقال إلى تنكيت آخر فكانه قيل : بل الكفاركم براءة وأمن من تبعات ما يعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك يصرون على ما هم عليه ولا يخافون ، واختار بعضهم في هذا أنه خاص بالكفار ، وقالوا في قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ إنه إضراب من التبكيت المذكور إلى تبكيت آخر بطريق الالتفات للابتنان بإفضاء حالهم إلى الاعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم ، أي بل يقولون واثقين بشوكتهم نحن جماعة أمرنا مجتمع لا يرام ولا يضام ، أو (منتصر) من الأعداء لا يغلب ، أو متناصرين نصر بعضهم بعضاً ، والذي يترجح في نظر الفقير أن الخطاب في الموضوعين خاص على ما يقتضيه السياق بكفار أهل مكة أو العرب وهو ظاهر في الموضوع الثاني لا يحتاج إلى شيء ، وأما في الموضوع الأول فوجهه أن تكون الإضافة مثلها في الدراهم كلها كذا ، وطور سيناء ، ويوم الأحد ولم يقل أنتم للتخصيص على كفرهم المقتضى لهلاكهم ، ويجوز أن يعتبر في (أ كفاركم) ضرب من التجريد الذي ذكره في نحو (لهم فيها دار الخلد) فكانه جرد منهم كفار وأضيفوا إليهم ، وفي ذلك من المبالغة ما فيه ، ويجوز أن يكون هذا وجهاً للدول عن أنتم ، وربما يترجح به كون الخيرية المنفية باعتبار لين الشكيمة في الكفر وكأنه لما خوف سبحانه الكفار الذين كذبوا الآيات وأعرضوا عنها ، وقالوا هي سحر مستمر بذكر ما حل بالأمم انسالفه مما تبرق وترعد منه أسارير الوعيد قال عز وجل لهم : لم لا تخافون أن يحل بكم مثل ما حل بهم أنتم أقل كفراً وعناداً منهم ليسكون ذلك سبباً للآمن من حلول نحو عذابهم بكم أم أعطاكم الله عز وجل براءة من عذابه أم أنتم أعز منهم منتصرون على جنود الله تعالى وعدل سبحانه عن أم أنتم جميع منتصر إلى ما في النظم الجليل للإشارة إلى أن ذلك مما لا تحقق له أصلاً إلا باللفظ ومحض الدعوى التي لا يوافق عليها قائل ، فأسرار كلام الله تعالى لا تتناهى ، ثم لا تعجل بالاعتراض على ما قلناه وإن لم يكن لنا سلف فيه حسبنا تتبعنا ، ثم إن (جميع) على ما أشير إليه بمعنى الجماعة التي أمرها مجتمع وليس من التأكيد في شيء بل هو خبر (نحن) ، وجوز أن يكون بمعنى مجتمع خبر مبتدأ محذوف وهو (أمرنا) والجملة خبر (نحن) وأن يكون هو الخبر والاسناد مجازي ، و(منتصر) على ما سمعت إما بمعنى متمتع يقال : نصره فانتصر إذا منعه فامتنع . والمراد بالامتناع عدم المغلوبة أو هو بمعنى منتقم من الأعداء أو هو من النصر بمعنى العون ، والافتعال بمعنى التفاعل كالاختصام والتخاصم وكان الظاهر منتصرون إلا أنه أفرد باعتبار لفظ الجميع فانه مفرد لفظاً جمع معنى ورجع هنا جانب اللفظ عكس بل أنتم قوم تجهلون لخفة الأفراد مع رعاية الفاصلة وليس في الآية رعاية جانب المعنى أولاً ، ثم رعاية جانب اللفظ ثانياً على عكس المشهور ، وإن كان ذلك جائزاً على الصحيح كما لا يخفى على الخير ، وقرأ أبو حنيفة . وموسى الأسواري . وأبو البرهم - أم تقولون - بناء الخطاب ، وقوله تعالى :

﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ ﴾ ردقو لهم ذلك والسين للتأكيدي يهزم جمعهم البتة ﴿ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ أي الأدبار ، وقد قرئ كذلك ، والأفراد لإرادة الجنس الصادق على الكثير مع رعاية الفواصل ومشكلة القرائن ، أولآنه في تأويل يولى كل واحد منهم دبره على حد كسانا الأمير حلة مع الرعاية المذكورة أيضاً وقد كان هذا يوم بدر وهو من دلائل النبوة لأن الآية مكية ، وقد نزلت حيث لم يفرض جهاد ولا كان قتال ولذا قال عمر

رضى الله تعالى عنه : يوم نزلت أى جمع يهزم أى من جموع الكفار ؟ ولم يتعرض لقتال أحد منهم ، وقد تقدم الخبره
ومأشرونا اليه يعلم أن قول الطيبي في هذه الرواية نظر لأن همزة الإنكار في (أم يقولون) الخ دلت على أن
المنهزمين من هم ناشئ عن الغفلة عن مراد عمر رضى الله تعالى عنه ، وقرأ أبو حيوة . وموسى الاسوارى .
وأبو البرهسم - ستهزم الجمع - بفتح التاء وكسر الزاى خطاباً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصب الجمع
على المفعولية ، وقرأ أبو حيوة أيضاً . ويعقوب - ستهزم - بالنون مفتوحة وكسر الزاى على إسناد الفعل إلى
ضمير العظمة ، وعن أبي حيوة . وابن أبي عبة (ستهزم) الجمع بفتح الياء مبنياً للفاعل ونصب الجمع أى ستهزم
الله تعالى الجمع ، وقرأ أبو حيوة . وداود بن أبي سالم عن أبي عمرو - وتولون - بقاء الخطاب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾
أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم وهذا من طلائعه ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدهى ﴾ أى أعظم داهية
وهى الامر المنكر الفظيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص عنه ﴿ وَأَمْرٌ ٤٦ ﴾ وأشد مرارة في الذوق وهو استعارة
لصعوبتها على النفس ، وقيل : أقوى وليس بذلك وإظهار الساعة في موضع إضمارها الترية تهويلها ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾
من الأولين والآخرين ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ فى هلاك ﴿ وَسُعْرٌ ٤٧ ﴾ ونيران مسعرة أو فى ضلال عن الحق ونيران
فى الآخرة ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فى خسران وجنون ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ ﴾
أى يحبرون ﴿ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ متعلق بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨ ﴾
وجوز أن يكون متعلقاً بمقدر يفهم مما قبل أى يعذبون ، أو يهانزون ، أو نحوه ، وجلة القول عليه حال من
ضمير (يسحبون) وجوز كونه متعلقاً - بذوقوا - على أن الخطاب للمكذبين المخاطبين فى قوله تعالى : (أ كفاركم)
الخ أى ذوقوا أيها المكذبون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم يوم يسحب المجرون المتقدمون ، والمراد حشرهم
معهم والتسوية بينهم فى الآخرة كما ساوهم فى الدنيا وهو كما ترى ، والمراد - بمس سقر - ألمها على أنه مجاز مرسل
عنه بعلاقة السببية فإن مسها سبب للتألم بها وتعلق الذوق بمثل ذلك شائع فى الاستعمال ، وفى الكشف (مس
سقر) كقولك وجد مس الحى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحققتهم بايلامها فكأنها تسهم
مساً بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم وهو مشعر بأن فى الكلام استعارة مكنية نحو (ينقضون
عهد الله) ويحتمل غير ذلك ، (وسقر) علم لجهم - أعادنا الله تعالى منها ببركة كلامه العظيم وحرمة حبيبه عليه
أفضل الصلاة وأكمل التسليم - من سقرته للنار وصقرته بابدال السين صاداً لاجل القاف إذا لوحته وغيرت لونه
قال ذو الرمة يصف ثور الوحش :

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم الصرف للعلمية والتأنيث ، وقرأ عبد الله إلى النار ، وقرأ محبوب عن أبي عمرو (مس سقر) بادغام السين
فى السين ، وتعقب ذلك ابن مجاهد بأن إدغامه خطأ لأنه مشدد ، والظن بأبى عمرو أنه لم يدغم حتى حذف إحدى
السينين لاجتماع الامثال ثم أدغم ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ ﴾ من الاشياء ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ أى مقدراً مكتوباً فى اللوح
قبل وقوعه ، فالقدر بالمعنى المشهور الذى يقابل القضاء ، وحمل الآية على ذلك هو المأثور عن كثير من السلف ،
وروى الامام أحمد . ومسلم . والترمذى . وابن ماجه عن أبي هريرة قال : « جاء مشركو قريش يخاصمون

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شئ خلقناه بقدر) وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه . وابن ماجه . وابن عدى . وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية » أنزلت فيهم آية في كتاب الله (إن المجرمين في ضلال وسعر) إلى آخر الآيات ، وكان ابن عباس يكره القدرية جداً ، أخرج عبد بن حميد عن أبي يحيى الأعرج قال سمعت ابن عباس - وقد ذكر القدرية - يقول : لو أدر كت بعضهم لفعلت به كذا وكذا ثم قال : الزنا بقدر . والسرقة بقدر . وشرب الخمر بقدر * وأخرج عن مجاهد أنه قال : قلت لابن عباس : ماتقول فيمن يكذب بالقدر؟ قال : اجمع بيني وبينه قلت : ماتصنع به؟ قال : أخنقه حتى أقتله ، وقد جاء ذمهم في أحاديث كثيرة ، منها ما أخرجه أحمد . وأبو داود . والطبراني عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » . وجوز كون المعنى إنا كل شئ خلقناه مقدرأ محكما مستوفى فيه مقتضى الحكمة التي يدور عليها أمر التكوين ، فالآية من باب (وخلق كل شئ فقدره تقديرأ) ونصب (كل) بفعل يفسره ما بعده أى إنا خلقنا كل شئ خلقناه ، وقرأ أبو السمال قال : ابن عطية . وقوم من أهل السنة يرفع كل وهو على الابتداء ، وجملة (خلقناه) هو الخبر ، و(بقدر) متعلق به كما في القراءة المتواترة ، فتدل الآية أيضاً على أن كل شئ مخلوق بقدر ولا ينبغي أن تجعل جملة خلقناه صفة ، ويجعل الخبر (بقدر) لاختلاف القراءتين معنى حينئذ ، والاصل توافق القراءآت ، وقال الرضى : لا يتفاوت المعنى لأن مراده تعالى بكل شئ كل مخلوق سواء نصبت (كل) أو رفعته وسواء جعلت (خلقناه) صفة مع الرفع ، أو خبراً عنه ، وذلك إن خلقنا كل شئ بقدر لا يريد سبحانه به خلقنا كل ما يقع عليه اسم شئ لانه تعالى لم يخلق جميع الممكنات غير المنتهية واسم الشئ يقع على كل منها ، وحينئذ نقول : إن معنى (كل شئ خلقناه بقدر) على أن خلقناه هو الخبر (كل) مخلوق مخلوق (بقدر) وعلى أن (خلقناه) صفة (كل شئ) مخلوق كائن . (بقدر) والمعنيان واحد إذ لفظ (كل) في الآية مختص بالمخلوقات سواء كان (خلقناه) صفة له أو خبراً ، وتعقبه السيد السند قدس سره بأنه لقائل أن يقول : إذا جعلنا (خلقناه) صفة كان المعنى (كل) مخلوق متصف بأنه مخلوقنا كائن بقدر ، وعلى هذا لا يتمتع نظراً إلى هذا المعنى أن يكون هناك مخلوقات غير متصفة بتلك الصفة فلا تندرج تحت الحكم ، وأما إذا جعلناه خبراً أو نصبنا (كل شئ) فلا مجال لهذا الاحتمال نظراً إلى نفس المعنى المفهوم من الكلام فقد اختلف المعنيان قطعاً ولا يجديه نفعا أن كل مخلوق متصف بتلك الصفة في الواقع لانه إنما يفهم من خارج الكلام ولا شك أن المقصود ذلك المعنى الذي لا احتمال فيه ، وذكر نحوه الشهاب الخفاجي ولكون النصب نصاً في المقصود اتفقت القرآت المتواترة عليه مع احتياجه إلى التقدير وبذلك يترجح على الرفع الموهم لخلافه وإن لم يحتج إليه * ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً ﴾ أى ماشأتنا إلا فعلة واحدة على نهج لا يختلف ووتيرة لا تتعدد وهي الإيجاد بلا معالجة ومشقة ، أو ما أمرنا إلا كلمة واحدة ، وهي قوله تعالى : (كن) فالأمر مقابل النهى وواحد الأمور ، فإذا أراد عز وجل شيئاً قال له : (كن فيكون) ﴿ كَلَّمَكَ بِالْبَصَرِ ۝ ٥ ﴾ أى في السير والسرعة ، وقيل : هذا في قيام الساعة فهو كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْجِ الْبَصَرِ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ ﴾ أى أشباهكم في الكفر

من الامم السالفة ، وأصله جمع شيعة وهم من يتقوى بهم المرء من الأتباع ولما كانوا في الغالب من جنس واحد أريد به ما ذكر إما باستعماله في لازمه ، أو بطريق الاستعارة ، والحال قرينه على ذلك ، وقيل : هو باق على حقيقته أى أتباعكم ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ متعظ بذلك ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ ﴾ من الكفر والمعاصي ، والضمير المرفوع للأشياء كما روى عن ابن عباس . والضحاك . وقتادة . وابن زيد ، وجملة (فعلوه) صفة (شئ) والرباط ضمير النصب ، وقوله تعالى : ﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ متعلق بكون خاص خبر المبتدا أى كل شئ فعلوه في الدينامكتوب في كتب الحفظة غير مغفول عنه ، وتفسير (الزبر) : اللوح المحفوظ كما حكاه الطبرسي ليس بشئ ، ولم يختلف القراء في رفع (كل) وليست الآية من باب الاشتغال فلا يجوز النصب لعدم بقاء المعنى الحاصل بالرفع لو عمل المشتغل بالضمير في الاسم السابق كما هو اللازم في ذلك الباب إذ يصير المعنى ههنا حينئذ فعلوا (في الزبر) كل شئ . إن علقنا الجار - بفعلوا وهم يفعلوا شيئاً من أفعالهم في السكتب بل فعلوها في أما كتبهم والملائكة عليهم السلام كتبوها عليهم في السكتب ، أو فعلوا كل شئ مكتوب (في الزبر) إن جعلنا الجار نعتاً لكل شئ ، وهذا وإن كان معنى مستقيماً إلا أنه خلاف المعنى المقصود حالة الرفع وهو ما تقدم آنفاً ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الاعمال كما روى عن ابن عباس . ومجاهد وغيرهما ، وقيل : منها ومن كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿ مُسْتَطَرٌّ ﴾ مسطور مكتتب في اللوح بتفصيله وهو من السطر بمعنى السكتب ، ويقال : سطرت واستطرت بمعنى ، وقرأ الأعشى . وعمران . وعصمة عن أبي بكر عن عاصم (مستطر) بتشديد الراء ، قال صاحب اللوامع : يجوز أن يكون من - طر - النبات والشارب إذا ظهر ، والمعنى كل (صغير و كبير) ظاهر في اللوح مثبت فيه ويجوز أن يكون من الاستطار لكن شدد الراء للوقف على لغة من يقول - جمفتر ويفعل - بالتشديد وفقاً أى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف ووزنه على التوجيه الأول مستفعل وعلى الثاني مفتعل ، ولما كان بيان حال سوء الكفرة بقوله تعالى : (إن المجرمين) الخ مما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين سبحانه ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقال عز قائلنا : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أى من الكفر والمعاصي ، وقيل : من الكفر *
﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ عظيمة الشأن ﴿ وَنَهْرٍ ﴾ أى أنهار كذلك ، والافراد لا كتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل ، وعن ابن عباس تفسيره بالسعة ، وأنشد عليه قول لبيد بن ربيعة - كما في الدر المنثور - أوفيس بن الخطيب - كما في البحر - يصف طعنة :

ملكته بها كفى (فأنهت) فتقها يرى قائم من دونها ما وراها

أى أوسعت فتقها ، والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر ، وقيل : سعة الرزق والمعيشة ، وقيل : ما يعمهما وأخرج الحكيم والترمذي في نوادر الأصول عن محمد بن كعب قال : (ونهر) أى في نور وضياء وهو على الاستعارة بتشبيه الضياء المنتشر بالماء المتدفق من منبعه ، وجوز أن يكون بمعنى النهار على الحقيقة ، والمراد أنهم لا ظلمة ولا ليل عندهم في الجنات ، وقرأ الأعرج . ومجاهد . وحيد . وأبو السمال . والفياض بن غزوان (ونهر) بسكون الهاء ، وهو بمعنى (نهر) مفتوحها ، وقرأ الأعشى . وأبو نبيك . وأبو مجلز . واليماني (ونهر) بضم النون والهاء ، وهو جمع نهر المفتوح أو الساكن - كأسد وأسد ، ورهن ورهن - وقيل : جمع نهار ، والمراد أنهم لا ظلمة ولا ليل

عندهم كما حكى فيأمر، وقيل: قرئ بضم النون وسكون الهاء ﴿ في مَقْعَدِ صَدْقٍ ﴾ في مكان مرضى على أن الصدق مجاز مرسل في لازمه أو استعارة، وقيل: المراد صدق المبشر به وهو الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو المراد أنه ناله من ناله بصدقه وتصديقه للرسل عليهم السلام، فالإضافة لأذى ملابسة، وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدق الله تعالى فيه مواعيد أوليائه بأنه يبيع عز وجل لهم النظر إلى وجهه الكريم، وإفراد المقعد على إرادة الجنس *

وقرأ عثمان البتي - في مقاعد - على الجمع وهي توضح أن المراد بالمقعد المقاعد ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ ﴾ أي ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة وليست الياء من الاشباع ﴿ مَقْتَدِرٌ ٥٥ ﴾ قادر عظيم القدرة، والظرف في موضع الحال من الضمير المستقر في الجار والمجرور، أو خبر بعد خبر، أو صفة لمقعد صدق، أو بدل منه، والعندية للقرب الرتبى، وذكر بعضهم أنه سبحانه أبهم العندية والقرب ونكر - مليكا، ومقتدراً - للإشارة إلى أن ملكه تعالى وقدرته عز وجل لا تدرى الأفهام كنههما وأن قربهم منه سبحانه بمنزلة من السعادة والكرامة بحيث لا عين رأت ولا أذن سمعت مما يجمل عن البيان وتكل دونه الأذهان *

وأخرج الحكيم الترمذي عن بريدة - عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى: (إن المتقين) الخ قال: إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال فلا تقرأ أعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد - وإذا صح هذا فهو من المتشابه كالأية فلا تغفل، ولهذين الاسمين الجليلين شأن في استجابة الدعاء على ما في بعض الآثار *

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال: دخلت المسجد وأنا أرى أنى أصبحت فإذا على ليل طويل وليس فيه أحد غيري فتمت فسمعت حركة خلفي ففرغت فقال: أيها الممتلئ قلبه فرقا لا تفرق أولاً تفرع وقل اللهم إنك ملك مقدر ما تشاء من أمر يكون ثم سل ما بدالك قال: فاسألت الله تعالى شيئاً إلا استجاب لي وأنا أقول: اللهم إنك ملك مقدر ما تشاء من أمر يكون فأسعدني في الدارين وكن لي ولا تكن علي وانصرني على من بنى على وأعدني من هم الدين وقهر الرجال وشماتة الأعداء، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين *

﴿ سورة الرحمن عز وجل ﴾

وسميت في حديث أخرجه البيهقي عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً « عروس القرآن » ورواه موسى ابن جعفر رضي الله تعالى عنهما عن آبائه الأطهار كذلك (وهي مكية) في قول الجمهور، وأخرج ذلك ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير . وعائشة رضي الله تعالى عنهم . وابن النحاس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأخرج ابن الضريس . وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل عنه أنها نزلت بالمدينة، وحكى ذلك عن مقاتل، وحكاها في البحر عن ابن مسعود أيضاً، وحكى أيضاً قولاً آخر عن ابن عباس وهو أنها مدنية سوى قوله تعالى:

(يسألهم في السموات والارض) الآية ، وحكى الاستثناء المذكور في جمال القراء عن بعضهم ولم يعينه ، وعدد آياتها ثمان وسبعون آية في الكوفي والشامي ، وسبع وسبعون في الحجازي ، وست وسبعون في البصري * ووجه مناسبتها لما قبلها على ما قال الجلال السيوطي : أنه لما قال سبحانه في آخر ما قبل (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ثم وصف عز وجل حال المجرمين (في سقر) ؛ وحال المتقين (في جنات ونهر) فصل هذا الاجمال في هذه السورة أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الاجمال فبدأ بوصف مرارة الساعة ، والاشارة إلى شدتها ، ثم وصف النار وأهلها ، ولذا قال سبحانه : (يعرف المجرمون بسيماهم) ولم يقل الكافرون ، وأنحوه لاتصاله معنى بقوله تعالى هناك : (إن المجرمين) ، ثم وصف الجنة وأهلها ، ولذا قال تعالى فيهم : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وذلك هو عين التقوى ولم يقل ولمن آمن ، أر أطاع ، وأنحوه لتوافق الالفاظ في التفصيل والمفصل ؛ ويعرف بما ذكر أن هذه السورة كالشرح لآخر السورة قبلها ، وقال أبو حيان في ذلك : أنه تعالى لما ذكر هناك مقر المجرمين في سقر ، ومقر المتقين (في جنات ونهر عند مليك مقتدر) ذكر سبحانه هنا شيئاً من آيات الملك وآثار القدرة ، ثم ذكر جل وعلا مقر الفريقين على جهة الإسهاب إذ كان ذكره هناك على جهة الاختصار ، ولما أبرز قوله سبحانه : (عند مليك مقتدر) بصورة التذكير فكأن سائلاً يسأل ويقول من المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين ؟ فقيل : (الرحمن) الخ ، والاولى عندي أن يعتبر في وجه المناسبة أيضاً ما في الإرشاد وهو أنه تعالى لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل ، وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس واتعاضهم ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية والانفسية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموажب شكرها ، وهذا التكرار أحلى من السكر إذا تكرر ، وفي الدرر والغرر لعلم الهدى السيد المرتضى التكرار في سورة (الرحمن) إنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة ، فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن اليك بأن خولتك في الاموال ؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا ؟ فيحسن فيه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم كقول مهلهل يرثى طليبا :

على أن ليس عدلا من كليب	إذا ماضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا رجف العضاه من الدبور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خرجت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلا من كليب	غداة تأثل الأمر الكبير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا ماخار جاش المستجير

ثم أنشد قصائد أخرى على هذا النمط ولولا خوف الملل لاوردتها ، ولا يرد على ما ذكره أن هذه الآية قد ذكرت بعد ما ليس نعمة لما ستعلمه إن شاء الله تعالى في محله ، وقسم في الاتقان التكرار إلى أقسام ، وذكر أن منه ما هو لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الاول ؛ ثم قال : وهذا القسم يسمى بالترديد وجعل منه قوله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فانها وإن تكررت إحدى وثلاثين مرة فكل واحدة

تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائداً على شيء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيدي لا يزيد عليها كما قال ابن عبد السلام. وغيره، وهو حسن إلا أنه نظر في إطلاق قوله: إن التأكيدي الخ بأن ذلك في التأكيدي الذي تابع أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع وإن لزم منه التأكيدي فافهم، ويبدأ سبحانه من النعم بتعليم القرآن فقال عز قائلًا:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ لانه أعظم النعم شأنًا وأرفعها مكانًا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية وعيار على الكتب السماوية ما من مرصدر تنو اليه أحداق الامم إلا وهو منشؤه ومناطه، ولا مقصد تمتد نحوه أعناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه، ونصبه على أنه مفعول ثان - لعلم - ومفعوله الأول محذوف لدلالة المعنى عليه - أي علم الانسان القرآن - وهذا المفعول هو الذي كان فاعلا قبل نقل فعل الثلاثي إلى فعل المضعف، وسها الامام فحسب أن المحذوف المفعول الثاني حيث قال: علم لا بد له من مفعول ثان وترك للإشارة إلى أن النعمة في التعليم لافي تعليم شخص دون شخص، ويمكن أن يقال: أراد أنه لا بد له من مفعول آخر مع هذا المفعول فلا جزم بسهولة، وقيل: المقدر جبريل عليه السلام أو الملائكة المقربين عليهم السلام، وقيل: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى القولين يتضمن ذلك الإشارة إلى أن القرآن كلام الله عز وجل، والقول الأول أظهر وأنسب بالمقام، ولى في تعليم غير جبريل عليه السلام من الملائكة الكرام تردد ما بناء على ما في الاتقان نقلًا عن ابن الصلاح من أن قراءة القرآن كرامة أكرم الله تعالى بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنهم حريصون لذلك على استماعه من الإنس، وإنما لم اعتبر عمومها للنصوص الدالة على أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن وكأنى بك لا تسلم صحة ما ذكر وإن استثنى منه جبريل عليه السلام، وقيل: (علم) من العلامة ولا تقدير أى جعل القرآن علامة وآية لمن اعتبر، أو علامة للنبوة ومعجزة، وهذا على ما قيل: يناسب ما ذكر في مفتح السورة السابقة من قوله تعالى: (وانشق القمر) وتناسب السورتان في المفتح حيث افتتحت الأولى بمعجزة من باب الهيبة وهذه بمعجزة من باب الرحمة •

وقد أبعد القائل ولو أبدى ألف مناسبة، فالذى ينبغي أن يعلم أنه من التعليم، والمراد بتعليم القرآن قيل: إفادة العلم به لا بمعنى إفادة العلم بالفاظه فقط بل بمعنى إفادة ذلك والعلم بمعانيه على وجه يعتد به وهو متفاوت وقد يصل إلى العلم بالحوادث الكونية من إشاراته ورموزه إلى غير ذلك فإن الله تعالى لم يغفل شيئاً فيه • أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة» وأخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم عن ابن مسعود أنزل في هذا القرآن علم كل شيء وبين لنا فيه كل شيء. ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن، وقال ابن عباس: لو ضاع لى عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى؛ وقال المرسى: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم كالخلفاء الأربعة، ثم ورث عنهم التابعون لهم باحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، وفسر بعضهم التعليم بتدبير النفس لتصور المعاني، وجوز الامام أن يراد به هنا جعل الشخص بحيث يعلم القرآن فالآية كقوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وهو بهذا المعنى مجاز كما لا يخفى، و(الرحمن) مبتدأ. والجملة بعده خبره كما هو الظاهر، وإسناد

تعليمه إلى اسم (الرحمن) للايذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها ، وتقديم المسند إليه إما للتأكيد أو للحصر، وفيه من تعظيم شأن القرآن ما فيه ، وقيل : (الرحمن) خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ خبره محذوف أى الله الرحمن ، أو الرحمن ربنا وما بعد مستأنف لتعديد نعمه عز وجل وهو خلاف الظاهر ، ثم أتبع سبحانه نعمة تعليم القرآن بخلق الانسان فقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ لأن أصل النعم عليه ، وإنما قدم ما قدم منها لأنه أعظمها ، وقيل : لأنه مشير إلى الغاية من خلق الانسان وهو كماله في قوة العلم والغاية متقدمة على ذى الغاية ذهنياً وإن كان الأمر بالعكس خارجاً ، والمراد بالانسان الجنس وبخلقه إنشأؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم أتبع عز وجل ذلك بنعمة تعليم (البيان) فقال سبحانه : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ لأن البيان هو الذى به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه ، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير *
والمراد بتعليمه نحوه مامر ، وفى الإرشاد أن قوله تعالى : (خلق الانسان) تعيين للتعليم ، وقوله سبحانه :

(علمه البيان) تبين لكيفية التعليم ، والمراد بتعليم البيان تمكين الانسان من بيان نفسه ، ومن فهم بيان غيره إذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن . وقيل : بناءً على تقدير المفعول المحذوف الملائكة المقرئين إن تقديم تعليم القرآن لتقدمه وقوعاً فهم قد علموه قبل خلق الانسان وربما يرمز إليه قوله تعالى : (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسسه إلا المطهرون) وفى النظم الجليل عليه حسن زائد حيث أنه تعالى ذكر أموراً علوية وأموراً سفلية وكل علوى قابله بسفلى ويأتى هذا على تقدير المفعول جبريل عليه السلام أيضاً ؛ وقال الضحاك : (البيان) الخير والشر ، وقال ابن جريج : سبيل الهدى وسبيل الضلالة ، وقال يمان : الكتابة والكل كما ترى ، وجوز أن يراد به القرآن وقد سماه الله تعالى بياناً فى قوله سبحانه : (هذا بيان) وأعيد ليكون الكلام تفصيلاً لإجمال علم القرآن وهذا فى غاية البعد . وقال قتادة : (الانسان) آدم . و (البيان) علم الدنيا والآخرة ، وقيل : (البيان) أسماء الاشياء كلها . وقيل : التكلم بلغات كثيرة ، وقيل : الاسم الاعظم الذى علم به كل شئ ، ونسب هذا إلى جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه *
وقال ابن كيسان : (الانسان) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وعليه قيل : المراد بالبيان بيان المنزل . والكشف عن المراد به كما قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) أو الكلام الذى يشرح به

المجمل والمبهم فى القرآن أو القرآن نفسه على ما سمعت آتفاً ، أو نحو ذلك مما يناسبه عليه الصلاة والسلام ويابق به من المعانى السابقة ، ولعل ابن كيسان يقدر مفعول علم الانسان مراداً به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضاً ، وهذه أقوال بين يديك ، والمتبادر من الآيات الكريمة لا يخفى عليك ولا أظنك فى مرية من تبادر ما ذكرناه فيها أولاً . ثم إن كلا من الجملتين الأخيرتين خبر عن المبتدأ كجمله (علم القرآن) وكذا قوله تعالى :

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ هـ ﴾ والجار والمجرور فيه خبر بتقدير مضاف أى جرى (الشمس والقمر) كأنن أو مستقر (بحسبان) أو الخبر محذوف والجار متعلق به أى يجرى بحسبان وهو مصدر كالغفران بمعنى الحساب . كما قال قتادة . وغيره . أى هما يجرىان (بحسبان) مقدر فى بروجها ومنازلها بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب ، وقال الضحاك . وأبو عبيدة : هو جمع حساب كسحاب وشهبان أى هما يجرىان بحسابات شتى فى بروجها ومنازلها ، وقال مجاهد : الحسبان الفلك المستدير من حسان الرحا وهو ما أحاط بها من أطرافها المستديرة ، وعليه فالباء للظرفية ، والجار والمجرور فى موضع

الخبر من غير احتياج إلى ما تقدم ، والمراد كل من (الشمس والقمر) في فلك ، والجمهور على الأول وجريان الشمس والقمر بما لا ينبغي أن يشك فيه .

وفلاسفة العصر كانوا يزعمون أن الشمس لا تجرى أصلاً ، وأن القمر يجرى على الأرض ، والأرض تجرى على الشمس ، وقد سمعنا أنهم عدلوا منذ أعوام عن ذلك ، فزعموا أن للشمس حركة على كوكب آخر وهذا يدل على أنهم لم يكن عندهم برهان على دعواهم الأولى كما كان يقوله من كان ينتصر لهم ، والظاهر أن حالهم اليوم بل وغداً مثل حالهم بالأمس ، ونحن مع الظواهر حتى يقوم الدليل القطعي على خلافها وحينئذ نميل إلى التأويل وبابه واسع ، ومثل هذه الجملة قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ فان المعطوف على الخبر خبر ، والمراد - بالنجم - النبات الذي ينجم أى يظهر ويطلع من الأرض ولا ساق له ، وبالشجر النبات الذي له ساق ، وهو المروى عن ابن عباس . وابن جبير . وأبي رزین ، والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعاً ، شبه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه وتعظيمه له . ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه فهناك استعارة مصرحة تبعية ، وقال مجاهد . وقتادة . والحسن - النجم - نجم السماء وسجوده بالغروب ونحوه ، وسجود الشجر بالظل واستدارته عند مجاهد . والحسن ، وفي رواية أخرى عن مجاهد أن سجودهما عبارة عن انقيادهما لما يريد سبحانه بهما طبعاً ، والجمهور على تفسير النجم بما سمعت أولاً قبل لأن اقترانه بالشجر يدل عليه ، وإن كان تقدم (الشمس والقمر) يتوهم منه أنه بمعناه المعروف ففيه تورية ظاهرة ، وإخلاء الجمل الثانية . والثالثة . والرابعة عن العاطف لورودها على نهج التعديد مع الإشارة إلى أن كلاهما تضمنته نعمة مستقلة تقتضى الشكر ، وقد قصرنا في أدائه ولو عطف مع شدة اتصالها وتناسبها ربما توهم أن الكل نعمة واحدة .

وتوسيط العاطف بين الرابعة والخامسة رعاية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن (الشمس والقمر) علويان (والنجم والشجر) سفليان ، ومن حيث أن كلاهما حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل وخلوهما عن الرباط اللفظي مع كونهما خبرين للتعويل على كمال قوة الارتباط المعنوي إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال (الشمس والقمر) بتسخير غيره تعالى ، ولا إلى كون سجود النجم والشجر لسواه سبحانه فسكانه قيل : الشمس والقمر بحسبانه (والنجم والشجر يسجدان) له كذا قالوه ، وفي الكشف : تبيننا لما ذكره صاحب الكشف في هذا المقام أخلى الجمل أى التى قبل الشمس والقمر بحسبان عن العاطف لأن الغرض تعديد النعم وتبكي المنكر كما يقال : زيد أغناك بعد فقر ، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه كأنه لما أعد نعمة حرك منه حتى يتأمل هل شكرها حق شكرها أم لا ، ثم يأخذ في أخرى ولو جئ بالعاطف صارت كواحدة ولم يكن من التحريك فى شئ ، ولما قضى الوطر من التعديد المحرك والتبكي بذكر ما هو أصل النعم على نمط رد الكلام على منهاجه الاصل من تعداد النعم واحدة بعد أخرى على التناسب والتقارب بحرف النسق ، وفيه تنبيه على أن النعم لا تحصى فليكتف بتعديد أجلاها رتبة للغرض المذكور .

وجملة (الشمس والقمر بحسبان) ليست من أخبار المبتدا ، والزخشرى إنما سأل عن وجه الربط ، وأجاب بأن الربط حاصل بالوصل المعنوي كأنه بعد ما بكت ونبه أخذ يعد عليه أصول النعم ليثبت على ما طلب منه من الشكر ، وهذا كما تقول في المثال السابق بعد قولك : فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد دانت له أقرانك وأطاعته إخوانك وبسط تواله فيمن تحت ملكته ولم يخرج أحد من حيطة عدله ونصفته ، فلا يشك ذوارب أنها جمل

منقطعة عن الأولى إما ارتباطاً متصلتها بها اتصالاً معنوياً أو ارتباطاً قطعياً لأنها سبقت لغرض وهذه لآخر ، وقريب من هذا الاتصال اتصال قوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم) الآية بقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) الآية انتهى •

وقد أبعد المغزى فيما أرى إلا أن ظاهر كلام الكشاف يقتضى كون قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) من الأخبار فتأمل ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ أى خلقها مرفوعة ابتداءً لأنها كانت مخفوضة ورفعها ، والظاهر أن المراد برفعها الرفع الصورى الحسى ، ويجوز أن يكون المراد به ما يشمل الصورى والمعنوى بطريق عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يرى جوازه . ورفعها المعنوى الرتبى لأنها منشأ أحكامه تعالى وقضاياه وهنزل أوامره سبحانه ومحل ملائكته عز وجل ، وقرأ أبو السمال (والسما) بالرفع على الابتداء ، ولا إشكال فيه لأن الجملة عليه اسمية معطوفة على مثلها ، وإنما الاشكال فى النصب لأنه بفعل مضمير على شريطة التفسير أى ورفع السما فتكون الجملة فعلية فان عطفت على جملة - النجم والشجر يسجدان - الكبرى لزم تخالف الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها بالاسمية والفعلية وهو خلاف الأولى ، وإن عطفت على جملة (يسجدان) الصغرى لزم أن تكون خبراً - للنجم والشجر - مثلها ، وذلك لا يصح إذ لا عائد فيها اليهما ، وكذا يقال فى العطف على كبرى وصغرى (الشمس والقمر بحسبان) وأجاب أبو على باختيار الثانى ، وقال : لا يلزم فى المعطوف على الشئ أن يعتبر فيه حال ذلك الشئ ، وتلا باب قولهم متقلداً سيفاً ورمحاً ، وبعضهم باختيار الأول ويحسن التخالف إذا تضمن نكتة ، قال الطيبي : الظاهر أن يعطف على جملة (الشمس والقمر بحسبان) ليؤذن بأن الأصل أجرى الشمس والقمر ، وأسجد النجم والشجر ، فعدل إلى معنى دوام التسخير والانقياد فى الجملتين الأوليين ، ومعنى التوكيد فى الأخيرة والكلام فيما يتعلق بالرفع والنصب فيما إذا ولى العاطف جملة ذات وجهين مفصل فى كتب النحو ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۖ ﴾ أى شرع العدل وأمر به بأن وفر على كل مستعد مستحقه ، وفى كل ذى حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام : « بالعدل قامت السموات والأرض » أى بقيت أعلى أبلغ نظام وأتقن إحكام ، وقال بعضهم : المراد بقاء من فيهما من الثقلين إذ لولا العدل أهلك أهل الأرض بعضهم بعضاً ، وأما الملائكة الأعلى فلا يقع بينهم ما يحتاج للحكم والعدل ، فذكرهم للمبالغة ، والذى اختاره أن المراد بالسموات والأرض العالم جميعه ولا شك أنه لولا العدل لم يكن العالم منتظماً . ومنشأ ما ذكره القائل ظن أن المراد بالعدل فى الحديث العدل فى الحكم لفصل الخصومات ونحوه وليس كما ظن بل المراد به عدل الله عز وجل وإعطاؤه سبحانه كل شئ خلقه . وتفسير الميزان بما ذكر هو المروى عن مجاهد . والطبرى . والاكثرين ، وهو مستعار للعدل استعارة تصريحية ؛ وعن ابن عباس . والحسن . وقتادة . والضحاك أن المراد به ما يعرف به مقادير الاشياء من الآلة المعروفة والمكيال المعروف ونحوهما ، فالمعنى خلقه موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عبادته وقضاياهم المنزلة من السماء وما تعبد بهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم ، والمشهور أنه بهذا المعنى مجاز أيضاً من استعمال المقيد فى المطلق ، وقيل : هو حقيقة ، فالواضح لم يضعه إلا لما يعرف به المقادير على أى هيئة ومن أى جنس كان ، والناس لما ألفوا المعروف لا يكاد يتبادر إلى أذهانهم من لفظ (الميزان) سواء ، وقيل : المراد به المعروف واللفظ فيه حقيقة ولا يسلم الوضع للعام .

ورجح القولان الأخيران بأن ما بعد أشد ملازمة لهما وبين الوضع والرفع عليهما تقابل، وقد قرأ عبد الله - وخفض الميزان - والاول بأنه أتم فائدة فن ذلك بميزان ذهرك ﴿الْأَتَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ﴾ أى لثلاث تطعوا فيه أى حقه وشأنه بأن تعتدوا وتتجاوزوا ما ينبغي فيه على أن (أن) ناصبة و(لا) نافية ولا معلقة مقدرة متعلقة بقوله تعالى: (وضع الميزان) وجوز ابن عطية . والزحشرى كون (أن) تفسيرية ، و(لا) ناهية .

واعترضه أبو حيان بأنه لم يتقدم جملة فيها معنى القول وهو شرط في صحة جعل (أن) مفسرة ، وأجيب بأن وضع الميزان فيه ذلك لأنه بالوحى وإعلام الرسل عليهم السلام، وزعم بعضهم أن التفسير متعين لأنه لا معنى لوضع الميزان لثلاث تطعوا في الميزان إذ المناسب الموزون ونحوه ، وفيه ما لا يخفى، وفي البحر قرأ إبراهيم (ووضع الميزان) بإسكان الضاد ، وخفض الميزان على أن (وضع) مصدر مضاف إلى ما بعده ولم يبين هل (وضع) مرفوع أو منصوب ، فإن كان مرفوعاً فالظاهر أنه مبتدأ (وأن لا تطعوا) بتقدير الجار في موضع الخبر. وإن كان منصوباً فالظاهر أن عامله مقدر أى وفعل (وضع الميزان) أو ووضع وضع الميزان (أن لا تطعوا) الخ ، وقرأ عبدالله - لا تطعوا - بغير (أن) على إرادة القول أى قاتلاً ، أو نحوه لا قل - كما قيل - و(لا) ناهية بدليل الجزم .

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قوموا وزنكم بالعدل ، وقال الراغب: هذا إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحراه الانسان من الأفعال والأقوال، وعن مجاهد أن المعنى أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ والإعطاء ، وقال سفيان بن عيينة: الإقامة باليد ، والقسط بالقلب، والظاهر أن الجملة عطف على الجملة المنفية قبلها ولا يضر في ذلك كونها إنشائية ، وتلك خبرية لأنها لتأويلها بالمفرد تجردت عن معنى الطلب ، وجعل بعضهم (لا) في الاولى مطلقاً ناهية حرصاً على التوافق ﴿وَلَا تَخْسَرُوا الْمِيزَانَ ۙ﴾ أى لا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى لأنه المقصود من وضعه وكرر لفظ (الميزان) بدون إضماره كما هو مقتضى الظاهر تشديداً للتوصية وتأكيذاً للامر باستعماله والحث عليه، بل في الجمل الثلاث تكرر ما معنى لذلك، وقرئ (ولا تخسروا) بفتح التاء وضم السين، وقرأ زيد بن علي . وبلال بن أبي بردة بفتح التاء وكسر السين .

وحكى ابن جنى . وصاحب اللوامح عن بلال أنه قرأ بفتحهما ، وخرج ذلك الزحشرى على أن الاصل - ولا تخسروا في الميزان - فحذف الجار، وأوصل الفعل بناءً على أنه لم يحج إلا لازماً ، وتعقبه أبو حيان بأن خسر قد جاء متعدياً كقوله تعالى: (خسروا أنفسكم) (وخسر الدنيا والآخرة) فلا حاجة إلى دعوى الحذف والإيصال، وأجيب بأنه على تقدير أن يكون متعدياً هنا لا بد من القول بالحذف والإيصال لان المعنى على حذف المفعول به أى لا تخسروا أنفسكم في الميزان أى لا تكونوا خاسريها يوم القيامة بسبب الميزان بأن لا تراعوا ما ينبغي فيه ، والراغب جوز حمل الآية على القراءة المشهورة على نحو هذا فقال : إن قوله تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) يجوز أن يكون إشارة إلى تحرى العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يعاطاه فيه ، ويجوز أن يكون إشارة إلى تعاطى ما لا يكون به في القيامة خاسراً فيكون بمن قال سبحانه فيه : (من خفت موازينه) وكلا المعنيين متلازمان ، وقيل: المعنى على التعدى بتقدير مضاف أى موزون الميزان، أو جعل الميزان مجازاً عن الموزون فيه فتأمل ولا تنفل ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خلقتها موضوعة مخفوضة عن السماء حسبما يشاهد ، وقال الراغب: الوضع هنا الإيجاد والخلق وكان مراده ما ذكر ، وقيل: أى خفضها مدحوة على الماء ،

والظاهر على تقدير اعتبار الدحو أنه لا حاجة إلى اعتبار أنه سبحانه خلقها كذلك بل لا يصح لانها لم تخلق مدحوة وإنما دحيت بعد على ما روى عن ابن عباس ، ثم إن كونها على الماء مبنى على ما اشتهر أنه عز وجل خلق الماء قبلها وخلقها سبحانه من زبده ﴿لَلْأَنَامِ ١٠﴾ قال ابن عباس . وقتادة . وابن زيد . والشعبي . ومجاهد على ما في مجمع البحرين : الحيوان كله ، وقال الحسن : الانس والجن .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس هم بنو آدم فقط ولم أر هذا التخصيص لغيره رضى الله تعالى عنه ، ففي القاموس الانام الخلق أو الجن والانس ، أو جميع ما على وجه الارض ، ويحتمل أنه أراد أن المراد به هنادك بناءً على أن اللام للارتفاع وأنه محمول على الارتفاع التام وهو للانس أتم منه لغيرهم ، والاولى عندى ما حكى عنه أولاً ، وقرأ أبو السمال (والارض) بالرفع ، وقوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَكَّهُهٗ ﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لنفع الانام ، وقيل : حال مقدرة من الارض ، أو من ضميرها ، فالأحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور ، و (فاكهة) رفع على الفاعلية والتنوين بمعوته المقام للتكثير أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١ ﴾ هى أوعية التمر أعنى الطلع على ما روى عن ابن عباس جمع - كم - بكسر الكاف وقد تضم ، وهذا فى - كم - الثمر ، وأما - كم - القميص فهو بالضم لا غير ، أو كل ما يكوم ويغطى من ليف وسعف وطلع فانه مما ينتفع به كالمكوم من الثمر والجوار مثلاً ، واختاره من اختاره ، وبما ذكر يعلم فائدة التوصيف ﴿ وَالْحَبُّ ﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ ذُو الْعَصْفِ ﴾ قيل : هو ورق الزرع ، وقيد بعضهم باليابس ، وأخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه الثبن ، وأخرج ابن جرير . وابن المنذر عن الضحاك أنه القشر الذى يكون على الحب ، وعن السدى . والفراء أنه بقل الزرع وهو أول ما ينبت ، وأخرجه غير واحد عن الخبر أيضاً ، واختار جمع ما روى عنه أولاً ، وفي توصيف الحب بما ذكر تنبيه على أنه سبحانه لما أنعم عليهم بما يقوتهم من الحب أنعم عليهم بما يقوت بهائمهم من العصف ﴿ وَالرَّيْحَانُ ١٢ ﴾ هو كل مشموم طيب الريح من النبات على ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد ، وأخرج عن الحسن أنه قال : هو ريحانكم هذا أى الريحان المعروف ؛ وأخرج عن مجاهد أنه الرزق بل قال ابن عباس : كما أخرج هو أيضاً عنه كل ريحان فى القرآن فهو رزق . وزعم الطبرسى أنه قول الأكثر ، وعليه قول بعض الاعراب ، وقد قيل له : إلى أين أطلب من ريحان الله فانه أراد من رزقه عز وجل ، ووجه إطلاقه عليه أنه يرتاح له ، وظاهر كلام الكشف أنه أطلق وأريد منه اللب ليطابق العصف ويوافق المراد منه فى قراءة حمزة . والكسائى . والاصمعى عن أبي عمرو (والريحان) بالجر عطفاً على (العصف) إذ يبعد عليها حمله على المشموم والقريب حمله على اللب فكانه قيل : والحب ذو العصف الذى هو رزق دوابكم ، وذو اللب الذى هو رزق لكم ، وجوز أن يكون الريحان فى هذه القراءة عطفاً على فاكهة كما فى قراءة الرفع ، والجر للمجاورة وهو كما ترى ، والزخشرى بعد أن فسر (الأكمام) بما ذكرناه ثانياً فيها (والريحان) باللب قال : أراد سبحانه فيها ما يتلذذ به من الفواكه ، والجامع بين التغذى والتلذذ - وهو ثمر النخل - وما يتغذى به - وهو الحب - وهو على ما فى الكشف بيان لظاهر وجه الامتنان وأنه مستوعب لأقسام ما يتناول فى حال الرفاهية لانه إنما للتلذذ الخالص وهو الفاكهة ، وأوله وللتغذى أيضاً

وهو ثمر النخل ، أو للتغذى وحده وهو الحب ، ولما كان الأخير أن أدخل في الامتنان شفع كلا بعلاوة فيها منة أيضاً ، وأنت تعلم أنه إذا كان المقصود من النخل ثمره المعروف بالعطف على أسلوب ملائكته وجبريل كما قيل به في قوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان) وإذا كان ما يعمه وسائر ما ينتفع به منه كالجار والكفري ، فالعطف ليس على ذلك ، وجعل صاحب الكشف قول الزمخشري بعد تفسير (الاكام) بالمعنى الأعم وكله منتفع به كالمكوم إشارة إلى هذا ، ثم قال : ولا ينافي جعله منه في قوله تعالى : (فيها فاكهة) الخ نظراً إلى أن الجنة دار تخلص للتلذذ فالنظر هنالك إلى المقصود وهو الثمر فقط فتأمل *

وقرأ ابن عامر . وأبو حيوة . وابن أبي عبة . والحب ذا العصف والريحان - بنصب الجميع ، وخرج على أنه بتقدير وخلق الحب الخ ، وقيل : يجوز تقدير أخص ، وفيه دغدغة ، وجوزوا أن يكون الريحان بمعنى اللب حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف والأصل وذو أو ذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه و (الريحان) فيعلان من الروح . فأصله ريوحان قبلت الواو ياء اجتماعها مع ياء ساكنة قبلها وأدغمت في الياء فصار ريوحان بالتشديد ثم حذفت الياء الثانية التي هي عين الكلمة فقبل : ريوحان كما قيل : ميت وهين بسكون الياء . وعن أبي علي الفارسي أنه فعلان وأصله روحان بفتح الراء وسكون الواو قبلت واوه ياءاً للتخفيف وللفرق بينه وبين الروحان بمعنى ماله روح ﴿ فَبَأَىءَ آلاءِ رَبِّكَما تُكذِّبان ١٣ ﴾ الخطاب للثقلين لانهما داخلان في

الانام على ما اخترناه ، أو لأن الانام عبارة عنهما على ما روى عن الحسن ، وسينطق بهما في قوله تعالى : (سنفرغ لکم آیه الثقلان) وفي الاخبار كما ستعلمه إن شاء الله تعالى قريباً ما يؤيده ، وقد أبعدهم من ذهب إلى أنه خطاب للذكر والاشئ من بني آدم ، وأبعد أكثر منه من قال : إنه خطاب على حد (ألقيا في جهنم) ويأشطرطى أضرباً عنقه ، يعني أنه خطاب للواحد بصورة الاثنين والفاء لترتيب الإنكار ، والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتماً ، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الملكية والتزمية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بشئ من آلائه تعالى كفرهم به إما بإنكار كونه منه عز وجل مع عدم الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية ، وإما بإنكار كونه منه تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم باسناده إلى غيره سبحانه استقلالاً ، أو اشتراكاً صريحاً ، أو دلالة فإن إشرأ كههم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي إشرأ كههم لهابه تعالى فيما يوجبها ، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لا محالة أي فإذا كان الأمر كما فصل (فبأى) فرد من أفراد نعم مالككما ومربيكما بتلك النعم (تكذبان) مع أن كلامها ناطق بالحق شاهد بالصدق ويندب أن يقول سامع هذه الآية : لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ، فقد أخرج البزار وابن جرير وابن المنذر . والدارقطني في الأفراد . وابن مردويه . والخطيب في تاريخه بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ سورة (الرحمن) على أصحابه فسكتوا فقال : مالى أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ما أتيت على قول الله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا : لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » *

وأخرج الترمذي وجماعة وصححه الحاكم عن جابر بن عبد الله نحوه ، وقرئ (فبأى) بالتنوين في جميع السورة

كانه حذف منه المضاف إليه وأبدل منه (آلاء ربك) بدل معرفة من نكرة .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٤ ﴾ تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين ، والمراد بالانسان آدم عند الجمهور . وقيل : الجنس وساغ ذلك لأن أباهم مخلوق مذكر ، والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة ، وأصله - كما قال الراغب - تردد الصوت من الشيء اليابس . ومنه قيل : صل المسمار ، وقيل : هو الممتن من الطين من قولهم : صل اللحم ، وكان أصله صلال فقلبت إحدى اللامين صاداً ويبعد ذلك قوله سبحانه : (كالفخار) وهو الحذف أعني ما أحرق من الطين حتى تحجر وسمى بذلك لصوته إذا نقر كأنه تصور بصورة من يكثر التفاخر ، وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ١٥ ﴾ هو أبو الجن وهو إبليس قاله الحسن ، وقال مجاهد : هو أبو الجن وليس بابليس ، وقيل : هو اسم جنس شامل للجن كلهم ﴿ مِنْ مَّارِجٍ ﴾ من لُحْب خالص لا دخان فيه - كما هو رواية عن ابن عباس - وقيل : هو اللهب المختلط بسواد النار ، أو بخضرة وصفرة وحمرة - كما روى عن مجاهد - من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط ، و (من) لا ابتداء الغاية ، وقوله تعالى : ﴿ مِنْ نَّارٍ ١٥ ﴾ بيان لما رج والتذكير للطابقة ولأن التعريف لكنه عليه فكانه قيل : خلق من نار خالصة ، أو مختلطة على التفسيرين ، وجوز جعل (من) فيه ابتدائية فالتذكير لانه أريد نار مخصوصة متميزة من بين النيران لاهذه المعروفة ، وأياً ما كان فالمارج بالنسبة إلى الجان كالتراب بالنسبة إلى الانسان ، وفي الآية رد على من يزعم أن الجن نفوس مجردة ﴿ فَبَآئٍ مَّا لَآ رَبُّكَ تَكْذِبَانَ ١٦ ﴾ مما أفاض عليك في تضاعيف خلقكما من سوايغ النعم ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو رب الخ ، أو الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة - رب مشرق الشمس صيفاً وشتاءً ومغربيها - كذلك على ما أخرجه جماعة عن ابن عباس ، وروى عن مجاهد . وقتادة . وعكرمة أن (المشرقين) مشرقا الشتاء ومشرق الصيف ، و (المغربين) مغرب الشتاء ومغرب الصيف بدون ذكر الشمس ، وقيل : المشرقان مشرقا الشمس والقمر ، والمغربان مغرباهما وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن (المشرقين) مشرق الفجر ومشرق الشفق ، و (المغربين) مغرب الشمس ومغرب الشفق ، وحكى أبو حيان في المغربين نحو هذا ، وفي المشرقين أنهما مطلع الفجر ومطلع الشمس والمعول ما عليه إلا كثرون من مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ، ومن قضية ذلك أن يكون سبحانه رب ما بينهما من الموجودات ، وقيل : (رب) مبتدأ والخبر قوله تعالى : (مرج) الخ ، وليس بذلك .

وقرأ أبو حيوة . وابن أبي عبله (رب) بالجر على أنه بدل من ربك ﴿ فَبَآئٍ مَّا لَآ رَبُّكَ تَكْذِبَانَ ١٨ ﴾ بما في ذلك من فوائد لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ١٩ ﴾ أي أرسلهما وأجراهما من - مرجت - الدابة - في المرعى - أرسلتها فيه ، والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿ يَلْتَقِيَانِ ٢٠ ﴾ أي يتجاوران وتتماش سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين ، وقيل : أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه ، وروى هذا عن قتادة لكنه

أورد عليه أنه لا يوافق قوله تعالى: (مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وعليه قيل : جملة (يلتقيان) حال مقدرة إن كان المراد - إرسالهما إلى المحيط ، أو المعنى اتحاد أصليهما إن كان المراد إرسالهما إليه ﴿ يَنْتَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ أى حاجز من قدرة الله تعالى ، أو من أجرام الارض كما قال قتادة ﴿ لَا يَنْفِيَانِ ٢٠ ﴾ أى لا ينفى أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية بالكلية بناءً على الوجه الأول فيما سبق ، أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما بناءً على الوجه الثاني ، وروى هذاعن قتادة أيضاً ، وفي معناه ما أخرجه عبد الرزاق . وابن المنذر عن الحسن (لا ينفيان) عليكم فيغرقانكم ، وقيل : المعنى لا يطلبان حالاً غير الحال التي خلقا عليها وسخرأ لها ﴿ فَسَبَّأُ ۖ وَالْآءُ رَبُّكَ تَكَذَّبَانِ ٢١ ﴾ مما لكما في ذلك من المنافع ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ ۖ وَصَفَرُ الدَّر ۖ وَالْمَرْجَانُ ٢٢ ﴾ كباره كما أخرج ذلك عبد بن حميد . وابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه . ومجاهد ، وأخرجه عبد عن الربيع . وجماعة منهم المذكوران . وابن المنذر . وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس ، وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : (اللؤلؤ) ما عظم منه (والمرجان) اللؤلؤ الصغار . وأخرج هو . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد عن قتادة نحوه ، وكذا أخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء عن مجاهد ، وأظن أنه إن اعتبر في اللؤلؤ معنى التلاؤلؤ واللبيان وفي المرجان معنى المرج والاختلاط فالأدق لذلك ما قيل : ثانياً فيهما ، وأخرج عبد الرزاق . والفريابي . وعبد بن حميد . وابن جرير . وابن المنذر . والطبري عن ابن مسعود أنه قال : - المرجان - الخرز الأحمر أعنى البسند وهو المشهور المتعارف ، و (اللؤلؤ) عليه شامل للسكار والصغار ، ثم إن اللؤلؤ بناء غريب قيل : لا يحفظ منه في كلام العرب أكثر من خمسة هو ، والجؤجؤ الصدر وقرية بالبحرين ، والدؤدؤ آخر الشهر أو ليلة خمس وست وسبع وعشرين . أو ثمان وتسع وعشرين . أو ثلاث ليال من آخره ، والبؤبؤ بالباء الموحدة الاصل . والسيد الظريف . ورأس المكحلة . وإنسان العين . ووسط الشيء ، واليؤيؤ بالياء آخر الحروف طائر كالباشق ، ورأيت في كتب اللغة على هذا البناء غيرها وهو الضوضؤ الأضل للطائر . والتؤتؤ بالنون المكثرة تقلب الحدة . والعاجز الجبان ، ومن ذلك شؤشؤ دعاء الحمار إلى الماء وزجر الغنم والحمار للبضى . أو هو دعاء للغنم لتأكل ، أو تشرب . وأما المرجان فقد ذكره صاحب القاموس في مادة - مرج - ولم يذكر ما يفهم منه أنه مغرب ، وقال أبو حيان في البحر : هو اسم أعجمي مغرب . وقال ابن دريد : لم أسمع فيه بفعل متصرف . وقرأ طلحة - اللؤلؤ - بكسر اللام الأخيرة . وقرئ اللؤلؤ بقلب الهمزة المتطرفة باءاً ساكنة بعد كسر ما قبلها وكل من ذلك لغة . وقرأ نافع . وأبو عمرو (يخرج) مبنياً للفعول من الإخراج ، وقرئ (يخرج) مبنياً للفاعل منه ونصب (اللؤلؤ والمرجان) أى يخرج الله تعالى . واستشكلت الآية على تفسير البحرين بالعذب والمالح دون بحري فارس والروم بأن المشاهد خروج (اللؤلؤ والمرجان) من أحدهما وهو الملح . فكيف قال سبحانه : (منهما) ؟ وأجيب بأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال : يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميعه ولكن من بعضه ، وكما تقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره ، وقد ينسب إلى الاثنين ما هو لاحدهما كما يسند إلى الجماعة ما صدر من واحد منهم . ومثله على ما في الاتصاف (على رجل من القريتين عظيم) وعلى ما نقل عن الزجاج

(سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) ، وقيل: لإنهما لا يخرجان إلا من ملتقى العذب والملح ويرده المشاهدة وكأن من ذكره مع ما تقدم لم يذكره لكونه قولاً آخر بل ذكره لتقوية الاتحاد فحينئذ تكون علاقة التجوز أقوى . وقال أبو علي الفارسي : هذا من باب حذف المضاف والتقدير يخرج من أحدهما وجعل (من القريةين) من ذلك . وهو عندى تقدير معنى لا تقدير إعراب . وقال الرماني: العذب منهما كاللقاح للمالح فهو كما يقال الولد يخرج من الذكر والاثني أى بواسطتهما ، وقال ابن عباس، وعكرمة : تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر لأن الأصداف في شهر نيسان تتلقى ماء المطر بأفواهها فتكون منه ، ولذا تقل في الجذب ، وجعل عليه ضمير (منهما) للبحرين باعتبار الجنس ولا يحتاج إليه بناءً على ما أخرجه ابن جرير عنه أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض *

وأخرج هو . وابن المنذر عن ابن جبير نحوه إلا أن في تكون المرجان بناءً على تفسيره بالبسد من ماء المطر كاللؤلؤ تردداً وإن قالوا : إنه يتكون في نيسان ، وقال بعض الأئمة : ظاهر كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام الناس ، ومن علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب أن الغواصين ما أخرجه إلا من الملح ، ولكن لم قلتم أن الصدف لا يخرج بأمر الله تعالى من الماء العذب إلى الماء المالح فإن خروجه محتتمل تلذذاً بالملوحة كما تلذذ المتوحمة بها في أوائل حملها حتى إذا خرج لم يمكنه العود ، وكيف يمكن الجزم بما قلتم وكثير من الأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم ، والله تعالى أعلم (ومن غريب التفسير) ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال : (مرج البحرين يلتقيان) على . وفاطمة رضى الله تعالى عنهما (بينهما برزخ لا يبغيان) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما *

وأخرج عن إياس بن مالك (١) نحوه لكن لم يذكر فيه البرزخ ، وذكر الطبرسي من الإمامية في تفسيره مجمع البيان الأول بعينه عن سليمان الفارسي . وسعيد بن جبيرة . وسفيان الثوري ، والذي أراه أن هذا إن صح ليس من التفسير في شيء بل هو تأويل كتأويل المتصوفة لكثير من الآيات ، وكل من على . وفاطمة رضى الله تعالى عنهما عندى أعظم من البحر المحيط علماً وفضلاً ، وكذا كل من الحسين رضى الله تعالى عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حد الحسبان (فَبَآئٍءُ الْآءِ رَبُّكَ تَكْذِبَانِ ٢٣) بما في ذلك من الزينة والمنافع الجليلة فقد ذكر الأطباء أن (اللؤلؤ) يمنع الخفقان . والبحر . وضعف البكبد . والكلبي . والحصى . وحرقة البول . والسدد . واليرقان . وأمراض القلب . والسموم . والوسواس . والجنون . والتوحش . والربو شرباً . والجذام . والبرص . والبهق . والآثار مطلقاً بالطلي إلى غير ذلك ، وأن المرجان أعنى البسد يفرح ويزيل فساد الشهوة ولو تعليقاً . ونفت الدم . والطحال شرباً . والدمة . والبياض . والسلاق . والجرب كحلا إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم (وَلَهُ الْجَوَارِ) السفن جمع جارية وخصها سبحانه بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن للإشارة إلى أن كونهم هم منشئها لا يخرجها من ملكه عز وجل حيث كان تمام منفعتها إنما هو منه عز وجل ، وقرأ عبد الله . والحسن . وعبد الوارث عن أبي عمرو - الجوار -

يأظهار الرفع على الراء لان المخذوف لما تناسوه أعطوا ما قبل الآخر حكمه كما في قوله :

لها ثانيا أربع حسان وأربع فكلها (ثمان)

﴿ الْمُنْشَاتُ ﴾ أى المرفوعات الشرع - كما قال مجاهد - من أنشأه بمعنى رفعه ، وقيل : المرفوعات على الماء وليس بذاك ، وكذا ما قبل المصنوعات ، وقرأ الاعمش . وحمة . وزيد بن علي . وطلحة . وأبو بكر بخلاف عنه (المنشآت) بكسر الشين أى الرافعات الشرع ، أو اللاتي ينشئن الامواج بحريهن ، أو اللاتي ينشئن السير إقبالا وإدبار ، وفي الكل مجاز ، وشدد الشين ابن أبي عبلة ، وقرأ الحسن (المنشآت) وحد الصفة ودل على الجمع الموصوف كقوله تعالى : (أزواج مطهرة) وقلب الهمزة ألفا على حد قوله * إن السباع (لتهدا) في مراضها * يريد لتهدا والتاء لتأنيث الصفة كتبت تاما على لفظها في الاصل ﴿ فِي الْبَحْرِ كَأَلَّا عَلَّم ٢٤ ﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿ فَبَآئٍ ءَالًا رَبُّكَ كَتُكْذَبَان ٢٥ ﴾ من خلق مواد السفن والارشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وتعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ أى على الارض التي وضعت للانام من الحيوانات والمركبات و (مَنْ) للتغليب ؛ أولثقلين ﴿ فَان ٢٦ ﴾ هالك ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أى ذاته عز وجل ، والمراد هو سبحانه وتعالى ، فالإضافة بيانية وحقيقة الوجه في الشاهد الجارحة واستعماله في الذات مجاز مرسل كاستعمال الأيدي في النفس ، وهو مجاز شائع ، وقيل : أصله الجهة واستعماله في الذات من باب الكناية وتفسيره بالذات هنا مبني على مذهب الخلف القائلين بالتأويل ، وتعيين المراد في مثل ذلك دون مذهب السلف ، وقد قررناه لك غير مرة فتذكره وعض عليه بالنواجذ *

والظاهر أن الخطاب في - ربك - للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تشریف عظيم له عليه الصلاة والسلام ، وقيل : هو للصالح له لعظم الأمر وغامته ، وفي الآية عند المؤولين كلام كثير منه ماسمعت ، ومنه ما قيل : الوجه بمعنى القصد ويراد به المقصود ، أى ويبقى ما يقصده ربك عز وجل من الأعمال ، وحمل كلام من فسر بالعمل الصالح على ذلك وفيه ما فيه ، وأقرب منه ما قيل : وجهه تعالى الجهة التي أمرنا عز وجل بالتوجه إليها والتقرب بها إليه سبحانه ، ومرجع ذلك العمل الصالح أيضاً والله جل شأنه يبقيه للعبد إلى أن يجازيه عليه ولذا وصف بالبقاء ؛ أولأنه بالقبول صار غير قابل للفناء لما أن الجزاء عليه قام مقامه وهو باق ، ولا يخفى أن كلا القولين غير مناسب للتعليم في (كل من عليها) وقيل : وجهه سبحانه الجهة التي يليها الحق أى يتولاها بفضلها ويفيضها على الشئ من عنده أى إن ذلك باق دون الشئ في حد ذاته فانه فان في كل وقت ، وقيل : المراد بوجهه سبحانه وجهه الممكن وهي جهة حيثة ارتباطه وانتسابه إليه تعالى ، والإضافة لأدنى ملاسة فالممكن في حد ذاته أى إذا لم يستقلا غير مرتبط بعلته أعني الوجود الحق كان معدوماً لان ظهوره إنما نشأ من العلة ولولاها لم يكن شيئاً مذكوراً ، وقول العلامة البيضاوى : لو استقرت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله تعالى أى الوجه الذي يلي جهته سبحانه محمول على ذلك عند بعض المحققين وإن كان قد فسر الوجه قبل بالذات ، وللعلماء في تقرير كلامه اختلاف ، فمنهم من يجعل قوله : لو استقرت الخ تنمة لتفسيره الأول ،

ومنهم من يجعله وجهاً آخر ، وهو على الأول أخذ بالخاص ، وعلى الثاني قيل : يحتمل التطبيق على كل من مذاهب في الممكنات الموجودة ، وذلك أنها إما موجودة حقيقة بمعنى أنها متصفة بالوجود اتصافاً حقيقياً بأن يكون الوجود زائداً عليها قائماً بها ، وهو مذهب جمهور الحكياء . والمتكلمين ، وإمام موجود مجازاً وليس لها اتصاف حقيقى بالوجود بأن يكون الوجود قائماً بها بل إطلاق الوجود عليها كإطلاق الشمس على الماء ، وإليه ذهب المتألهون من الحكياء . والمحققون من الصوفية إلا أن ذوق المتألهين أن علاقة المجاز أن لها نسبة مخصوصة إلى حضرة الوجود الواجب على وجوه مختلفة وأنحاء شتى ، والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، فالوجود عندهم جزئى حقيقى قائم بذاته لا يتصور عروضة لشيء ولا قيامه به ومعنى كون الممكن موجوداً أنه مظهر له ومجلى ينجلي فيه نوره - فالله نور السموات والأرض - والممكنات بمنزلة المرايا المختلفة التى تنعكس إليها أشعة الشمس وينصنع كل منها بصنع يناسبه ، ومذاق المحققين من الصوفية أن علاقة المجاز أنها بمنزلة صفات قائمة بذات الواجب سبحانه إذ ليس فى الوجود على مذاقهم ذات متعددة بعضها واجب وبعضها ممكن بل ذات واحدة لها صفات متكررة وشئون متعددة وتجايات متجددة (قل الله ثم ذرهم) والمشهور أنه لا فرق بين المذاقين . ووجه التطبيق على الأول أن يقال : المراد من الوجه الذى يلى جهته تعالى هو الوجوب بالغير إذ الممكن - وإن كان موجوداً حقيقة عند الجمهور - لكن وجوده مستفاد من الواجب بالذات ، وجهة الاستفادة ليست هى الذات ولا شيئاً آخر من الجهات والوجوه كالأمكن . والمعلولية . والجوهرية . والعرضية . والبساطة . والتركيب وسائر الأمور العامة لأن كلاهما جهته الخاصة ، ومقتضى الفطرة الإمكانية البعيدة بمراحل عن الوجوب الذاتى المنافية له ، وإنما جهة الشرف القريبة المناسبة للوجوب الذاتى جهة الوجوب بالغير فهو وجه يلى جهة الواجب ويناسبه فى كونه وجوباً وإن كان بالغير ، ولذا يغقبه فيضان الوجود ، ولذا تسميهم يقولون : الممكن ما لم يجب لم يوجد *

ووجه التطبيق على الثانى أن يقال : الوجه الذى يلى جهته تعالى هو تلك النسبة المخصوصة المصححة لإطلاق لفظ الوجود عليها ولو مجازاً . فالمعنى (كل من عليها فان) معدوم لا يصح أن يطلق لفظ الوجود عليه ولو مجازاً إلا باعتبار الوجه الذى يلى جهته تعالى أى النسبة المخصوصة إلى حضرة تعالى . هى كونه مظهراً له سبحانه ، ووجه التطبيق على الثالث أن يقال : المراد بالوجه الذى يلى جهته تعالى كونه شئونات واعتبارات له تعالى . فالمعنى (كل من عليها) معدوم من جميع الوجوه والاعتبارات إلا من الوجه الذى يلى جهته سبحانه والاعتبار الذى يحصل مقيساً إليه عز وجل ، وهو كونه شأناً من شئونه واعتباراً من اعتباراته جل شأنه فتأمل مستعيناً بالله عز وجل . ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧ ﴾ أى يحمله الموحدون عن التشبيه بخلقه ويثبتون له ما يليق بشأنه تعالى شأنه فهذا راجع إلى ماله سبحانه من التعظيم فى قلوب من عرفه عز وجل أو الذى يقال فى شأنه : ما أهلك وما أكرمك أى هو سبحانه من يستحق أن يقال فى شأنه ذلك قيل أو لم يقل فهو راجع إلى ماله تعالى من الكمال فى نفسه باعتبار قصور الإدراك عن شأوه ، أو من عنده الجلال والإكرام للموحدين فهو راجع إلى الفعل أى يحل الموحدون ويكرمهم ، وفسر بعض المحققين (الجلال) بالاستغناء المطلق (والإكرام) بالفضل التام وهذا ظاهر ، ووجه الأول بأن الجلال العظمة وهى تقتضى ترفعه تعالى عن الموجودات ويستلزم أنه سبحانه غنى عنها ، ثم ألحق بالحقيقة ، ولذا قال الجوهرى : عظمة الشئ الاستغناء عن غيره وكل محتاج حقير ، وقال الكرماني :

إنه تعالى له صفات عدمية مثل (لا شريك له) وتسمى صفات الجلال لما أنها تؤدى بحال عن كذا جل عن كذا
وصفات وجودية - كالحياة . والعلم - وتسمى صفات الإكرام ، وفيه تأمل *
والظاهر أن (ذو) صفة للوجه ، ويتضمن الوصف بملذ كر على ما ذكره البعض الإشارة إلى أن فناء
(من عليها) لا يخل بشأنه عز وجل لأنه الغنى المطلق ، والإشارة إلى أنه تعالى بعد فنائهم يفيض على الثقلين
من آثار كرمه ما يفيض وذلك يوم القيامة ، ووصف الوجه بما وصف يبعد كونه عبارة عن العمل الصالح
أو الجهة على ما سمعت آنفاً وكأن من يقول بذلك يقول : (ذو) خير مبتدا محذوف هو ضمير راجع إلى الرب
وهو في الأصل صفة له ، ثم قطعت عن التبعية ، ويؤيده قراءة أبي . وعبد الله - ذى الجلال - بالياء على أنه
صفة تابعة للرب ، وذكر الراغب أن هذا الوصف قد خص به عز وجل ولم يستعمل في غيره ، فهو من أجل
أوصافه سبحانه ، ويشهد له ما رواه الترمذى عن أنس . والامام أحمد عن ربيعة بن عامر مرفوعاً « أنظوا
ياذا الجلال والاكرام » أى الزموا واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به فى دعائكم ، وروى الترمذى .
وأبو داود . والنسائى عن أنس « أنه كان مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورجل يصلى ثم دعا فقال :
اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام يا حي
يا قيوم ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : لأصحابه أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذى نفسى
بيده لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » *

﴿ فَبَأَى آءَاءُ رَبِّكَ أَنْ تُكَذِّبَآءَ ٢٨ ﴾ مما يتضمنه مآذ كر فآن الفآء بآب للبقاء ، وآلآآة الآبآة ، وآلآآة بالنعمة السرمدية ، وآال الطآبى : المرآد من الآآة السابقة ملزوم معناها لآنها كناية عن مجئ وآق الآزاء وهو من آجل النعم ، ولذلك آص (الآلال وآال كرام) بالآذ كر لآنها آدلآن على آلآآة وآالعآب المرآد منها آآوآف العباد وآآذآرهم من آر آكاب ما آآرب علىه العآاب ، وآآذآر من مثل ذاك نعمة ، فلذا رآب علىها بالفآء قوله تعالى : (فَبَأَى آءَاءُ) آآ ، وآلس بذاك ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قاطبة ما آآآآون آله فى ذواتهم آآوآاً وبقاءاً وفى سائر أآوالهم سؤالاً مستمراً بلسان المقال أو بلسان آال فانهم كافة من آآآ آقآآآهم الممكنة بمعزل من استآآاق الوجود وما آآفرع علىه من السكآالات بالمرآة بآآ لو انآطع ما آآآهم وآآن العآآة الآلهية من العلاقة لم آشموا رائآة الوجود أصلاً فهم فى كل آن سائلون •

وأخرج عبد بن حميد . وابن المنذر عن أبي صالح (يسأله من في السموات) الرحمة ، ومن في - الأرض -
المغفرة والرزق ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج (يسأله) الملائكة عليهم السلام الرزق لأهل الأرض
والمغفرة . وأهل الأرض يسألونهما جميعاً وماتقدم أولى . ولا دليل على التخصيص .
والظاهر أن الجملة استئناف . وقيل : هي حال من - الوجه - والعامل فيها (يبقى) أى هو سبحانه دائم في

هذه الحال ، ولا يخفى حاله على ذى تمييز ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ كل وقت من الاوقات ولحظة من اللحظات •

(هُوَ فِي شَأْنِ ٢٩) من الشئون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصاً ، ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته عز وجل المبنية على الحكم البالغة ، وأخرج البخاري في تاريخه . وابن ماجه . وابن حبان . وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية : « من شأنه

أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين » زاد البزار « ويجب داعياً » ، وقيل : إن الله تعالى في كل يوم ثلاث عساكر . عسكر من الاصلاب إلى الارحام . وعسكر من الارحام إلى الدنيا . وعسكر من الدنيا إلى القبور ، والظاهر أن المراد بيان كثرة شئونه تعالى في الدنيا فكل يوم على معنى كل وقت من أوقات الدنيا .

وقال ابن عينة : الدهر عند الله تعالى يومان ، أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإمارة والاحياء . وثانيهما اليوم الذي هو يوم القيامة فشأنه سبحانه فيه الجزاء والحساب ، وعن مقاتل إن الآية نزلت في اليهود قالوا : إن الله تعالى لا يقضى يوم السبت شيئاً فرد عز وجل عليهم بذلك ، وسأل عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وما صح من أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة فقال : شئون يديها لا شئون يبتديها ، وانتصب (كل يوم) على الظرف ، والعامل فيه هو العامل في قوله تعالى : (في شأن) ، و (هو) ثابت المحذوف : فكأنه قيل هو ثابت في شأن كل يوم ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ ﴾ بما يسعف به سؤالكم وما يخرج لكم أيديه من مكن عدم حيناً خفياً ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ الفراغ في اللغة يقتضى سابقة شغله والفراغ للشئ يقتضى لاحقيه أيضاً ، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن فجعل انتهاء الشئون المشار إليها بقوله تعالى : (كل يوم هو في شأن) يوم القيامة إلى واحد هو جزاء المكلفين فراغاً لهم على سبيل التمثيل لأن من ترك أشغاله إلى شغل واحد يقال : فرغ له واليه فشبّه حال هؤلاء . وأخذته تعالى في جزائهم بحسب بحال من فرغ له ، وجازت الاستعارة التصريحية التبعية في (سنفرغ) بأن يكون المراد سناخذ في جزائكم فقط الاشتراك الاخذ في الجزاء فقط ، والفراغ عن جميع المهام إلى واحد في أن المعنى به ذلك الواحد ، وقيل : المراد التوفر في الانتقام والنكابة ، وذلك أن الفراغ للشئ يستعمل في التهديد كثيراً كأنه فرغ عن كل شئ لأجله فلم يقله شغل غيره فبدل على التوفر المذكور ، وهو كناية فيمن يصح عليه ، ومجاز في غيره كالذي نحن فيه ، ولعل مراد ابن عباس . والضحاك بقولهما - كما أخرج ابن جرير عنهما - هذا وعيد من الله تعالى لعباده ماذكر ، والخطاب عليه قيل : للجرمين ، وتعقب بأن النداء الآتي يأباه ، نعم المقصود بالتهديد هم ، وقيل : لمانع من تهديد الجميع ، ثم إن هذا التهديد إنما هو بما يكون يوم القيامة ، وقول ابن عطية : يحتمل أن يكون ذلك توعداً بعذاب الدنيا بما لا يكاد يلتفت إليه ، وقيل : إن فرغ يكون بمعنى قصد ، واستدل عليه بما أنشد ابن الأنباري لجرير :

الآن وقد (فرغت) إلى نمر فهذا حين كنت لهم عذاباً

أى قصدت ، وأنشد النحاس : فرغت إلى العبد المقيد في الحجل . وفي الحديث « لا تفرغ لك يا خبيث » قاله صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطباً به أذب العقبة يوم يبعثها أى لا قصدن إبطال أمرك ، ونقل هذا عن الخليل . والكسائي . والفراء ، والظاهر أنهم حملوا ما في الآية على ذلك ، فالمراد حينئذ تعلق الإرادة تعلقاً تنجيزياً بجزائهم ، وقرأ حمزة . والكسائي . وأبو حيوة . وزيد بن علي . سيفرغ - بياء الغيبة ، وقرأ قتادة . والاعرج (سنفرغ) بنون العظمة . وفتح الراء مضارع فرغ بكسر ها - وهو لغة تميم - كما أن (سنفرغ) في قراءة الجمهور مضارع فرغ بفتحها لغة الحجاز ، وقرأ أبو السمال . وعيسى (سنفرغ) بكسر النون وفتح الراء وهي - على ما قال أبو حاتم - لغة سفلى مضر ، وقرأ الأعشى . وأبو حيوة بخلاف عنهما . وابن أبي عملة . والزعفراني

- سيفرغ - بضم الياء وفتح الراء مبنياً للمفعول؛ وقرأ عيسى أيضاً (سيفرغ) بفتح النون وكسر الراء، والاعرج أيضاً - سيفرغ - بفتح الياء والراء وهى لغة، وقرأ سافرغ بهمزة المتكلم وحده، وقرأ أبى (سيفرغ) إليكم عداة يالى قليل: للحمل على القصد، أو لتضمينه معناه أى (سيفرغ) قاصدين إليكم (آية الثقلان ٣١) هما الانس والجن من ثقل الدابة وهو ما يحمل عليها جعلت الارض كالحولة والانس والجن ثقلها، وما سواهما على هذا كالعلاوة، وقال غير واحد: سميا بذلك لثقلهما على الارض، أولرزانة رأيهما وقدرهما وعظم شأنهما، ويقال لكل عظيم القدر بما يتنافس فيه: ثقل، ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى» وقيل: سميا بذلك لأنهما مثقلان بالتكليف، وعن الحسن لثقلهما بالذنوب (فَبَإَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢) التى من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى إلى سوء الحساب (يَمَعَشَرُ الْجُنُّ وَالْأَنْسُ) هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة نفخوطبوا بما ينبىء عن ذلك ليبان أن قدرتهم لا تنفى بما كلفوه وكأنه لما ذكر سبحانه أنه مجاز للعباد لا محالة عقب عز وجل ذلك ببيان أنهم لا يقدرُونَ على الخلاص من جزائه وعقابه إذا أرادَه فقال سبحانه: (يامعشر الجن والانس) (إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ) إن قدرتم، وأصل الاستطاعة طلب طواعية الفعل وتأتيه *

(أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هارين من الله تعالى فارين من قضائه سبحانه (فَأَنْفُذُوا) فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابه عز وجل، والأمر للتعجيز (لَا تَنْفُذُونَ) لا تقدرُونَ على النفوذ (إِلَّا بِسُلْطَانٍ ٣٣) أى بقوة وقهر وأتم عن ذلك بمعزل وألف ألف منزل، روى أن الملائكة عليهم السلام ينزلون يوم القيامة فيحيطون بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجهها إلا وجدوا الملائكة أحاطت به، وقيل: هذا أمر يكون فى الدنيا، قال الضحاك: بينما الناس فى أسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة فتهرب الجن والانس فتحقق بهم الملائكة وذلك قليل قيام الساعة، وقيل: المراد إن استطعتم الفرار من الموت ففروا، وقيل: المعنى إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا بما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن (لا تنفذون) ولا تعلمون إلا بيئته وحجة نصبها الله تعالى فتخرجون عليها بأفكاركم، وروى ما يقاربه عن ابن عباس والأنسب بالمقام لا يخفى *

وقرأ زيد بن على إن استطعتم رعاية للنوعين وإن كان تحت كل أفراد كثيرة واجمع لرعاية تلك الكثرة وقد جاء كل فى الفصح نحو قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)

(فَبَإَىءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة، وقيل: على الوجه الآخر فيما تقدم أى بما نصب سبحانه من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلا (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا) استئناف فى جواب سؤال مقدر عن الداعى للفرار أو عما يصيبهم أى يصب عليكم (شَواظ) هو اللهب الخالص كما روى عن ابن عباس، وأنشد عليه أبو حيان قول حسان: هجوتك فاختضعت لنا بذل بقافية تأجج (كالشواظ)

وقيل : اللهب المختلط بالدخان ، وقال مجاهد : اللهب الأحمر المنقطع ، وقيل : اللهب الأخضر ، وقال الضحاك : الدخان الذي يخرج من اللهب ، وقيل : هو النار والدخان جميعاً ، وقرأ عيسى . وابن كثير . وشبل (شواظ) بكسر الشين ﴿ مِنْ نَّارٍ ﴾ متعلق - يرسل - أو بمضمر هو صفة - لشواظ - و (من) ابتدائية أى ثائن من نار والتنوين للتفخيم ﴿ وَنَحَّاسٌ ﴾ هو الدخان الذي لاهب فيه كما قاله ابن عباس لنافع بن الأزرق وأنشدله قول الأعشى ، أو النابغة الجعدي :

تضئ كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه (نحاساً)

وروى عنه أيضاً ، وعن مجاهد أنه الصفر المعروف أى يصب على رموس كما صفر مذاب ، والراغب فسره باللهب بلا دخان ثم قال : وذلك لشبهه في اللون بالنحاس ، وقرأ ابن أبي إسحق . والنخعي . وابن كثير . وأبو عمرو (ونحاس) بالجر على أنه عطف على نار ، وقيل : على (شواظ) وجر للجوار فلا تغفل *
وقرأ الكلبي . وطلحة . ومجاهد بالجر أيضاً لكنهم كسروا النون وهو لغة فيه ، وقرأ ابن جبير - ونحس - كما تقول يوم نحس ، وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة . وابن أبي إسحق أيضاً - ونحس - مضارعاً ، وماضيه حسه أى قتله أى ونقتل بالعذاب ، وعن ابن أبي إسحق أيضاً - ونحس - بالحركات الثلاث في الحاء على التخيير . وحظلة ابن عثمان - ونحس - بفتح النون وكسر السين ، والحسن . وإسماعيل - ونحس - بضمين والكسر ، وهو جمع - نحاس - كل حاف ولحف ، وقرأ زيد بن علي - نرسل - بالنون - شواظاً - بالنصب - ونحاساً - كذلك عطفاً على شواظاً

﴿ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ٣٥ ﴾ فلا تتمنعان وهذا عند الضحاك في الدنيا أيضاً *

أخرج ابن أبي شيبة عنه أنه قال في الآية : يخرج نار من قبل المغرب تحشر الناس حتى إنها تحشر القردة والخنازير تبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا ، وقال في البحر : المراد تعجيز الجن والانس أى أتما بحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه ﴿ فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَ مَا تَكْذِبَانِ ٣٦ ﴾ فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتْ أَسْمَاءُ ﴾ أى انصدعت يوم القيامة ، وحديث امتناع الخرق حديث خرافة ، ومثله ما يقوله أهل الهيئة اليوم في السماء على أن الانشقاق فيها على زعمهم أيضاً متصور ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أى كالوردة في الحمرة ، والمراد بها النور المعروف قاله الزجاج . وقتادة ، وقال ابن عباس . وأبو صالح : كانت مثل لون الفرس الورد ، والظاهر أن مرادها كانت حمراء *
وقال الفراء : أريد لون الفرس الورد يكون في الربيع إلى الصفرة ، وفي الشتاء إلى الحمرة ، وفي اشتداد البرد إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل ، وروى هذا عن الكلبي أيضاً ، وقال أبو الجوزاء : (وردة) صفراء والمعول عليه إرادة الحمرة ، ونصب (وردة) على أنه خبر - كان - ، وفي الكلام تشبيه بليغ ، وقرأ عبيد بن عمير (وردة) بالرفع على أن - كان - تامة أى فحصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد لانه بمعنى كانت منها ، أو فيها سماء وردة مع أن المقصود أنها نفسها كذلك فهو كقول قتادة بن مسلبة :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحو المغانم أو يموت كريم

حيث عني بالكريم نفسه ، وقوله تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ هُمْ ٣٧ ﴾ خبر ثان لكانت - أو نعت - لوردة - أو حال

من اسم - كانت - على رأى من أجازة أى كدهن الزيت كما قال تعالى : (كالمهل) وهو دردى الزيت ، وهو إما جمع دهن كقرط وقرط ، أو اسم لما يدهن به كالخزام والادام ، وعليه قوله في وصف عينين كثيرتي التذارف :

كأنهما مرادتا متعجل فريان لما تدهنا (بدهان)

وهو الدهن أيضا إلا أنه أخص لأنه الدهن باعتبار إشرابه الشئ، ووجه الشبه الذوبان وهو في السماء على م قيل من حرارة جهنم وكذا الحمرة ، وقيل : اللمعان ، وقال الحسن : أى كالدهان المختلفة لأنها تتلون ألوانا ، وقال ابن عباس : الدهان الأديم الأحمر ، ومنه قول الاعشى :

وأجرد من كرام الخيل طرف كأن على شواكله (دهان)

وهو مفرد ، أو جمع ، واستدل للثاني بقوله :

تبعن (الدهان) الحمر كل عشية بموسم بدر أو بسوق عكاظ

وإذا شرطية جوابها مقدر أى كان ما كان مما لا تطيقه قوة البيان ، أو وجدت أمراً هائلا ، أو رأيت ما يذهل الناظرين وهو الناصب لإذا ، ولهذا كان مفعلاً ومسبباً عما قبله لأن في إرسال الشواظ ما هو سبب لحدوث أمر هائل ، وأرويته في ذلك الوقت ﴿ فَبَآئٍ ۚ ٱلْآءَ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨ ﴾ فان الاخبار بنحو ما ذكر مما يزرع عن الشر فهو لطف أى لطف ونعمة أى نعمة ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أى يوم إذ تنشق السماء حسبا ذكر *

﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ٣٩ ﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وهذا في موقف ، وما دل على السؤال من نحو قوله تعالى : (فوركك لنسألهم أجمعين) في موقف آخر قاله عكرمة وقتادة ، وموقف السؤال على ما قيل : عند الحساب ، وترك السؤال عند الخروج من القبور ، وقال ابن عباس : حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير ، وحيث نفى فهو استخبار محض عن الذنب ، وقيل : المنفى هو السؤال عن الذنب نفسه والمثبت هو السؤال عن الباعث عليه ، وأنت تعلم أن في الآيات ما يدل على السؤال عن نفس الذنب *

وحكى الطبرسى عن الرضا رضى الله تعالى عنه أن من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب عذب في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه ، ولعمري إن الرضا لم يقل ذلك ، وحمل الآية عليه بما لا يلتفت إليه بعين الرضا كما لا يخفى ، وضمير ذنبه للانس وهو متقدم رتبة لأنه نائب عن الفاعل ، وإفراده باعتبار اللفظ ، وقيل : لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل : لا يسأل عن ذنبه إنسى ولا جنى ، وقرأ الحسن : وعمر بن عبيد - ولا جان -

بأهمل فراراً من التقاء الساكنين وإن كان على حده ﴿ فَبَآئٍ ۚ ٱلْآءَ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٠ ﴾ يقال فيه نحو ما سمعت في سابقه ﴿ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ استئناف يجرى مجرى التعليل لاتقاء السؤال ، و (المجرمون) قيل : من وضع الظاهر موضع الضمير للإشارة إلى أن المراد بعض من الانس وبعض من الجن وهم المجرمون فيكون ذلك كقوله تعالى : (لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ، و - سيماهم - على ما روى عن الحسن سواد الوجوه وزرقة العيون ، وقيل : ما يعلوهم من الكتابة والحزن ، وجوز أن تكون أمورا آخر - كالعمى . والبكم . والصمم - *

وقرأ حماد بن سليمان بسيماهم ﴿ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي ﴾ جمع ناصية وهى مقدم الرأس ﴿ وَٱلْأَقْدَامِ ٤١ ﴾ جمع قدم وهى قدم الرجل المعروفة والباء للآلة مثلها في أخذت بخظام الدابة ، والجار والمجرور نائب الفاعل ،

وقال أبو حيان: إن الباء للتعدية والفعل مضمن معنى ما يعدي بها أى فيسحب بالنواصي الخ، رفيه بحث. وظاهر كلام غير واحد أن -أل- عوض عن المضاف إليه الضمير أى بنواصيرهم وأقدامهم، ونص عليه أبو حيان فقال: -أل- فيها عوض عن الضمير على مذهب الكوفيين، والضمير محذوف على مذهب البصريين أى بالنواصي والاقدام منهم، وأنت تعلم أن الخلاف بين أهل البلدين فيما إذا احتجج إلى الضمير الربط ولا احتياج إليه هنا، نعم المعنى على الضمير وكيفية هذا الأخذ على ما روى عن الضحاك أن يجمع الملك بين ناصية أحدهم وقدميه في سلسلة من ورءا ظهره ثم يكسر ظهره ويلقيه في النار، وقيل: تأخذ الملائكة عليهم السلام بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم، وقيل: تسحبهم الملائكة عليهم السلام تارة بأخذ النواصي وتارة بأخذ الأقدام، فالواو بمعنى أو التي للتقسيم وهو خلاف الظاهر، وإيهام الفاعل لانه كالمعتين، وقيل: للرمز إلى عظمتها فقد أخرج ابن مردويه والضياء المقدسي في صفة النار عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا بالنواصي والاقدام» (فَبَأَىءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقال فيه نحو ما تقدم، وقوله تعالى:

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ مقول قول مقدر معطوف على قوله تعالى: (يُؤْخَذُ) الخ أى ويقال هذه الخ. أو مستأنف في جواب ماذا يقال لهم لانه مظنة للتوبيخ والتقريع، أو حال من أصحاب النواصي بناءً على أن التقدير نواصيرهم أو النواصي منهم، وما في البين اعتراض على الأول والاخير وكان أصل (التي يكذب بها المجرمون) التي كذبت بها فعذل عنه لما ذكر للدلالة على استمرار ذلك وبيان لوجه توبيخهم وعقلته *

﴿يَطُوفُونَ فِيهَا﴾ أى يترددون بين نارها (وَبَيْنَ حَمِيمٍ) ماء حار (وَأَن ۙ ۙ ۙ) متناه إناءه وطبخه بالغ في الحرارة أفصاها، قال قتادة: الحميم يغلى منذ خاق الله تعالى جهنم والمجرم ويعاقب بين تصلية النار وشرب الحميم، وقيل: يحرقون في النار ويصب على رؤوسهم الحميم، وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم، وقيل: يغسسون في واد في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فتخام أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديداً، وعن الحسن أنه قال: (حميم آن) النحاس انتهى حره، وقيل: (آن) حاضر.

وقرأ السلي يطافون، والاعمش. وظلحة. وابن مقسم (يطوفون) بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو

مشددة، وقرئ (يطوفون) أى يتطوفون (فَبَأَىءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۙ ۙ ۙ) هو أيضا كما تقدم

﴿وَلَمَن ۙ ۙ ۙ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ الخ شروع في تعديد الآلاء التي تفاض في الآخرة، (و) (مقام) مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل أى (ولمن خاف) قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقبا له حافظاً لأحواله، فالقيام هنا مثله في قوله تعالى: (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذا مروي عن مجاهد: وقتادة، أو هو اسم مكان، والمراد به مكان وقوف الخلق في يوم القيامة للحساب، والاضافة إليه تعالى لامية اختصاصية لان الملك له عز وجل وحده فيه بحسب نفس الامر، والظاهر والخلق قائمون له كما قال سبحانه: (يقوم الناس لرب العالمين) منتظرون ما يحل عليهم من قبله جل شأنه، وزعم بعضهم أن الاضافة على هذا الوجه لادنى ملابسة وليس بشيء، وقيل: المعنى (ولمن خاف) مقامه عند ربه على أن المقام مصدر أو اسم مكان وهو للخائف نفسه، وإضافته

للرب لانه عنده تعالى فهي مثلها في قولهم : شاة رقود الحلب ، وهي بمعنى - عند - عند الكوفيين أى رقود عند الحلب ، وبمعنى اللام عند الجمهور كما صرح به شراح التسهيل وليست لأدنى ملابسة كما زعم أيضا ، ثم إن المراد بالعندية هنا مما لا يخفى ، وجوز أن يكون مقحما على سبيل الكناية ، فالمراد ولمن خاف ربه لكن بطريق برهاني بليغ ، ومثله قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه (مقام الذنب) كالرجل اللعين (١)

وهو الاظهر على ما ذكره صاحب الكشف ، والظاهر أن المراد ولكل فرد فرد من الخائفين :

﴿ جَنَّاتٌ ٤٦ ﴾ فقيل : إحداهما منزله ومحل زيارة أحبائه له ، والأخرى منزل أزواجه وخدمته ، واليه ذهب الجبائي ، وقيل : بستانان بستان داخل قصره وبستان خارجه ، وقيل : منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته ، وأين هذا ممن يطوف بين النار ، وبين حميم آن ؟ ؟

وجوز أن يقال : جنة لعقيدته وجنة لعمله ، أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي ، أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه ، أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية ، ولا يخفى أن الصفات الآتية ظاهرة في الجسمانية . وقال مقاتل : جنة عدن وجنة نعيم ، وقيل : المراد لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجنى ، فإن الخطاب للفريقين ، وهذا عندي خلاف الظاهر ، وفي الآثار ما يبعده ، فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنه كان شابا على عهد رضى الله تعالى عنه ملازم للسجدة والعبادة فعشقه جارية فأتته في خلوة فكلمته فحدثته نفسه بذلك فشوق شهقة فغشى عليه فجاء عم له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر فاقربه منى السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فأنطلق فأخبر عمر وقد شهق الفتى شهقة أخرى فمات فوقه عليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال : لك جنتان لك جنتان .

والخوف في الاصل توقع مكروه عند أمارة مظنونة أو معلومة ويضاده الأمن قال الراغب : والخوف من الله تعالى لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحريم الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا ، ويؤيد هذا تفسير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الخائف هنا كما أخرج ابن جرير عنه بمن ركب طاعة الله تعالى وترك معصيته .

وقول مجاهد : هو الرجل يريد الذنب فيذكر الله تعالى فيدع الذنب ، والذي يظهر أن ذلك تفسير باللازم ، وقد يقال : إن ارتكاب الذنب قد يجتمع الخوف من الله تعالى وذلك كما إذا غلبته نفسه ففعله خائفاً من عقابه تعالى عليه ، وأيد ذلك بما أخرجه أحمد . والنسائي . والطبراني . والحكيم الترمذى في نواذر الاصول . وابن أبي شيبة . وجماعة عن أبي الدرداء « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الثانية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال الثالثة : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم وإن رغم أنف أبي الدرداء » وأخرج الطبراني . وابن مردويه من طريق الجريري عن أخيه قال : سمعت محمد بن سعد يقرأ - ولمن خاف مقام ربه جنتان وإن زنى وإن سرق - فقلت : ليس فيه وإن زنى وإن سرق

(١) ضمير (٤) (عنه) راجع إلى الإمام في البيت قبله . وماء قد وردت لوصول أروى . عليه الطير كالورق اللجين .

وهو من قصيدة للشماخ مدح بها عرابة بن أوس الخزرجي . والشاهد في قوله : (مقام الذنب) .

فقال : سمعت أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه يقرأها كذلك فأنا أقرأها كذلك حتى أموت ، وصرح بعضهم أن المراد بالخوف في الآية أشده فتأمل . وجاء في شأن هاتين الجنتين من حديث عياض بن غنم مرفوعاً « إن عرض كل واحدة منهما مسيرة مائة عام » والآية على ما روى عن ابن الزبير . وابن شاذان نزلت في أبي بكر * وأخرج ابن أبي حاتم . وأبو الشيخ في العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذكر ذات يوم وفكر في القيامة . والموازين . والجنة . والنار . وصفوف الملائكة . وطى السموات . ونسف الجبال وتكوير الشمس . وانتثار الكواكب فقال : وددت أنى كنت خضراً من هذه الخضر تأتى على بهيمة فتأكلنى وأنى لم أخلق فنزلت (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ﴿ فَبَآئٍ ۖ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٧ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ٤٨ ﴾) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ ، وجوز أن يكون خبر مبتدأ مقدر أى هما ذواتا ، وأياً ما كان فهو تثنية - ذات - بمعنى صاحبة فانه إذا تثنى فيه لغتان ذاتا على لفظه وهو الأقيس كما يثنى مذكره ذوا ، والآخرى (ذواتا) برده إلى أصله فان التثنية ترد الأشياء إلى أصولها ، وقد قالوا : أصل ذات ذوات لكن حذف الواو تخفيفاً ، وفرق بين الواحد والجمع ودلت التثنية ورجوع الواو فيها على أصل الواحد وليس هو تثنية الجمع كما يتوهم وتفصيله في باب التثنية من شرح التسهيل ، والأفنان إما جمع فن بمعنى النوع ولذا استعمل في العرف بمعنى العلم أى ذواتا أنواع من الاشجار والثمار ، وروى ذلك عن ابن عباس . وابن جبير . والضحاك ، وعليه قول الشاعر :

ومن كل (أفنان) اللذاذة والصبا لهُوت به والعيش أخضر ناضر

وإما جمع فن وهو ماد قولان من الأغصان كما قال ابن الجوزى ، وقد يفسر بالغصن ، وحمل على التسامح وتخصيصها بالذكور مع أنها ذواتا قصب وأوراق وثمار أيضاً لأنها هى التى تورق وتثمر . فنها تمتد الظلال . ومنها تجنى الثمار فى الوصف تذكير لهما فيكأنه قيل : (ذواتا) ثمار وظلال لكن على سبيل الكناية وهى أخضر وأبلغ ، وتفسيره بالأغصان على أنه جمع فن مروي عن ابن عباس أيضاً ، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد قال أبو حيان : وهو أولى لأن أفعالا فى فعل أكثر منه فى فعل بسكون العين كفن ، ويجمع هو على فنون .

﴿ فَبَآئٍ ۖ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٥٠ ﴾ صفة أخرى لجنتان أو خبر ثان للمبتدأ المقدر أى فى كل منهما عين تجري بالماء الزلال تسمى إحدى العينين بالنسيم ، والآخرى بالسلسيل ، وروى هذا عن الحسن ، وقال عطية العوفى : (عينان) إحداهما من ماء غير آسن ، والآخرى من خمر لذة للشاربين ، وقيل : (عينان) من الماء (تجريان) حيث شاء صاحبهما من الاعالى والاسفل من جبل من مسك ، وعن ابن عباس (عينان) مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة (تجريان) بالزيادة والكرامة على أهل الجنة •

﴿ فَبَآئٍ ۖ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ٥٢ ﴾ صنفان معروف وغريب لم يعرفوه فى الدنيا ، أو رطب ويابس ولا يقصر يابس عن رطبه فى الفضل والطيب ، وأخرج عبد بن حميد . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قال ابن عباس فى هذه الآية : ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، ونقل هذا فى البحر عن ابن عباس أيضاً بزيادة إلا أنه حلو ، والجملة كالجملة التى قبلها •

﴿ فَبَآئٍ ۖ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣ مُتَّكِئِينَ ﴾ حال من قوله تعالى : -ولمن خاف- وجمع رعاية للمعنى بعد الافراد

رعاية للفظ ، وقيل : العامل محذوف أى يتمتعون متكئين ، وقيل : مفعول به بتقدير أئني ، والاتكاه من صفات المتعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب ، والمعنى متكئين فى منازلهم ﴿ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ ﴾ من ديباج ثخين قال ابن مسعود - كما رواه عنه جمع . وصححه الحاكم - أخبرتم بالبطائن فكيف بالظواهر ، وقيل : ظواهرها من سندس ، وعن ابن جبير من نور جامد ، وفى حديث من نور يتلأأ وهو إن صح وقف عنده * وأخرج ابن جرير . وغيره عن ابن عباس أنه قيل له : (بطائنهما من استبرق) فإذا الظواهر ؟ قال : ذلك مما قال الله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وقال الحسن : البطائن هى الظواهر وروى عن قتادة ، وقال الفراء : قد تكون البطانة الظمارة والظاهرة البطانة لان كلا منهما يكون وجهاً والوجه تقول : هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء ، والحق أن البطائن هنا مقابل الظواهر على الوجه المعروف ، وقرأ أبو حيو (فرش) بسكون الراء ، وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال : قرأ عبد الله على (سرر . وفرش بطائنهما من استبرق) ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ أى ما يجنى ويؤخذ من أشجارهما من الثمار ، فجنى اسم أوصفة مشبهة بمعنى المجنى ﴿ دَان ٥٤ ﴾ قريب يناله القائم . والقاعد . والمضطجع ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولئى الله تعالى إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا ، وعن مجاهد ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت يازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك ، وقرأ عيسى (وجنى) بفتح الجيم وكسر النون كأنه أمال النون وإن كانت الألف قد حذفت فى اللفظ كما أمال أبو عمرو (حتى نرى الله جهرة) وقرئ (وجنى) بكسر الجيم وهو لغة فيه .

﴿ فَبَآئٍ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان ٥٥ ﴾ فهن أى الجنان المدلول عليهما بقوله تعالى : (ولمن خاف مقامه جنتان) فانه يلزم من أنه لكل خائف جنتان تعدد الجنان ، وكذا على تقدير أن يكون المراد لكل خائفين من الثقلين جنتان لاسيما وقد تقدم اعتبار الجمعية فى قوله تعالى : (متكئين) وقال الفراء : الضمير لجنتان ، والعرب توقع ضمير الجمع على المثنى ولا حاجة اليه بعدما سمعت ، وقيل : الضمير للبيوت والقصور المفهومة من الجنتين أو للجنتين باعتبار ما فيها مما ذكر ، وقيل : يعود على الفرش ، قال أبو حيان : وهذا قول حسن قريب المأخذ ، وتعقب بأن المناسب للفرش - على - ، وأجيب بأنه شبه تمكهن على الفرش بتمكن المظروف فى الظرف وإثاره للاشعار بأن أكثر حاله الاستقرار عليها ، ويجوز أن يقال : الظرفية للإشارة إلى أن الفرش إذا جلس عليها ينزل مكان الجالس منها ويرتفع ما أحاط به حتى يكاد يغيب فيها كما يشاهد فى فرش الملوك المترفين التى حشوها ريش النعام ونحوه ، وقيل : الضمير للألام المعدودة من - الجنتين . والعينين . والفاكهة والفرش . والجنى والمراد معن ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ أى نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ، أو يقصرن طرف الناظر اليهن عن التجاوز إلى غيرهن ، قال ابن رشيق فى قول امرئ القيس :

من (القاصرات الطرف) لو (دب محول من الذر فوق الانف منها لأثرا)

أراد بالقاصرات الطرف أنها منكسرة الجفن خافضة النظر غير متطلعة لما بعد ولا ناظرة لغير زوجها ، ويجوز أن يكون معناه أن طرف الناظر لا يتجاوزها كقول المتننى :

وخصر ثبت الابصار فيه كأن عليه من حرق نطقاً

انتهى فلا تغفل، والآكثرون على أول المعنيين الذين ذكرناهما بل في بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير نبوي •
أخرج ابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في ذلك
« لا ينظرن إلا إلى أزواجهن » ومتى صح هذا ينبغي قصر الطرف عليه ، وفي بعض الآثار تقول الواحدة
منهن لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي ، و(الطرف)
في الأصل مصدر فلذلك وحده ﴿ لَمْ يَطْمَئِنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٥٦ ﴾ قال ابن عباس : لم يفتضهن قبل أزواجهن
إنس ولا جان ، وفيه إشارة إلى أن ضمير قبلهن للزواج ، ويدل عليه (قاصرات الطرف) وفي البحر هو عائد
على من عاد عليه الضمير في (متكئين) ، وأصل الطمئ خروجه الدم ولذلك يقال للحيض طمئ ، ثم أطلق على
جماع الإبرار لما فيه من خروج الدم ، وقيل : ثم عمم لكل جماع ، وهو المروى هنا عن عكرمة ، وإلى الأول
ذهب الكثير ، وقيل : إن التعبير به للإشارة إلى أنهم يوجدن أبكاراً كلما جومعن ، ونفي طمئن عن الإنس
ظاهر ، وأما عن الجن فقال مجاهد . والحسن : قد تجامع الجن نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله
تعالى فنفي هنا جميع المجامعين وقيل : لا حاجة إلى ذلك إذ يكفي في نفي الطمئ عن الجن إمكانية منهم ، ولا شك
في إمكان جماع الجنى إنسية بدون أن يكون مع زوجها الغير الذي ذكر اسم الله تعالى ، ويدل على ذلك ما رواه
أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال : كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن وقالوا :
إن ههنا رجلاً من الجن يزعم أنه يريد الحلال فقال ما أرى بذلك بأساً في الدين ولكن أكره إذا وجدت امرأة
حامل قيل : من زوجك ؟ قالت : من الجن فيكثر الفساد في الإسلام ، ثم إن دعوى أن الجن تجامع نساء البشر
جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء ، وقوله تعالى : (وشاركهم في
الأموال والأولاد) غير نص في المراد بالجن ، وقال ضمرة بن حبيب : الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف
من الجن نوعهم ، فالمنع لم يطمئ الإنسيات أحد من الإنس ، ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن ،
وقد أخرج نحو هذا عنه ابن أبي حاتم ، وظاهره أن ما للجن لسن من الحور •
ونقل الطبرسي عنه أنهم من الحور وكذا الإنسيات ، ولا مانع من أن يخلق الله تعالى في الجنة حوراً للإنس
يشاكلهم يقال لهم لذلك إنسيات ، وحوراً للجن يشاكلهم يقال لهم لذلك جنيات ، ويجوز أن تكون الحور كلهن نوعاً
واحداً ويعطى الجنى منهم لكنه في تلك النشأة غير في هذه النشأة ، ويقال : ما يعطاه الإنسى منهم لم يعطها إنسى قبله ،
وما يعطاه الجنى لم يعطها جنى قبله وهذا فسر البلخي الآية ، وقال الشعبي . والكلي : تلك القاصرات الطرف
من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئت النشأة الآخرة خلق قبل ، والذي يعطاه الإنسى زوجته المؤمنة التي كانت له
في الدنيا ويعطى غيرها من نساء المؤمنين أيضاً . وكذا الجنى يعطى زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا من الجن
يعطى غيرها من نساء الجن المؤمنين أيضاً ، ويبعد أن يعطى الجنى من نساء الدنيا الإنسيات في الآخرة
والذي يغلب على الظن أن الإنسى يعطى من الإنسيات والحور والجنى يعطى من الجنيات والحور ولا يعطى إنسى
جنية ، ولا جنى إنسية وما يعطاه المؤمن إنسياً كان أو جنياً من الحور شئ يليق به وتشبهه نفسه ، وحقيقة تلك
النشأة وراء ما يخطر بالبال ، واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجن ويجمعون فيها كالإنس فهم باقون فيها
منعمين ببقاء المعذنين منهم في النار ، وهو مقتضى ظاهر ما ذهب إليه أبو يوسف . ومحمد . وابن أبي ليلى .

والاوزاعي . وعليه الأكثر - كما ذكره العيني في شرح البخاري - من أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية ، ويدخلون الجنة فإن ظاهره أنهم كالانس يوم القيامة ، وعن الامام أبي حنيفة ثلاث روايات الاولى أنهم لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا كسائر الحيوانات ، الثانية أنهم من أهل الجنة ولا ثواب لهم أى زائد على دخولها ، الثالثة التوقف قال الكردي : وهو في أكثر الروايات ، وفي فتاوى أبي إسحق بن الصفار أن الامام يقول : لا يكونون في الجنة ولا في النار ولكن في معلوم الله تعالى .

ونقل عن مالك وطائفة أنهم يكونون في ربض الجنة ، وقيل : هم أصحاب الاعراف ، وعن الضحاك أنهم يلهمون التسبيح والذكر فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وعلى القول بدخولهم الجنة قيل : نراهم ولا يرونا عكس ما كانوا عليه في الدنيا ، واليه ذهب الحارث المحاسبي ، وفي اليواقيت الخواص منهم يرونا كما أن الخواص منا يرونهم في الدنيا ، وعلى القول بأنهم يتنعمون في الجنة قيل : إن تنعمهم بغير رؤيته عز وجل فانهم لا يرونه ، وكذا الملائكة عليهم السلام ما عدا جبريل عليه السلام فانه يراه سبحانه مرة ولا يرى بعدها على ما حكاه أبو إسحق إبراهيم بن الصفار في فتاويه عن أبيه ، والاصح ما عليه الأكثر مما قدمناه وأنهم لا فرق بينهم وبين البشر في الرؤية وتماه في محله ، وقرأ طلحة . وعيسى . وأصحاب عبد الله (يطمئن) بضم الميم هنا وفيما بعد ، وقرأ أناس بضمه في الاول وكسره في الثاني . وناس بالعكس . وناس بالتخيير ، والجحدري بفتح الميم فيهما ، والجملة صفة - لقاصرات الطرف - لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصيصها بالإضافة

(فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧) وقوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥٨) إما صفة لقاصرات الطرف ، أو حال منها كالتي قبل أي مشبهات بالياقوت والمرجان ، وقول النحاس : إن السكاف في موضع رفع على الابتداء ليس بشئ كما لا يخفى ، أخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال في الآية في صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ ، وعن الحسن نحوه ، وفي البحر عن قتادة في صفاء الياقوت . وحرمة المرجان فحمل المرجان على ما هو المعروف ، وقيل : مشبهات بالياقوت في حرمة الوجه وبالمرجان أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها وتخصيص الصغار على ما في الكشف لأنه أنصع بياضاً من الكبار ، وقيل : يحسن هنا إرادة الكبار كما قيل في معناه لانه أوفق بقوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ يَبِضْ مَكْنُونٌ) فلا تغفل .

وأخرج أحمد . وابن حبان . والحاكم وصححه . والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ) الخ قال : ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضي ما بين المشرق والمغرب وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يوضح سوقها من وراء ذلك .

وأخرج عبد بن حميد . والطبراني . والبيهقي في البعث عن ابن مسعود قال : إن المرأة من الحور العين يرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البضاء .

(فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩) وقوله تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ٦٠) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي ما جزاء الاحسان في العمل إلا الاحسان في الثواب ، وقيل : المراد ما جزاء التوحيد إلا الجنة وأيد بظواهر كثير من الآثار ، أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول . والبغوي في تفسيره . والديلمي في مسند الفروس . وابن النجار في تاريخه عن أنس قال : «قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فقال: وهل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة؟ وأخرج ابن النجار في تاريخه عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً بلفظ «قال الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه» الخ ووراء ذلك أقوال تقرب من مائة قول، واختير العموم ويدخل التوحيد دخولاً أولياً، والصوفية أوردوا الآية في باب الإحسان وفسروه بما في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قالوا: فهو اسم يجمع أبواب الحقائق، وقرأ ابن أبي إسحق إلا الإحسان يعني بالإحسان قاصرات الطرف اللاتي تقدم ذكرهن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١﴾ وقوله تعالى:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾ مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان أخريان، قال ابن زيد والاكثرون الأوليان للسابقين وهاتان لأصحاب اليمين، وقد أخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم. وابن مردويه عن أبي موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله سبحانه: (ومن دونهما جنتان) قال: جنتان من ذهب للبقيين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين، وقال الحسن: الأوليان للسابقين والآخران للتابعين، وروى موقوفاً وصححه الحاكم عن أبي موسى، وزعم بعضهم أن الأوليين للخاصين والآخرين لذرياتهم الذين ألحقوا بهم ولم أجده مستنداً من الآثار، وحكى في البحر عن ابن عباس أنه قال: (ومن دونهما) في القرب للنعيمين والمؤخرتا الذكر أفضل من الأوليين، وادعى أن الصفات الآتية أمدح من الصفات السابقة ووافقه من وافقه، وسيأتي تمام الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى *

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣﴾ وقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَتَانِ ٦٤﴾ صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما تقدم من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ أو خبر مبتدأ محذوف أي همامدهامتان من الدهمة وهي في الأصل على ما قال الراغب سواد الليل ويعبر بها عن سواد الفرس وقد يعبر بها عن الخضرة الكاملة اللون كما يعبر عنها بالخضرة إذا لم تكن كاملة وذلك لثقلها في اللون، ويقال: ادهام ادهيما فهو مدهام على وزن مفعال إذا اسود أو اشتدت خضرته، وفسرها هنا ابن عباس. ومجاهد. وابن جبير. وعكرمة. وعطاء بن أبي رباح. وجماعة بخضراوان، بل أخرج الطبراني. وابن مردويه عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: «سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله تعالى: (مدهامتان) فقال عليه الصلاة والسلام: خضراوان» والمراد أنهما شديتا الخضرة والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من الرى من الماء كما روى عن ابن عباس. وابن الزبير. وأبي صالح قيل: إن في وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض كما أن في وصف السابقتين بذواتا أفنان إشعاراً بأن الغالب عليهما الأشجار فإن الأشجار توصف بأنها ذوات أفنان والنبات يوصف بالخضرة الشديدة فلاقتصار في كل منهما على أحد الأمرين مشعر بما ذكر وبني على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين في المنزلة والقدر كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأغلى من الجنة القليلة الظلال والثمار، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين الجنتين مع اختصاص الوصف بالخضرة بالنبات وكذا كونه أغلب من وصف الأشجار به فكثيراً ما تسمع الناس يقولون إذا مدحوا بستاناً أشجاره خضر يانعة وهو أظهر في مدحه بأنه ذو ثمار من ذى أفنان، وهو يشعر أيضاً بكثرة مائه والاعتناء بشأنه وبعده عن التصوح والهلاك *

﴿فَبَإِىءَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦﴾ فوارتان بالماء على ماهو الظاهر ، وفى البحر النضخ فوران الماء ، وفى الكشف . وغيره النضخ أكثر من النضج بالحاء المهملة لانه مثل الرش وهو عند من فضل الجنة الأولين دون الجرى ، فالمدح به دون المدح به ، وعليه قول البراء بن عازب فيما أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم العينان اللتان تجريان خيراً من النضاحتين ، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين يقول فى الفوران جرى مع زيادة حسن فان الماء إذا فار وارتفع وقع متائر القطرات كحبات اللؤلؤ المتناثرة كما يشاهد فى الفوارات المعروفة ، أو يقول بما أخرجه ابن أبي شيبة . وابن أبي حاتم عن أنس (نضاختان) بالمسك والعنبر تنضخان على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، أو بما أخرجه ابن أبي شيبة . وعبد بن حميد عن مجاهد (نضاختان) بالخير ، ولفظ ابن أبي شيبة بكل خير .

﴿فَبَإِىءَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٦٧ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ٦٨﴾ عطف الأخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكال عليهما السلام على الملائكة بياناً لفضلهما ، وقيل : إنها فى الدنيا لما لم يخلصا للتفكه فان النخل ثمرة فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء عدا جنساً آخر عطفاً على الفاكهة وإن كان كل ما فى الجنة للتفكه لأنه تلذذ خالص ، ومنه قال الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه : إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث ، وخالفه أصحابه ثم إن نخل الجنة ورمانها وراء ما نعرفه .

أخرج ابن المبارك . وابن أبي شيبة . وهناد . وابن أبي الدنيا . وابن المنذر . والحاكم وصححه . وآخرون عن ابن عباس نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرانيفها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم وحكمه حكم المرفوع . وفى حديث أبي سعيد الخدرى مرفوعاً أصوله فضة وجذوعه فضة وسعفه حلل وحمله الرطب النخ . وأخرج ابن أبي حاتم . وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً قال عليه الصلاة والسلام : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كمثل البعير المقتب » وهذا المدح بحسب الظاهر دون المدح فى قوله تعالى فى الجنة السابقتين : (فيهما من كل فاكهة زوجان) ومن ذهب إلى تفضيلهما يقول إن التنوين فى فاكهة للتعميم بقرينة المقام نظير ما قيل فى قوله تعالى : (علمت نفس ما أحضرت) فيكون فى قوة فيها كل (فاكهة) ويزيد ما فى النظم الجليل على ما ذكر بتضمنه الإشارة إلى مدح بعض أنواعها ، وقال الامام الرازى : إن (ما) هنا كقوله تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) وذلك لأن الفاكهة أنواع أرضية وشجرية كالبطيخ وغيره من الأرضيات المزروعات والنخل وغيرها من الشجريات فقال تعالى : (مدهامتان) لأنواع الخضر التى فيها الفواكه الأرضية ، وفيها أيضاً الفواكه الشجرية وذكر سبحانه منها نوعين الرطب والرمان لانهما متقابلان أحدهما حلوا والآخرفيه حامض ، وأحدهما حار والآخربارد ، وأحدهما فاكهة وغذاء والآخرفاكهة ، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخرفواكه البلاد الباردة ، وأحدهما أشجاره تكون فى غاية الطول والآخرفليس كذلك ، وأحدهما ما يؤكل منه بارز وما لا يؤكل كالمز والآخر بالعكس فهما كالضدين ، والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما كما فى قوله تعالى : (رب المشرقين ورب المغربين) انتهى ، ولعل الأول أولى (فَبَإِىءَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٦٩) وقوله تعالى : (فيهن خير) (فيهن خير) صفة أخرى لجناتان ، أو خبر بعد خبر للببتدأ المحذوف كالجمله التى قبلها ،

ويجوز أن تكون مستأنفة والسلام في ضمير الجمع هنا كالسلام فيه في قوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف) و(خيرات) قال أبو حيان: جمع خيرة وصف بنى على فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شره ، وقال الزمخشري: أصله (خيرات) بالتشديد تخفف كقوله عليه الصلاة والسلام: «هينون لينون» وليس جمع خير بمعنى أخير فإنه لا يقال فيه خيرون ولا خيرات ، ولعله لأن أصل اسم التفضيل أن لا يجمع خصوصاً إذا نكر ، وقرأ بكر بن حبيب وأبو عثمان النهدي . وابن مقسم (خيرات) بتشديد الياء وهو يؤيد أن أصله كذلك ، وروى عن أبي عمرو (خيرات) بفتح الياء كأنه جمع خائرة جمع على فعلة ﴿حَسَنٌ ٧٠﴾ قيل: أى حسان الخساق والخلق .

وأخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال في الآية : (خيرات) الأخلاق (حسان) الوجوه ، وأخرج ذلك ابن جرير . والطبراني . وابن مردويه عن أم سلمة مرفوعاً •

﴿فَبَآئٍ ۖ مَا لَآءَ رَبُّكَمَا تَعَدَّ بَانَ ٧١﴾ وقوله تعالى : ﴿حُورٌ﴾ بدل من (خيرات) وهو جمع حوراء وكذا جمع أحور ، والمراد يبيض لما أخرجه ابن المنذر . وغيره عن ابن عباس وروته أم سلمة أيضاً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال ابن الأثير: الحوراء هى الشديدة يياض العين الشديدة سوادها، وفى القاموس الحور بالتحريك أن يشتد يياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ماحو اليها أو شدة يياضها وسوادها فى يياض الجسد ، أو اسوداد العين كلها مثل الظباء ولا يكون فى بنى آدم بل يستعار لها، وإذا صح حديث أم سلمة لم يعدل فى القرآن عن تفسير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم •

﴿مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ ٧٢﴾ أى مخدرات يقال: امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة ملازمة لبيتها لا تطوف فى الطرق ، قال كثير عزة :

وأنت التى حببت كل قصيرة إلى ولم تشعر بذاك القصار

عنيت (قصيرات الحجال) ولم أرد قصار الخطا شر النساء البحائر

والنساء يمدحن بملازمتهم البيوت لدالاتها على صياتهن كما قال قيس بن الاسلت :

وتكسل عن جاراتها فيزرنها وتغفل عن أياتهن (فتعذر)

وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس . والحسن . والضحاك وهو رواية عن مجاهد، وأخرج ابن أبى شيبة . وهناد بن السرى . وابن جرير عنه أنه قال : (مقصورات) قلوبهن وأبصارهن ونفوسهن على أزواجهن ، والأول أظهر، و(فى الخيام) عليه متعلق بمقصورات ، وعلى الثانى يحتمل ذلك ، ويحتمل كونه صفة ثانية لحور فلا تغفل ، والخيام جمع خيمة - وهى على مافى البحر - بيت من خشب وثمام وسائر الحشيش، وإذا كان من شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة . وقال غير واحد: هى كل بيت مستدير أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلتقى عليها الثمام ويستظل بها فى الحر أو كل بيت يبنى من عيدان الشجر وتجمع أيضاً على خيمات وخيم بفتح فسكون وخيم بالفتح وكعنب - والخيام هنا بيوت من لؤلؤ - أخرج ابن أبى شيبة وجماعة عن ابن عباس أنه قال: الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وأخرج جماعة عن أبى الدرداء أنه قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در ، وأخرج البخارى . ومسلم . والترمذى . وغيرهم عن أبى موسى الاشعرى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلاً فى كل زاوية منها للؤ من

أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن، إلى ذلك من الأخبار، وقوله سبحانه: (فيهن) الخ دون ما تقدم في الجنتين السابقتين أعنى قوله عز وجل: (فيهن قاصرات الطرف) إلى قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) في المدح عند من فضلها على الأخيرتين قيل لما في (مقصورات) على التفسير الثاني من الإشعار بالقصر في القصر، وأما على تفسيره الأول فكونه دونه ظاهراً وإن لم يلاحظ كونها مخدرة فيما تقدم، أو يجعل قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) كناية عنه لانهما مما يصان كما قيل: * جوهرة أحقاقها الخدور * ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول: هذا أمدح لعموم (خيرات حسان) الصفات الحسنة خلصاً وخُلصاً ويدخل في ذلك قصر الطرف وغيره بما يدل عليه التشبيه بالياقوت والمرجان، والمراد بالقصر على التفسير الثاني لمقصورات القاصر الطبيعي بقرينة المقام فيكون فيه إشارة إلى تعذر ترك القصر منهن، و (قاصرات الطرف) ربما يؤم أن القصر باختيارهن فتى شئن قصرن ومتى لم يشأن لم يقصرن *

(فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَأُ تُكَذِّبَان ٧٣) وقوله تعالى: (لَمْ يَطْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٧٤) الكلام فيه كالكلام في نظيره (فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَأُ تُكَذِّبَان ٧٥) وقوله سبحانه: (مُتَكِّثِينَ) قيل: بتقدير يتنعمون متكثين أو أعنى متكثين، والضمير لاهل الجنتين المدلول عليهم بذكرهما (عَلَى رَفْرَفٍ) اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرقة، وعلى الوجهين يصح وصفه بقوله تعالى: (خُضِرَ) وجعله بعضهم جمعاً لهذا الوصف ولا يخفى أن أمر الوصفية لا يتوقف على ذلك الجعل، وفسره في الآية على كرم الله تعالى وجهه. وابن عباس: والضحاك بفضول المحابس وهي ما يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، وقال الجوهري: الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس واشتقاقه من رف إذا ارتفع، وقال الحسن: فيما أخرجه ابن المنذر وغيره عنه - هي البسط *

وأخرج عن عاصم الجحدري أنها الوسائد، وروى ذلك عن الحسن أيضاً. وابن كيسان. وقال الجاثي: الفرش المرتفعة، وقيل: ما تدلى من الأسرة من غالي الثياب، وقال الراغب: ضرب من الثياب مشبهة بالرياض، وأخرج ابن جرير. وجماعة عن سعيد بن جبير أنه قال: الرفرف رياض الجنة، وأخرج عبد بن حميد نحوه عن ابن عباس وهو عليه - كما في البحر - من رف التبت نعم وحسن، ويقال الرفرف لسكل ثوب عريض وللريق من ثياب الديباج ولاطراف الفسطاط والخباء الواقعة على الأرض دون الاطناب والواتاد، وظاهر كلام بعضهم أنه

قيل بهذا المعنى هنا وفيه شئ (وَعَبَقَرَى) هو منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل عجيب غريب من الفرش وغيرها فعناه الشئ العجيب النادر، ومنه ما جاء في عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه فلم أرى عبقرياً يفري فريه، ولتناسى تلك النسبة قيل: إنه ليس بمنسوب بل هو مثل كرمي وبختي كما نقل

عن قطرب، والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع وهو قوله تعالى: (حَسَّان ٧٦) حملاً على المعنى، وقيل: هو اسم جمع أو جمع واحده عبقرية، وفسره الأكثرون بعناق الزراني، وعن أبي عبيدة هو ما كله وشئ من البسط * وروى غير واحد عن مجاهد أنه الديباج الغليظ، وعن الحسن أنها بسط فيها صور وقد سمعت ما نقل عنه في الرفرف فلا تغفل عما يقتضيه العطف.

وقرأ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. ونصر بن عاصم الجحدري. ومالك بن دينار. وابن محيصن.

وزهير القرقي وغيرهم رفارف جمع لا ينصرف (حضر) يسكون الضاد ، وعباقرى بكسر القاف وفتح الياء مشددة ، وعنهم أيضا ضم الضاد ، وعنهم أيضا فتح القاف قاله صاحب اللوامح ، ثم قال أما منع الصرف من عباقرى . فلجأ ورته لرفارف يعنى للمشاطلة وإلا فلا وجه لمنع الصرف ، مع ياء النسب إلا في ضرورة الشعر انتهى * وقال ابن خالويه . قرأ - على رفارف خضر وعباقرى - النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، والجحدري . وابن محيصن ، وقد روى عن ذكرنا - على رفارف خضر وعباقرى - بالصرف ، وكذلك روى عن مالك بن دينار ، وقرأ أبو محمد . المروزي وكان نحويا - على رفارف خضر - بوزن فعال ، وقال صاحب الكامل : قرأ رفارف بالجمع ابن مصرف . وابن مقسم . وابن محيصن ، واختاره شبل . وأبو حيوة . والجحدري . والزعفراني وهو الاختيار لقوله تعالى : (خضر) ، وعباقرى بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابن مقسم . وابن محيصن ، وروى عنهما التنوين * وقال ابن عطية : قرأ زهير القرقي (١) رفارف بالجمع وترك الصرف ، وأبو طعمة المدني . وعاصم فيأروى عنه رفارف بالصرف . وعثمان رضى الله تعالى عنه كذلك ، وعباقرى بالجمع والصرف ، وعنه وعباقرى بفتح القاف والياء على أن اسم الموضع عباقر بفتح القاف ، والصحيح فيه عبقر ، وقال الزمخشري : قرىء عباقرى كدائني * وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته ، وقال الزجاج : هذه القراءة لا تخرج لها لان ماجاوز الثلاثة لا يجمع ياء النسب فلو جمعت عبقري قلت : عباقرة نحو مهالي ومهالبة ولا تقول مهالي * وقال ابن جني : أما ترك صرف عباقرى فشاذ في القياس ولا يستنكر شذوذه مع استعماله ، وقال ابن هشام : كونه من النسبة إلى الجمع كدائني باطل فان من قرأ بذلك قرأ رفارف خضر بقصد المجانسة ولو كان كما ذكر كان مفرداً ولا يصح منع صرفه كدائني وقد صححت الرواية بمنعه الصرف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من باب كرسى وكراسى وهو من صيغة منتهى الجموع لكنها خالفت القياس في زيادة ما بعد الألف على المعروف كما ذكره السهيلي ، وقال صاحب الكشف : فتح القاف لا وجه له بوجه والمذكور في المنتقى عن النبي ﷺ الكسر * وأما منع الصرف فليس بمتعين ليرد بل وجهه أنه نصب على محل رفرف على حد يذهبن في نجد وغوراً . وإضافته إلى (حسان) مثل إضافة حور إلى عين في قراءة عكرمة كأنه قيل : عباقرى مفارش ، أو تمارق حسان فهو من باب أخلاق ثياب لان أحد الوصفين قائم مقام الموصوف ، ولعل عبقر وعباقر مثل عرفة وعرفات انتهى ، فأحط بجوانب الكلام ولا تغفل ، وقرأ ابن هرمز (خضر) بضم الضاد وهى لغة قليلة ومن ذلك قول طرفة :

أيها القينات في مجلسنا جزدوا منها وراداً (وشقر)

وقول الآخر : وما انتميت إلى خود ولا (كشف) ولا لثام غداة الروع أو زاع

فشقر جمع أشقر ، وكشف جمع أكشف وهو من ينهزم في الحرب ، هذا الوصف بقوله تعالى . (متكئين على رفرف) الخ دون الوصف بقوله سبحانه : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) عند القائل بتفضيل الجنتين السابقتين لما في هذا الوصف من الإشارة إلى أن الظهائر مما يعجز عنها الوصف . ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول : الرفرف ما يطرح على ظهر الفراش وليست الفرش التي يطرح عليها الرفرف مذكورة فيجوز أن يكون ترك ذكرها للإشارة إلى عدم إحاطة الوصف بها ظهارة وبطانة وهو أبلغ من الأول ، ولا يسلم أن تلك الفرش هي العبقري ، أو يقول الرفرف الفرش المرتفعة وترك التعرض لسوى لونها وهو الخضرة التي ميل الطباع

(١) هكذا بقاين وقد مر بالفاء بعد الراء قاف ، وفي البحر القرقي بالعين المهملة تدبر

اليها أشدوهى جامعة لأصول الألوان الثلاثة على ما بينه الإمام يشير إلى أنها لا تتكاد تحيط بحقيقة عبارات؛ وقد يقال غير ذلك فتأمل، وينبغي على القول بتفضيل الأخيرتين وكونهما لطائفة غير الطائفة المشار اليهم بمن خاف أن لا يفسر من خاف بمن له شدة الخوف بحيث يختص بأفضل المؤمنين وأجلهم، أو يقال إنهما مع الأوليين لمن خاف مقام ربه ويكون المعنى (ولمن خاف مقام ربه) أيضاً (جنتان) صفتهم كيت وكيت من دون تينك الجنتين، وعليه قيل: (جنتان) عطف على (جنتان) قبله (ومن دونهما) في موضع الحال، وذهب بعضهم إلى أن هاتين الجنتين سواء كانتا أفضل من الأوليين أم لا لمن خاف مقام ربه عز وجل فله يوم القيامة أربع جنان. قال الطبرسي: والآخرتان دون الأوليين أى أقرب إلى قصره ومجالسه ليتضاءفله السرور بالنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك وهو أبعد عن الملل الذى طبع عليه البشر، وأنت تعلم أن الآية تحتل ذلك احتمالاً ظاهراً لكن ما تقدم من حديث أبى موسى رضى الله تعالى عنه ياباه فاذا صح ولو موقوفاً - إذ حكم مثله حكم المرفوع - لم يكن لنا العدول عما يقتضيه، وقد روى عنه أيضاً حديث مرفوع ذكره الجلال السيوطى فى الدر المنثور يشعر بأن الجنان الأربع هى جنان الفردوس.

وأخرج عنه أحمد. والبخارى. ومسلم. والترمذى. والنسائى. وابن ماجه. وغيرهم أنه قال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «جنان الفردوس أربع. جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما. وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن» والظاهر على هذا أنه يشترك الألوف فى الجنة الواحدة من هذه الجنان، ومعنى قوله تعالى: (ولمن خاف) الخ عليه بما لا يخفى، ثم إن قاصرات الطرف إن كن من الانس فهن أجل قدراً وأحسن منظراً من الحور الملقصورات فى الخيام بناماً على أنهن النساء المخلوقات فى الجنة.

فقد جاء من حديث أم سلمة «قلت يا رسول الله: أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير يبيض الوجوه خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقان ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً طوبى لمن كنا له وكان لنا» إلى غيره من الأخبار ويكون هذا مؤيداً للقول بتفضيل الجنتين الأوليين على الأخيرتين ولعله إنما قدم سبحانه ذكر الاتكاء أولاً على ذكر النساء لأنه عز وجل ذكر فى صدر الآية الخوف حيث قال سبحانه: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فناسب التعجيل بذكر ما يشعر بزواله إشعاراً ظاهراً وهو الاتكاء فإنه من شأن الآمنين، وآخر سبحانه ذكره ثانياً عن ذكرهن لعدم ما يستدعى التقديم وكونه بما يكون للرجل عادة بعد فراغ ذهنه عما يحتاجه المنزل من طعام وشراب وقينة تكون فيه، وإذا قلنا: إن الحور كالجوارى فى المنزل كان أمر التقديم والتأخير أوقع، وقال الامام فى ذلك: إن أهل الجنة ليس عليهم تعب وحركة فهم متنعمون دائماً لكن الناس فى الدنيا على أقسام منهم من يجتمع مع أهله اجتماع مستوفى وعند قضاء وطره يغتسل وينتشر فى الأرض للكسب، ومنهم من يكون متردداً فى طلب الكسب وعند تحصيله يرجع إلى أهله ويستريح عما لحقه من تعب قبل قضاء الوطر أو بعده فأنه عز وجل قال فى أهل الجنة: (متكئون) قبل اجتماعهم بأهاليهم متكئون بعد الاجتماع ليعلم أنهم دائمون على السكون، ولا يخفى أن هذا على ما فيه لا يحسم السؤال إذ لقائل

أن يقول لم يعكس أمر التقديم والتأخير في الموضوعين مع أنه يتضمن الإشارة إلى ذلك أيضاً، ثم ذكر في ذلك وجهاً ثانياً وهو على ما فيه مبنى على الماستند له فيه من الآثار فتدبر ﴿فَبَآئِيَآءَآءَ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ٤٧﴾ وقوله عز وجل : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في هذه السورة الكريمة من آياته جل شأنه الفائضة على الالام ، - فتبارك - بمعنى تعالى لأنه يكون بمعناه وهو أنسب بالوصف الآتي، وقد ورد في الاحاديث « تعالى اسمه » أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملة ما صدرت به السورة من اسم (الرحمن) المنبئ عن إفاضة الآلاء المفصلة ، وارتفع مما يليق بشأنه من الامور التي من جملةها وجود نعمائه وتكذيبها ، وإذا كان حال اسمه تعالى بملاسة دلالة عليه سبحانه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى ؟؟ *
وقيل : الاسم بمعنى الصفة لأنها علامة على موصوفها ، وقيل : هو مقحم كما في قول من قال : ثم اسم السلام عليكم ، وقيل : هو بمعنى المسمى ، وزعم بعضهم إن الأنسب بما قصد من هذه السورة الكريمة وهو تعدد الآلاء والنعم تفسير (تبارك) بكثرت خيراته ثم إنه لا بعد في إسناد هذا المعنى لاسمه تعالى إذ به يستمطر فيغاث ويستنصر فيعان ، وقوله سبحانه : ﴿ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٧٨ ﴾ صفة للرب ووصف جل وعلا بذلك تكميلاً لما ذكر من التنزيه والتقدير ، وقرأ ابن عامر . وأهل الشام - ذو - بالرفع على أنه وصف للاسم ووصفه بالجلال والاكرام بمعنى التكريم واضح *

هذا (ومن باب الإشارة) في بعض الآيات (الرحمن علم القرآن) إشارة إلى ما أودعه سبحانه في الأرواح الطيبة القدسية من العلوم الحقائقية الاجمالية عند استوائه عز وجل على عرش الرحمانية (خلق الانسان) الكامل الجامع (علمه البيان) وهو تفصيل تلك العلوم الاجمالية (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) (الشمس والقمر بحسبان) يشير إلى شمس النبوة وقرى الولاية النائرتين في فلك وجود الانسان بحساب التجليات ومراتب الاستعدادات ، و (النجم) القوى السفلية (والشجر) الاستعدادات العلوية (يسجدان) يتذللان بين يديه تعالى عند الرجوع إليه سبحانه (والسماء) سماء القوى الالهية القدسية (رفعها) فوق أرض البشرية (ووضع الميزان) القوة المميزة (أن لا تطغوا في الميزان) لا تتجاوزوا عند أخذ الحظوظ السفلية وإعطاء الحقوق العلوية *
وجوز أن يكون (الميزان) الشريعة المطهرة فإنها ميزان يعرف به الكامل من الناقص (والأرض) أرض البشرية (وضعها) بسطها وفرشها (للانام) للقوى الانسانية (فيها فاكهة) من فواكه معرفة الصفات الفعلية (والنخل ذات الأكام) وهى الشجرة الانسانية التى هى المظهر الأعظم وذات أطوار كل طور مستور بطور آخر (والحب) هو حب الحب المبذور في مزارع القلوب السليمة من الدغل (ذو العصف) أوراق المكاشفات (والريحان) ريحان المشاهدة (رب المشرقين ورب المغربين) رب مشرق شمس النبوة ومشرق قرى الولاية فى العالم الجسماني ورب مغربها فى العالم الروحاني (مرج البحرين) بحر سماء القوى العلوية وبحر أرض القوى السفلية (يلتقيان بينهما برزخ) حاجز القلب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أنواع أنوار الاسرار ونيران الاشواق (وله الجوار المنشآت) سفن الخواطر المسخرة فى بحر الانسان (كل من عليها فان) ماشم رائحة الوجود (ويبقى وجه ربك) الجهة التى تليه سبحانه وهى شئوانه عز وجل (ذو الجلال) أى الاستغناء التام عن جميع المظاهر (والاكرام) الفيض العام يفيض على القوابل حسبما استعدت له وسألته بلسان حالها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (يسأله من فى السموات

والارض) الخ ، واستدل الشيخ الاكبر محي الدين قدس سره بقوله سبحانه: (كل يوم هو في شأن) على شرف التلون ، وكذا استدل به على عدم بقاء الجوهر آئين ، وعلى هذا الطرز ما قيل في الآيات بعد ، وذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى: (فبأى آلاء ربكماتكذبان) قد ذكر إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها عقيب تعداد عجائب خلقه تعالى . وذكر المبدأ والمعاد ، وسبعة عقيب ذكر ما يشعر بالنار وأهوالها على عدد أبواب جهنم ، وثمانية في وصف الجنة الأولى ومثلها في وصف الجنة الثانية دونها على عدد أبواب الجنة فكأنه أشير بذلك إلى أن من اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الجنة من الله تعالى ووقاه جهنم ذات الأبواب السبعة ، والله تعالى أعلم بإشارات كتابه وحقائق خطابه ودقائق كلامه التي لا تحيط بها الأفهام وتبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام *

﴿ سورة الواقعة ﴾

﴿ مكية ﴾ كما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس : وابن مردويه عن ابن الزبير ، واستثنى بعضهم قوله تعالى: (ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين) كما حكاه في الاتقان وكذا استثنى قوله سبحانه: (فلا أقسم بمواقع النجوم) إلى (تكذبون) لما أخرجه مسلم في سبب نزوله وسيأتي إن شاء الله تعالى ، وفي مجمع البيان حكاية استثناء قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) عن ابن عباس . وقناة وعدد آياتها تسع وتسعون في الحجازي والشامي ، وسبع وتسعون في البصري ، وست وتسعون في الكوفي ، وتفصيل ذلك فيما أورد لمثله ، وهي وسورة الرحمن متواخية في أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار ، وقال في البحر : مناسبة لما قبلها أنه تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين ، وفاضل سبحانه بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض آخر منهم فانقسم المكلفون بذلك إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضل ، وعلى هذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشامة وسابقين ، وقال بعض الأجلة انظر إلى اتصال قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة) بقوله سبحانه: (فاذا انشقت السماء) وأنه اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة فذكر في كل شيء ، وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه ما في آخر تلك وفي آخر هذه ما في أول تلك فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن ، ثم ذكر الشمس والقمر ، ثم ذكر النبات ، ثم خلق الإنسان والجان ، ثم صفة يوم القيامة ، ثم صفة النار ، ثم صفة الجنة ، وهذه ابتدائها بذكر القيامة ، ثم صفة الجنة ، ثم صفة النار ؛ ثم خلق الإنسان ، ثم النبات ، ثم الماء ، ثم النار ، ثم ذكرت النجوم ولم تذكر في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ، ثم ذكر الميزان فكانت هذه كالمقابلة لتلك وكانت متضمنة لرد العجز على الصدر ، وجاء في فضلها آثار *

أخرج أبو عبيد في فضائله . وابن الضريس . والحريث بن أبي أسامة . وأبو يعلى . وابن مردويه . والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : « سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » . وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس نحوه مرفوعاً ، وأخرج ابن مردويه عن أنس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « سورة الواقعة سورة الغنى فاقروها وعلوها أولادكم » .

وأخرج الديلمي عنه مرفوعاً «علووا نسائم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى» *

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١) أي إذا حدثت القيامة على أن (وقعت) بمعنى حدثت و(الواقعة) علم بالغلبة أو منقول للقيامة، وصرح ابن عباس بأنها من أسمائها وسميت بذلك للايذان بتحقيق وقوعها لاحالة كآنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط فليس الاسناد كما في - جاني جاء - فانه لغو لدلالة كل فعل على فاعل له غير معين، وقال الضحاك: (الواقعة) الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل: (الواقعة) صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة وليس بشئ، و(إذا) ظرف متضمن معنى الشرط على ما هو الظاهر، والعامل فيها عند أبي حيان الفعل بعدها فهي عنده في موضع نصب - بوقعت - كسائر أسماء الشرط وليست مضافة إلى الجملة، والجمهور على إضافتها ف قيل: هي هنا قد سلبت الظرفية ووقعت مفعولاً به لا ذكر محذوفاً، وقيل: لم تسلب ذلك وهي منصوبة بليس، وصنيع الزمخشري يشعر باختياره * وقيل: بمحذوف وهو الجواب أي (إذا وقعت الواقعة) كان كيت وكيت، قال في الكشف: هذا الوجه العربي الجزل فالنصب باضمار اذكر إنما كثر في إذ، وبليس إنما يصح إذا جعلت لمجرد الظرفية وإلا لوجب الفاء في ليس، وأبو حيان تعقب النصب بليس بأنه لا يذهب اليه نحوي لأن ليس في النفي (ما) وهي لا تعمل، فكذا ليس فإنها مسلوقة للدلالة على الحدث والزمان، والقول: بأنها فعل على سبيل المجاز، والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث فيحدث فيها لا عمل لها فيه، ثم ذكر نحو ما ذكر صاحب الكشف من وجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد عن الشرطية؛ واعتراض دعواه أن (ما) لا تعمل بأنهم صرحوا بجواز تعلق الظرف بها لتأويلها باتني وأنه يكفي له راحة الفعل، ويقاس عليها في ذلك ليس، وكذا دعوى وجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد (إذا) عن الشرطية بأن لزوم الفاعل الجامدة إنما هو في جواب إن الشرطية لعملها كما صرحوا به. وأما (إذا) فدخول الفاء في جوابها على خلاف الأصل. وسيأتى إن شاء الله تعالى فيها قولان آخران، وبعد القيل والقال الأول كون العامل محذوفاً وهو الجواب كما سمعنا. وفي إبهامه تهويل وتقخير لأمر الواقعة * وقوله تعالى: (لَيْسَ لَوْقَعَتَهَا كَاذِبَةٌ ٢) إما اعتراض يؤكّد تحقيق الوقوع. أو حال من الواقعة كما قال ابن عطية، و(كاذبة) اسم فاعل وقع صفة لموصوف محذوف أي نفس، وقيل: مقالة والاول أولى لأن وصف الشخص بالكذب أكثر من وصف الخبر به. و(الواقعة) السقطة القوية وشاعت في وقوع الأمر العظيم وقد تخص بالحرب ولذا عبر بها هنا واللام للتوقيت مثلها في قولك: كتبتك لخمس خلون أي لا يكون حين وقوعها نفس كاذبة على معنى تكذب على الله تعالى وتكذب في تكذيبه سبحانه وتعالى في خبره بها، وإيضاحه أن منكر الساعة إلا أن مكذب له تعالى في أنها تقع وهو كاذب في تكذيبه سبحانه لانه خبر على خلاف الواقع وحين تقع لا يبقى كاذباً مكذباً، بل صادقاً مصداقاً، وقيل: على معنى ليس في وقت وقوعها نفس كاذبة في شئ من الأشياء، ولا يخفى أن صحته مبنية على القول بأنه لا يصدر من أحد كذب يوم القيامة؛ وأن قولهم: (والله ربنا ما كنا مشركين) مجاب عنه بما هو مذكور في محله أو اللام على حقيقتها، و(كاذبة) صفة لذلك المحذوف أيضاً أي (ليس لوقعتها) نفس كاذبة بمعنى لا ينكر وقوعها أحد ولا يقول للساعة لم تكن في لان الكون قد تحقق كما يقول لها في الدنيا بلسان القول أو الفعل لان من اغتر بزخارف الدنيا فقد كذب الساعة في وقتها (١٧ - ٢٧ - تفسير روح المعاني)

باسان الحال لن تسكوني، وهذا كما تقول لمخاطبك ليس لنا ملك ولمعروفك كاذب أى لا يكذبك أحد فيقول. إنه غير واقع، وفيه استعارة تمثيلية لان الساعة لا تصلح مخاطباً إلا على ذلك إما على سبيل التخيل من باب لو قيل: للشحج أين تذهب، وهو الاظهر وإما على التحقيق، وجوز كون (كاذبة) من قولهم كذبت نفسه وكذبتة إذا منته الأمانى وقربت له الامور البعيدة وشجعتة على مباشرة الخطب العظيم، واللام قيل: على حقيقتها أيضاً أى ليس لها إذا وقعت نفس تحدث صاحبها بطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها *

وفي الكشف إن اللام على هذا الوجه للتوقيت كما على الوجه الاول، وجوز أيضاً كون (كاذبة) مصدراً بمعنى التكذيب وهو التشييط وأمر اللام ظاهر أى ليس لوقعتها ارتداد ورجعة كالحملة الصادقة من ذى سطوة قاهرة، وروى نحوه عن الحسن. وقادة، وذكر أن حقيقة التكذيب بهذا المعنى راجعة إلى تكذيب النفس كذبها وإغرائها وتشجيعها وأنشد على ذلك لزهير:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا مالم يث (كذب عن أقرانه) صدقا

ويجوز جعل الكاذبة بمعنى الكذب على معنى ليس للوقعة كذب بل هى وقعة صادقة لا تطلق على نحو - حملة صادقة، وحملة لها صادق - أو على معنى ليس هى فى وقت وقوعها كذب لأنه حق لاشبهة فيه، ولعل ما ذكر أظهر مما تقدم وإن روى نحوه عن سمعت، نعم قيل: عليهما إن مجي المصدر على زنة الفاعل نادر، وقوله عز وجل:

﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ ٣ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين كما قال ابن عباس، وأخرجه عنه جماعة، والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها الخفض والرفع كما يشاهد فى تبدل الدول وظهور الفتن من ذل الأعزة وعز الأذلة، وتقديم الخفض على الرفع لتشديد التهويل، أو بيان لما يكون يؤمئذ من حط الاشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى درجات الجنات، وعلى هذا قول عمر رضى الله تعالى عنه: خفضت أعداء الله تعالى إلى النار ورفعت أولياءه إلى الجنة، أو بيان لما يكون من ذلك ومن إزالة الأجرام عن مقارها ونثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب، والضحاك بعد أن فسر الواقعة بالصيحة قال: خافضة تخفض قوتها لتسمع الأذن (رافعة) ترفها لتسمع الأقصى، وروى ذلك أيضاً عن ابن عباس. وعكرمة، وقدر أبو على المبتدأ مقروناً بالفاء أى فهى (خافضة) وجعل الجملة جواب إذا فكأنه قيل: (إذا وقعت الواقعة) خفضت قوماً ورفعت آخرين، وقرأ زيد بن على. والحسن. وعيسى. وأبو حيوة. وابن أبى عتبة. وابن مقسم. والزعفرانى. واليزيدى فى اختياره (خافضة رافعة) بنصبهما، ووجهه أن يجعلها حالين عن الواقعة على أن (ليس لوقعتها كاذبة) اعتراض أو حالين عن وقعها، وقوله سبحانه: ﴿ إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ ﴾ أى زلزلت وحركت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة - أو - رافعة.. على أنه من باب الأعمال، أو بدل من (إذا وقعت) كما قال به غير واحد، وقال ابن جنى. وأبو الفضل الرازى: (إذا رجت) فى موضع رفع على أنه خبر للببتدا الذى هو (إذا وقعت) وليست واحدة منهما شرطية بل هى بمعنى وقت أى وقت وقوعها وقت رج الأرض، وادعى ابن مالك أن (إذا) تكون مبتدأ، واستدل بهذه الآية، وقال أبو حيان: هو بدل من (إذا وقعت) وجواب الشرط عندى ملفوظ به وهو قوله تعالى: (فأصحاب الميمنة) والمعنى إذا كان كذا وكذا، فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يجازون به أى إن سعادتهم وعظم رتبهم

عند الله عز وجل تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم، وفيه بعد ﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ه﴾ أى فتت كما قال ابن عباس . ومجاهد حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لثته ، وقيل: سيقت وسيرت من أما كنها من بس الغنم إذا ساقها فهو كقوله تعالى: (وسيرت الجبال) *

وقرأ زيد بن علي (رجت، وبست) بالبناء للفاعل أى ارتجت وتفتتت ، وفي كلام هند بنت الحس تصف ناقة بما يستدل به على حملها - عنها حاج وصلها راج ، وهى تمشى وتفاج - ﴿فَكَانَتْ﴾ فصارت بسبب ذلك ﴿هَبَاءً﴾ غباراً ﴿مُنْبَثًّا ٦﴾ متفرقا ، والمراد مطلق الغبار عند الاكثرين ، وقال ابن عباس: هو ما يثور مع شعاع الشمس إذا دخلت من كوة ، وفي رواية أخرى عنه أنه الذى يطير من النار إذا اضطربت *

وقرأ النخعي - منبثاً - بالتاء المنطوقة بنقطتين من فوق من البت بمعنى القطع ، والمراد به ما ذكر من البت بالمثلثة ﴿وَكُنْتُمْ﴾ خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا كما ذهب اليه الكثير ، وقال بعضهم: خطاب للامة الحاضرة فقط، والظاهر إن - كان - أيضاً بمعنى صار أى وصرتم ﴿أَزْوَاجًا﴾ أى أصنافا ﴿ثَلَاثَةً ٧﴾ وكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج ، قال الراغب : الزوج يكون لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى فى الحيوانات المتزاوجة ولكل قرينين فيها ، وفى غيرها كالخف والنعل ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلة له أو مضادا ، وقوله تعالى :

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ٩﴾ تفصيل للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها ، والدائر على ألسنتهم أن أصحاب الميمنة مبتدأ ، وقوله تعالى : (ما أصحاب الميمنة) (ما) فيه استفهامية مبتدأ ثان . و (أصحاب) خبره ، والجملة خبر المبتدأ الاول والرابط الظاهر القائم مقام الضمير ، وكذا يقال فى قوله تعالى : (وأصحاب المشأمة) الخ ، والأصل فى الموضوعين ما هم ؟ أى أى شئ هم فى حالهم وصفتهم فان (ما) وإن شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد تطلب بها الصفة والحال كما تقول ما زيد ؟ فيقال : عالم ، أو طيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل فى المقصود وهو التفضيم فى الاول والتفطيع فى الثانى ، والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفضاعة كأنه قيل : (فأصحاب الميمنة) فى غاية حسن الحال (وأصحاب المشأمة) فى نهاية سوء الحال ، وقيل : جملة (ما أصحاب) خبر بتقدير القول على ما عرف فى الجملة الانشائية إذا وقعت خبراً أى مقول فى حقهم (ما أصحاب) الخ فلا حاجة إلى جعله من إقامة الظاهر مقام الضمير وفيه نظر ، و (الميمنة) ناحية اليمن ، أو اليمن والبركة ، (والمشأمة) ناحية الشمال من اليد الشؤمى وهى الشمال ، أو هى من الشؤم مقابل اليمن ، ورجح إرادة الناحية فيهما بأنها أوفق بما يأتى فى التفصيل ، واختلفوا فى الفريقين فقيل : أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية ، وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم باليمين وتشؤمهم بالشمال كما تسمع فى السانح والبارح ، وهو مجاز شائع ، وجوز أن يكون كناية ، وقيل : الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم ، وقيل : الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، وقيل : أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم ، فان السعداء يمين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء شمائلهم على أنفسهم

بمعاصيهم ، وروى هذا عن الحسن . والريح ، وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ هو الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة ، ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأصناف وأقدمهم في الفضل ليرد في ذكرهم بيان محاسن أحوالهم على أن يرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرض عن إحرازهم قصب السبق من جميع الوجوه .
واختلف في تعيينهم فقيل : هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعم وتوان ، وروى هذا عن عكرمة . ومقاتل ، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون . وحبيب النجار الذي ذكر في يس . وعلى بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه وكل رجل منهم سابق أمته وعلى أفضلهم ، وقيل : هم الذين سبقوا في حيازة السكالات من العلوم اليقينية ومراتب التقوى الواقعة بعد الإيمان ، وقيل : هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم مقدمو أهل الأديان ، وقال ابن سيرين : هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وعن ابن عباس هم السابقون إلى الهجرة ، وعن علي كرم الله تعالى وجهه هم السابقون إلى الصلوات الخمس ، وأخرج أبو نعيم . والدليل على أن ابن عباس مرفوعاً أول من يهجر إلى المسجد وآخر من يخرج منه .

وأخرج عبد بن حميد : وابن المنذر عن عبادة بن أبي سودة مولى عبادة بن الصامت قال : بلغنا أنهم السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله عز وجل ، وعن الضحاك هم السابقون إلى الجهاد ، وعن ابن جبير هم السابقون إلى التوبة وأعمال البر ، وقال كعب : هم أهل القرآن ، وفي البحر في الحديث « سئل عن السابقين فقال : هم الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كما حكمهم لانفسهم » ، وقيل : الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حادثة سنة ثم دام عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق ، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب اليمين ، ورجل ابتكر الشر في حادثة سنة ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ، وعن ابن كيسان أنهم المسارعون إلى كل ما دعا الله تعالى إليه ورجحه بعضهم بالعموم ، وجعل ما ذكر في أكثر الأقوال من باب التمثيل ، وأياً ما كان فالشائع أن الجملة مبتدأ وخبر والمعنى (والسابقون) هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت فضائلهم كقوله :

• أنا أبو النجم وشعري شعري • وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم ما لا يخفى ، وقيل متعلق السبق بخالف لمتعلق السبق الثاني أي السابقون إلى طاعة الله تعالى (السابقون) إلى رحمته سبحانه ، أو (السابقون) إلى الخير (السابقون) إلى الجنة ، والتقدير الأول محكى عن صاحب المرشد •

وأنت تعلم أن الحمل مفيد بدون ذلك كما سمعت بل هو أبلغ وأنسب بالمقام وأياً ما كان فقوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١٦ ﴾ ، مبتدأ وخبر والجملة استئناف يائي ، وقيل : (السابقون) السابق مبتدأ (والسابقون) اللاحق تأكيد له وما بعد خبر وليس بذاك أيضاً لفوات مقابلة ما ذكر لقوله تعالى : (فأصحاب) الخ ولأن القسمة لا تكون مستوفاة حينئذ ، ولفوات المبالغة المفهومة من نحو هذا التركيب على ما سمعت مع أنهم أعنى السابقين أحق بالمدح والتعجيب من حالهم من السابقين ولفوات ما في الاستئناف بأولئك المقربون من الفخامة وإنما يقل - السابقون ما السابقون - على منوال الأولين لأنه جعل أمرهم وأمرهم غامضاً مستقلاً في المدح والتعجيب ، والإشارة بأولئك إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ،

و(المقربون) من القربة بمعنى الخطوة أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل الذين أنيلوا خطوة ومكانة عند الله تعالى ، وقال غير واحد : المراد الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم .
هذا وفى الارشاد الذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى : (فأصحاب الميمنة) خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله سبحانه : (وأصحاب المشأمة) وقوله جل شأنه : (والسابقون) فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الاقسام الثلاثة بيان أنفس الاقسام .

وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها ، والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة ، والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كلامهما بجملة معترضة بين القسمين منبهة عن ترمى أحوالهما فى الخير والشر إناباً إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلاً مترقباً لكن لا على أن (ما) الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيديوه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الافادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيد كونه (ما) خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيد كونهما مبتدأ وكذا الحال فى (ما أصحاب المشأمة) ، وأما القسم الأخير فحيث قرن به بيان محاسن أحواله لم يحتج فيه إلى تقديم الأنموذج فقوله تعالى : (السابقون) مبتدأ والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم و (أولئك) مبتدأ ثان ، أو بدل من الاول وما بعده خبر له ، أو للثانى ، والجملة خبر للاول انتهى ، وقيل عليه : إنه ليس فى جعل جملى الاستفهام وقوله سبحانه : (السابقون) إخباراً لما قبلها بيان لأوصاف الاقسام وأحوالها تفصيلاً حتى يقال : حقها أن تبين بعد أنفس الاقسام بل فيه بيان الاقسام مع إشارة إلى ترمى أحوالها فى الخير والشر والتعجب من ذلك .

وأيضاً مقتضى ما ذكره أن لا يذكر (ما أصحاب اليمين) و (ما أصحاب الشمال) فى التفصيل ، وتعقب هذا بأن الذكر محتاج إلى بيان نكتة على الوجه الدائر على ألسنتهم كاحتياجه إليه على هذا الوجه ، ولعلها عليه أنه لما عقب الأولين بما يشعر بأن لأحوال كل تفاصيل مترتبة أعيد ذلك للاعلام بأن الأحوال العجيبة هى هذه فلتسمع ، والذى يتبادر للنظر الجليل ما فى الارشاد من كون أصحاب الميمنة وكذا كل من الآخرين خبر مبتدأ محذوف كما سمعت لأن المتبادر بعد بيان الانقسام ذكر نفس الاقسام على أن تكون هى المقصودة أولاً وبالذات دون الحكم عليها وبيان أحوالها مطلقاً وإن تضمن ذلك ذكرها لكن ما ذكره أبعد مغزى ومع هذا لا يتعين على ما ذكر كون تينك الجملتين الاستفهاميتين معترضتين بل يجوز أن يكون كل منهما صفة لما قبلها بتقدير القول كأنه قيل : فأحدها أصحاب الميمنة المقول فيهم (ما أصحاب الميمنة) وكذا يقال فى (وأصحاب المشأمة) الخ ، ويجعل أيضاً (السابقون) صفة - للسابقون - قبله ، والتأويل فى الوصفية كالتأويل فى الخبرية ويكون الوصف بذلك قائماً مقام تينك الجملتين فى المدح ، والجملة بعد مستأنفة استئنافاً بيانياً كما فى الوجه الشائع ، وما يقال : إن فى هذا الوجه حذف الموصول مع بعض أجزاء الصلة يحجب عنه بمنع كون - آل - فى الوصف حيث لم يرد منه الحدوث موصولة فتأمل ولا تغفل ، وقوله تعالى : (فى جنات النعيم ١٢) متعلق بالمقربون ، أو بمضمحل هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم ، وعلى الوجهين فيه إشارة إلى أن قربهم محض لذة وراحة لا كقرب خواص الملك القائمين بأشغاله عنده بل كقرب جلسائه وندمائته الذين لا شغل لهم ولا يرد عليهم أمر ، وأنهى ولذا قيل : (فى جنات النعيم) دون جنات الخلود ونحوه ، وقيل : خبر ثان لاسم الإشارة وتعقب بأن الاخبار

بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقرين ليس فيه مزيد مزية ، وأجيب بأن الاخبار الاول للاشارة إلى اللذة الروحانية والاخبار الثاني للاشارة إلى اللذة الجسدية .

وقرأ طلحة في جنة النعيم بالافراد ، وقوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٣﴾ خبر مبتدا مقدر أى هم ثلثة الخ ، وجوز كونه مبتداً خبره محذوف أى منهم ، أو خبراً أولاً أو ثانياً - لأولئك - وجوز أبو البقاء كونه مبتداً والخبر (على سرر) ، وثلثة في المشهور الجماعة كثرت أو قلت ، وقال الزمخشري : الأمة من الناس الكثيرة وأنشد قوله :

وجاءت اليهم (ثلثة) خندفية (بجيش كتيار من السيل مزيد)

وقوله تعالى بعد : (وقليل) الخ كفى به دليلاً على الكثرة انتهى ، والظاهر أنه أنشد البيت شاهداً لمعنى الكثرة في الثلثة فإن كانت الباء تجريدية وهو الظاهر فنص وإلا فلا استدلال عليها من أن المقام مقام مبالغة ومدح ، وأما استدلاله بما بعد فذلك لان التقابل مطلوب لان الثلثة لم توضع للقليل بالاجماع حتى يحمل ما بعد على التفنن بل هي إما للكثرة والاشتقاق عليها أدل لان الثل بمعنى الصب وبمعنى الهدم بالكلية ، والثلثة بالكسر الضأن الكثيرة وإما لمطلق الجماعة كالفرقة والقطعة من الثل بمعنى الكسر كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم إلا أن الاستعمال غلب على الكثير فيها فالمعنى جماعة كثيرة من الاولين وهم الناس المتقدمون من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام ﴿وَقَالُوا هَذَا آخِرِينَ ١٤﴾ وهم الناس من لدن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم إلى قيام الساعة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام : «إن أمتي يكثرون سائر الأمم» أى يغلبونهم في الكثرة لان أ كثرية سابقى المتقدمين من سابقى هذه الأمة لاتمنع أ كثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك •

وحاصل ذلك غلبة مجموع هذه الأمة كثرة على من سواها كقرية فيها عشرة من العلماء ومائة من العوام وأخرى فيها خمسة من العلماء وألف من العوام فخواص الاول أكثر من خواص الثانية وعوام الثانية وبمجموع أهلها أضعاف أولئك ، لا يقال يأتى أ كثرية تابعى هؤلاء قوله تعالى : (ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين) فانه في حق أصحاب البين وهم التابعون ، وقد عبر في كل بالثلثة أى الجماعة الكثيرة لاننا نقول لادلالة في الآية على أكثر من وصف كل من الفريقين بالكثرة وذلك لا ينافى أ كثرية أحدهما فتحصل أن سابقى الأمم السوالم أكثر من سابقى أمتنا وتابعى أمتنا أكثر من تابعى الأمم ، والمراد بالأمم ما يدخل فيه الانبياء وحينئذ لا يبعد أن يقال : إن كثرة سابقى الاولين ليس إلا بأنبيائهم فما على سابقى هذه الأمة بأس إذ أكثرهم سابقو الأمم بضم الانبياء عليهم السلام ، وأخرج الامام أحمد . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . وابن مردويه عن أبي هريرة قال : « لما نزلت (ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت (ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين) فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة بل أتم نصف أهل الجنة - أو شطر أهل الجنة - وتقاسمونهم النصف الثاني » وظاهره أنه شق عليهم قلة من وصف بها وأن الآية الثانية أزال ذلك ورفعته وأبدلته بالكثرة ، ويدل على ذلك ما أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين) حزن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وقالوا إذا لا يكون من أمة محمد ﷺ إلا قليل فنزلت نصف النهار (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) فنسخت (وقليل من الآخرين) وأبى ذلك الزمخشري فقال: إن الرواية غير صحيحة لأميرين: أحدهما أن الآية الاولى واردة في السابقين، والثانية في أصحاب اليمين، والثاني أن النسخ في الاخبار غير جائز فإذا أخبر تعالى عنهم بالقلّة لم يحز أن يخبر عنهم بالكثرة من ذلك الوجه وما ذكر من عدم جواز النسخ في الاخبار أى في مدلولها مطلقاً هو المختار * وقيل: يجوز النسخ في المتغير إن كان عن مستقبل لجواز المحو لله تعالى فيما يقدره والاخبار يتبعه، وعلى هذا البيضاوى، وقيل: يجوز عن الماضى أيضاً وعليه الامام الرازى. والامدى، وأما نسخ مدلول الخبر إذا كان مما لا يتغير كوجود الصانع وحدث العالم فلا يجوز اتفاقاً فإن كان مانحاً فيه مما يتغير فنسخه جائز عند البيضاوى ويوافقه ظاهر خبر أبى هريرة الثانى، ولا يجوز على المختار الذى عليه الشافعى وغيره فقول صاحب الكشف: لا خلاف في عدم جواز النسخ في مثل ما ذكر من الخبر إذ لا يتضمن حكماً شرعياً لا يخلو عن شئ * وأقول: قد يتعقب ما ذكره الزمخشري بأن الحديث قد صح وورود الآية الاولى في السابقين والثانية في أصحاب اليمين لا يرد مقتضاه فانه يجوز أن يقال: إن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لما سمعوا الآية الاولى حسبوا أن الامر في هذه الأمة يذهب على هذا النهج فيكون أصحاب اليمين ثلة من الاولين وقليلاً منهم فيكثرهم الفائزون بالجنة من الامم السوالف فحزنوا لذلك فنزل قوله تعالى في أصحاب اليمين: (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال مما أذهب به حزنهم وليس في هذا نسخ للخبر كما لا يخفى *

وقول أبى هريرة فنسخت (وقليل من الآخرين) إن صح عنه ينبغي تأويله بأن يقال أراد به فأزالت حساباً أن يذكر نحوه في الفائزين بالجنة من هذه الأمة غير السابقين فتدبر، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها: الفرقتان أى في قوله تعالى: (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) في أمة كل نبي في صدرها ثلة وفي آخرها قليل، وقيل: هما من الانبياء عليهم السلام كانوا في صدر الدنيا كثيرين وفي آخرها قليلين *

وقال أبو حيان: جاء في الحديث - الفرقتان في أمتي فسابق أول الأمة ثلة وسابق سائرهما إلى يوم القيامة قليل - انتهى، وجاء في فرقتي أصحاب اليمين نحو ذلك، أخرج مسدد في مسنده. وابن المنذر. والطبرانى. وابن مردويه بسند حسن عن أبى بكرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله سبحانه: (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) قال: هما جميعاً من هذه الأمة، وأخرج جماعة بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً ما لفظه هما جميعاً من أمتي؛ وعلى هذا يكون الخطاب في قوله عز وجل: (وكنتم أزواجا ثلاثة) لهذه الأمة فقط ﴿على سرر موضونة﴾ حال من المقربين أو من ضميرهم في قوله تعالى: (في جنات النعيم)

بناءً على أنه في موضع الحال كما تقدم، وقيل: هو خبر آخر للضمير المحذوف المخبر عنه أولاً - ثلة - وفيه وجه آخر أشرنا اليه فيما مر، (وموضونة) من الوضن وهو نسج الدرع قال الاعشى:
ومن (نسج داود) موضونة تسير مع الحى غيراً فغيراً

واستعير لمطلق النسج أو لنسج محكم مخصوص، ومن ذلك وضين الناقة وهو حزامها لأنه موضون أى مفتول؛ والمراد هنا على ما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس مرمولة أى منسوجة بالذهب، وفي رواية عنه بقضبان الفضة، وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت، وقيل: (موضونة) متصل بعضها ببعض كخلق الدرع، والمراد بمقاربة، وقرأ زيد بن على. وأبو السمال (سرر) بفتح الراء وهى لغة لبعض تميم، وطلب يفتحون

عين فعل جمع فاعيل المضعف نحو سرير ﴿مُتَكِينَيْنِ عَلَيْهِمَا﴾ حال من الضمير المستقر في الجار والمجرور أعني على سرر ، وقوله تعالى : ﴿مُتَقَبِّلِينَ ١٦﴾ حال منه أيضاً ولك أن تعتبر الحالين متداخلين *
والمراد كما قال مجاهد : لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق ورعاية الآداب وصفاء البواطن ، وقوله تعالى : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة ﴿وَلَدَانُ مَخْلُودُونَ ١٧﴾ أى مبقون أبداً على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عن ذلك ، وإلا فكل أهل الجنة مخلد لا يموت ، وقال الفراء . وابن جبير : مقرطون بخلة وهى ضرب من الاقراط قيل : هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ، وروى هذا أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، وعن الحسن البصرى - واشتهر أنه عليه الصلاة والسلام - قال : أولاد الكفار خدم أهل الجنة - وذكر الطيبي أنه لم يصح بل صح ما دفعه : أخرج البخارى : وأبو داود . والنسائي عن عائشة قالت : توفي صبي فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : أو لا تدريين أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً ، وفى رواية خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم *
وأخرج أبو داود عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله ذرارى المؤمنين فقال من آبائهم فقلت : يا رسول الله بلا عمل قال : الله أعلم بما كانوا عاملين قلت : يا رسول الله فذرارى المشركين قال : من آبائهم فقلت : بلا عمل قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، وقيل : إنهم يمتحنون يوم القيامة فتخرج لهم نار ويومرون بالدخول فيها فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً وأدخل الجنة ، ومن أبى أدخل النار مع سائر الكفار ويروون فى ذلك أثرأه
ومن الغريب ما قيل : إنهم بعد الاعادة يكونون تراباً كآلهاثم ، وفى الكشف الاحاديث متعارضة فى المسألة وكذلك المذاهب ، والمسألة ظنية والعلم عند الله تعالى وهو عز وجل أعلم انتهى ؛ والاكثر على دخولهم الجنة بفضل الله تعالى ومزيد رحمته تبارك وتعالى ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تمام الكلام فى ذلك ﴿بِأَكْوَافٍ﴾ بآنية لا عرا لها ولا خراطيم ، والظاهر أنها الاقداح وبذلك فسرها عكرمة وهى جمع كوب ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع إبريق وهو إناء له خرطوم قيل : وعروة ، وفى البحر أنه من أوانى الخمر ، وأنشد قول عدى بن زيد :

ودعوا بالصبح يوماً فجاءت فى (قينة يمينها إبريق)

وفيه أيضاً أنه لإفعيل من البريق ، وذكر غير واحد أنه معرب - آب ريزاى - صاب الماء وهو أنسب بما فى بعض نسخ القاموس أنه معرب - آب رى - بلا زى ، وأياً ما كان فهو ليس مأخوذاً من البريق ، نعم الإبريق بمعنى المرأة الحسنة البراقة والسيف البراق والقوس فيها تلاميذ مأخوذ من ذلك ، ولعله يقول بأنه عربى لا معرب ، وأن البريق مافيه من الخمر والشعراء يصفونها بذلك كقوله :

(مشعشة) كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

أولانه غالباً يتخذ بما له نوع برق كالبلوز والفضة ﴿وَكَأْسٌ مِّنْ مَّعِينٍ ١٨﴾ أى خمر جارية من العيون كما قال ابن عباس . وقناة أى لم يعصر كحمر الدنيا ، وقيل : خمر ظاهرة للعيون مرئية بها لأنها كذلك أهناً ، وأفرد الكأس على ما قيل لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة ﴿لَّا يَصْذَعُونَ عَلَيْهَا﴾ أى بسببها وحقيقته

لا يصدر صداعهم عنها ، والمراد أنهم لا يلحقهم صداع لأجل خمار يحصل منها كما في خمر الدنيا ، وقيل : لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق *
 وقرأ مجاهد (لا يصدعون) بفتح الياء وشد الصاد على أن أصله يتصدعون فأدغم التاء في الصاد أي لا يفرقون كقوله تعالى : (يومئذ يصدعون) ، وقرأ (لا يصدعون) بفتح الياء والتخفيف أي لا يصدع بعضهم بعضاً ولا يفرقونهم أي لا يجلس داخل منهم بين اثنين فيفرق بين المتقاربين فإنه سواء الأدب وليس من حسن العشرة ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ ١٩﴾ قال مجاهد وقتادة . والضحاك : لا تذهب عقولهم بسكرها من نزف الشارب كغنى إذا ذهب عقله ، ويقال للسكران نزيف ومنزوف ، قيل : وهو من نزف الماء نزحه من البئر شيئاً فشيئاً فكان الكلام على تقدير مضاف *
 وقرأ ابن أبي إسحق . وعبد الله . والسلي . والجحدري . والاعمش وطلحة . وعيسى . وعاصم كما أخرج عنه عبد بن حميد (ولا ينزفون) بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه ، ومعناه صار ذا نزف ؛ ونظيره أقشع السراب وقشعته الريح وحقيقته دخل في القشع ، وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً (ولا ينزفون) بفتح الياء وكسر الزاي قال : في المجمع وهو محمول على أنه لا يفنى خمرهم ، والتناسب بين الجملتين على ما سمعت فيهما أولاً على قراءة الجمهور أن الأولى لبيان نفي الضرر عن الاجسام ، والثانية لبيان نفي الضرر عن العقول وتأمل لتعرفه إن شاء الله تعالى على ما عدا ذلك ﴿وَفَاكِهَةً مَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ أي يأخذون خيره وأفضله والمراد مما يرضونه ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مَّا يَشْتَهُونَ ٢١﴾ مما تميل نفوسهم اليه وترغب فيه ، والظاهر أن فاكهة ولحم معطوفان على أكواف فتفيد الآية أن الولدان يطوفون بهما عليهم ، واستشكل بأنه قد جاء في الآثار أن فاكهة الجنة وثمارها ينالها القائم والقاعد والنائم ، وعن مجاهد أنها دانية من أربابها فيتناولونها متكئين فاذا اضطجعوا نزلت يازاء أفواهم فيتناولونها مضطجعين ، وأن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطير من طيور الجنة فيقع في يده مقلباً نضجاً ، وقد أخرج هذا ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة *
 وأخرج عن ميمونة مرفوعاً أن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجئ مثل البخني حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فياً كل منه حتى يشبع ثم يطير إلى غير ذلك ، وإذا كان الأمر كما ذكر استغنى عن طوافهم بالفاكهة واللحم ، وأجيب بأن ذلك - والله تعالى أعلم - حالة الاجتماع والشرب ، ويفعلون ذلك للاكرام ومزيد المحبة والتعظيم والاحترام ، وهذا كما يتناول أحد الجلوس على خوان الآخر بعض ما عليه من الفواكه ونحوها وإن كان ذلك قريباً منه اعتناءً بشأنه وإظهاراً لمحبة والاحتفال به ، وجوز أن يكون العطف على جنات النعيم وهو من باب - متقلداً سيفاً ورمحاً - أو من باب المعروف ، وتقديم الفاكهة على اللحم للإشارة إلى أنهم ليسوا بحالة تقتضي تقديم اللحم كما في الجائع فإن حاجته إلى اللحم أشد من حاجته إلى الفاكهة بل هم بحالة تقتضي تقديم الفاكهة واختيارها كما في الشبعان فإنه إلى الفاكهة أميل منه إلى اللحم ، وجوز أن يكون ذلك لأن عادة أهل الدنيا لا سيما أهل الشرب منهم تقديم الفاكهة في الأكل وهو طباً مستحسن لأنها ألطف وأسرع انحذاراً وأقل احتياجاً إلى المكث في المعدة للهضم ، وقد ذكروا أن أحد أسباب الهیضة إدخال اللطيف من الطعام على الكثيف منه ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها غالباً *

ويعلم من الوجه الأول وجه تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتياها باللحم ، وفيه إشارة إلى أن الفاكهة

لم تزل حاضرة عندهم وبمراى منهم دون اللحم ووجه ذلك أنها مما تلهه الاعين دونه ، وقيل : وجه التخصيص كثرة أنواع الفاكهه واختلاف طعومها وألوانها وأشكالها وعدم كون اللحم كذلك ، وفي التعبير بـ «يختارون» دون يختارون وإن تقار بامعنى إشارة لمكان صيغة الفعل إلى أنهم يأخذون ما يكون منها فى نهاية السكال وأنهم فى غاية الغنى عنها، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۚ ٢٢ ﴾ عطف على (ولدان) أو على الضمير المستكن فى (متكئين) أو على مبتدا حذف هو وخبره أى لهم هذا كل (و حور) أو مبتداً حذف خبره أى لهم ، أو فيها حور ، وتعقب الوجه الأول بأن الطواف لا يناسب حالهن ، وأجيب بأنه لا يبعد أن يكون من الحور ما ليس بمقصورات فى الخيام ولا مخدرات هن كالخدم لهن لا يبالى بطوافهن ولا ينكر ذلك عليهن ، وأن الطواف فى الخيام أنفسها وهو لا ينافى كونهن مقصورات فيها ، أو أن العطف على معنى لهم (ولدان، و حور) والثانى بأنه خلاف الظاهر جداً ، والثالث بكثرة الحذف ، و (عين) جمع عينا وأصله عين على فعل كما تقول حمراء وحر فكسرت العين لثلاثا تنقلب الياء واواً ، وليس فى كلام العرب ياء ساكنة قبلها ضمة كما أنه ليس فيه واو ساكنة قبلها كسرة

وقرأ السلى . والحسن . وعمرو بن عبيد . وأبو جعفر . وشيبة . والاعمش . وطلحة والمفضل . وأبان . وعصمة عن عاصم . وحزمة . والكسائى (و حور عين) بالجر ، وقرأ النخعى كذلك إلا أنه قلب الواو ياءاً والضممة قبلها كسرة فى (حور) فقال : وخير على الاتباع - لعين - وخرج على العطف على (جنات النعيم) وفيه مضاف محذوف كأنه قيل : هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور على تشبيه مصاحبة الحور بالظرف على نهج الاستعارة الممكنة ، وقرينتها التخيلية لإثبات معنى الظرفية بكلمة (فى) فهى باقية على معناها الحقيقى ولا جمع بين الحقيقة والمجاز ، وذهب إلى العطف المذكور الزمخشري ، وتعقبه أبو حيان فقال : فيه بعد وتفديك كلام مرتبط بعبءه ببعض ، وهو فهم أعجمى - وليس كما قال كما لا يخفى - أو على (ألوأب) ويجعل من باب - متقدماً سفيماً ورخاً - كما سمعت آتفاً كأنه قيل : ينعمون بألوأب وبحور ، وجوز أن يبقى على ظاهره المعروف ، وأن الولدان يطوفون عليهم بالحور أيضاً لعارض أنواع اللذات عليهم من الماء كولو والمشروب والمنسكوح كما تاتى الخدام بالسرارى للملوك ويعرضون عليهم ، وإلى هذا ذهب أبو عمر . وقطرب ، وأنى ذلك صاحب الكشف فقال : أما العطف على الولدان على الظاهر فلا لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالألوأب ، والقلب إلى هذا أميل إلا أن يكون هناك أثر يدل على خلافه ، وكون الجر للجوار ياباه الفصل أو يضعفه . وقرأ أبى . وعبد الله - و حوراً عيناً - بالنصب ، وخرج على العطف على محل (بألوأب) لأن المعنى يعطون ألوأباً و حوراً على أنه مفعول به محذوف أى يعطون حوراً أو على العطف على محذوف وقع مفعولاً به لمحذوف أيضاً أى يعطون هذا كله و حوراً ، وقرأ قتادة (و حور) بالرفع مضافاً إلى (عين) ، وابن مقسم (و حور) بالنصب مضافاً ، وعكرمة - و حوراء عينا - على التوحيد اسم جنس وفتح الهمزة فيهما فاحتمل الجر والنصب ﴿ كَأَمْثَلِ الثَّوَالِثِ الْمَكُونِ ٢٣ ﴾ أى فى الصفاء ، وقيد بالممكنون أى المستور بما يحفظه لانه أصفى وأبعد من التغير ، وفى الحديث صفاءهن كصفاء الدر الذى لا تمسه الأيدى ، ووصف الحسنات بذلك شائع فى العرب ، ومنه قوله :

قامت تراءى بين سجنى كانه كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

أودرة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد
والجار والمجرور في موضع الصفة لحور ، أو الحال، والأتیان بالكاف للبالغة في التشبيه ، ولعل الأمر عليه
نحو زيد قمر ﴿جَزَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ مفعول له لفعل محذوف أى يفعل بهم ذلك كله جزاءاً بأعمالهم
أو بالذى استمروا على عمله أو هو مصدر مؤكد أى يحزون جزاء ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهِ لَغَوًّا﴾ ما لا يعتد به من
الكلام وهو الذى يورد لاعتن روية وفكر فيجربى مجرى اللغا - وهو صوت العصافير ونحوها من الطير - وقد
يسمى كل كلام قبيح لغواً ﴿وَلَا تَأْتِيَمًا ٢٥﴾ أى ولانسبة إلى الأثم أى لا يقال لهم أثمتم ، وعن ابن عباس
كما أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم تفسيره بالكذب ، وأخرجه هناد عن الضحاك - وهو من المجاز كما
لا يخفى - والكلام من باب ٥

• ولا ترى الضب بها ينحجر • ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أى قولاً فهو مصدر مثله ﴿سَلَامًا سَلَامًا ٢٦﴾ بدل من
(قيلاً) كقوله تعالى: (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً) وقال الزجاج : هو صفة له بتأويله بالمشتق أى سالماً
من هذه العيوب أو مفعوله ، والمراد لفظه فلذا جاز وقوعه مفعولاً للقول مع إفراده ، والمعنى إلا أن يقول
بعضهم لبعض (سلاماً) ، وقيل : هو مصدر لفعل مقدر من لفظه وهو مقول القول ومفعوله حينئذ أى نسلم سلاماً ،
والتكثير للدلالة على فشوا السلام وكثرته فيما بينهم لان المراد سلاماً بعد سلام ، والاستثناء منقطع وهو من تأكيد
المدح بما يشبه الذم محتمل لأن يكون من الضرب الأول منه ، وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح
له بتقدير دخولها فيها بأن يقدر السلام هنا داخلاً فيما قبل فيفيد التأكيد من وجهين ، وأن يكون من الضرب الثانى منه
وهو أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى بأن لا يقدر ذلك ، ويجعل الاستثناء من أصله
منقطعاً فيفيد التأكيد من وجه ، ولو لا ذكر التأثيم - على ما قاله السعد - جاز جعل الاستثناء متصلاً حقيقة لان معنى
السلام الدعاء بالسلامة وأهل الجنة أغنياء عن ذلك فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة
الأكرام ، وإنما منع التأثيم الذى هو النسبة إلى الأثم لأنه لا يمكن جعل السلام من قبيله وليس لك فى الكلام
أن تذكر متعددين ثم تأتى بالاستثناء المتصل من الاول مثل أن تقول : ما جاء من رجل ولا امرأة إلا زيدا
ولو قصدت ذلك كان الواجب أن تؤخر ذكر الرجل ، وقرئ - سلام سلام - بالرفع على الحكاية ، وقوله تعالى :
﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ الخ شروع في بيان تفاصيل شئونهم بعد بيان تفاصيل شئون السابقين (وأصحاب) مبتدأ وقوله :
﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ٢٧﴾ جملة استفهامية مشعرة بتفخيمهم والتعجب من حالهم وهى على ما قالوا : إما خبر
للمبتدأ ، وقوله سبحانه : ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خبر ثان له ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هم فى سدر ، والجملة
استئناف لبيان ما لبهم فى قوله عز وجل : (ما أصحاب اليمين) من علو الشأن ، وإما معترضة والخبر هو قوله
تعالى شأنه : (فى سدر) وجوز أن تكون تلك الجملة فى موضع الصفة والخبر هو هذا الجار والمجرور ، والجملة
عطف على قوله تبارك وتعالى فى شرح أحوال السابقين : (أولئك المقربون فى جنات النعيم) أى (وأصحاب
اليمين) المقول فيهم (ما أصحاب اليمين) كائون (فى سدر) الخ ، والظاهر أن التعبير بالميمنة فيما مر ، وباليمين
هنا للتفني وكذا يقال فى المشأمة والشمال فيما بعد ، وقال الامام : الحكمة فى ذلك أن فى الميمنة وكذا المشأمة

دلالة على الموضع والمكان والازواج الثلاثة في أول الامر يتميز بعضهم عن بعض ويتفرون بالمكان فلذا جرى أولاً بلفظ يدل على المكان وفيما بعد يكون التميز والتفريق بأمر فيهم فلذا لم يوث بذلك اللفظ ثانياً، والسدر شجر النبق، والمخضود الذي خضد أى قطع شوكة، أخرج الحاكم وصححه . والبيهقي عن أبي أمامة قال: « كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون إن الله تعالى ينفعنا بالآعراب ومساائلهم أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال: وما هي؟ قال: السدر فان له شوكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أليس الله يقول: (في سدر مخضود) خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة وأن الثمرة من ثمره تفتق عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر * » وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس . وقتادة . وعكرمة . والضحاك أنه الموقر حملا على أنه من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب فمخضود مثني الاغصان كنى به عن كثير الحمل * »

وقد أخرج ابن المنذر عن يزيد الرقاشي أن النبق أعظم من القلال والظرفية مجازية للبالغة في تمكنهم من التمتع والارتفاع بما ذكر ((وَطَلَحَ مَنُضُودٌ)) قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز كما أخرج ذلك عبد الرزاق . وهناد . وعبد بن حميد . وابن جرير . وابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه ، وأخرجه جماعة من طرق عن ابن عباس ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري . وعبد بن حميد عن الحسن ، ومجاهد . وقتادة ، وعن الحسن أنه قال: ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب ، وقال السدي: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل ، وقيل: هو شجر من عظام العضاء ، وقيل: شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة ((وَظَلَّ مَدُودٌ)) متمد منبسط لا يتقاص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وظاهر الآثار يقتضي أنه ظل الاشجار * »

أخرج أحمد . والبخاري . ومسلم . والترمذي . وابن ماجه . وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أقرموا إن شئتم (وظل ممدود) » * » وأخرج أحمد . والبخاري . ومسلم . والترمذي . وابن مردويه . عن أبي سعيد قال: « قال رسول الله ﷺ: في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وذلك الظل الممدود » * »

وأخرج ابن أبي حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام يخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ويدكر لهو الدنيا فيرسل الله تعالى ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا ، وعن مجاهد أنه قال: هذا الظل من سدرها وطلحها، وأخرج عبد بن حميد . وابن جرير . وابن المنذر عن عمرو بن ميمون أنه قال: الظل الممدود مسيرة سبعين ألف سنة ((وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ)) قال ابن عباس وغيره: جار من غير أخاديد ، وقيل: منساب حيث شاموا لا يحتاجون فيه إلى سانية ولا رشاء وذكر هذه الاشياء لما أن كثيراً من المؤمنين لبداءتهم تمنوها ، أخرج عبد بن حميد . وابن جرير . والبيهقي عن أحمد قال: كانوا يعجبون بوج وظلاله من طلحه وسدره فأنزله الله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود) الخ، وفي رواية عن الضحاك « نظر المسلمون إلى وج فأعجبهم سدره وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فأنزلت هذه الآية » * »

وقيل : كانه لما شبه حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن من كونهم على سرر تطوف عليهم خدامهم بأنواع الملاذ شبه حال أصحاب اليمين بأكل ما يتصور لأهل البوادي من نزولهم في أماكن مخصصة فيها مياه وأشجار وظلال إيداناً بأن التفاوت بين الفريقين كالتفاوت بين أهل المدن والبوادي ، وذكر الامام مدعياً أنه مما وفق له أن قوله تعالى : (في سدر مخضود وطلح منضود) من باب قوله سبحانه : (رب المشرق والمغرب) لأن السدر أوراقه في غاية الصغر والطلح يعني الموز أوراقه في غاية الكبر ف وقعت الإشارة إلى الطرفين فيراد جميع الأشجار لأنها نظراً إلى أوراقها محصورة بينهما وهو مما لا بأس به ، وقرأ على كرم الله تعالى وجهه ، وجعفر بن محمد ، وعبد الله رضي الله تعالى عنهم - وطلع - بالعين بدل (وطلح) بالخاء ، وأخرج ابن النباري في المصاحف وابن جرير عن قيس بن عباد قال : قرأت على علي كرم الله تعالى وجهه (وطلح منضود) فقال : ما بال الطلح ؟ أما تقرأ وطلع ، ثم قرأ قوله تعالى : (لها طلع نضيد) فقيل له : يا أمير المؤمنين انحكما من المصحف ؟ فقال : لا يهاج القرآن اليوم وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي ، وكيف يقبر أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه تحريفاً في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس ، وكيف يظن بأن نقلة القرآن ورواته وكتابه من قبل تعدوا ذلك أو غفلوا عنه ؟ هذا والله تعالى قد تكفل بحفظه سبحانه هذا بهتان عظيم *

ثم إن الذي يقتضيه النظم الجليل كما قال الطيبي : حمل (في سدر مخضود) الخ على معنى التظليل ، وتكاتف الأشجار على سبيل الترقى لأن الفواكه مستغنى عنها بما بعد وليقابل قوله تعالى : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم) قوله سبحانه : (وأصحاب اليمين) الخ فاذن لا مدخل لحديث الطلع في معنى الظل وما يتصل به لكن قال صاحب الكشف : إن وصف الطلح بكونه منضوداً لا يظهر له كثير ملامة لكون المقصود منفعة التظليل وينبغي أن يحمل الطلح على أنه من عظام العضاء على ما ذكره في الصحاح فشجر أم غيلان والموز لا ظل لها يعتد به ، ثم قال : ولو حمل الطلح على المشموم لكان وجهاً انتهى ، وقد قدمنا لك خبر سبب النزول فلا تغفل (وفكها كثيرة) أي بحسب الأنواع والجناس على ما يقتضيه المقام *

(لا مقطوعة) في وقت من الاوقات كفوا كالدنيا (ولا ممنوعة) عن يريد تناولها بوجه من الوجوه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساكن الدنيا ، وقرئ : (وفاكة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) بالرفع في الجميع على تقدير وهناك (فاكهة) الخ (وفرش) جمع فراش كسراج وسرج ، وقرأ أبو حيو بسكون الراء (مرفوعة) منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة فالرفع حسي كما هو الظاهر ، وقد أخرج أحمد . والترمذي وحسنه . والنسائي . وجماعة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ولا تستبعد ذلك من حيث العروج والنزول ونحوهما فالعالم عالم آخر وراء طور عقلك *

وأخرج هناد عن الحسن أن ارتفاعها مسيرة ثمانين سنة وليس بمثابة الخبر السابق ، وقال بعضهم : أي رفيعة القدر على أن رفعها معنوي بمعنى شرفها وأياً ما كان فالمراد بالفرش ما يفرش للجلوس عليه . وقال أبو عبيدة : المراد بها النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفرش كما يكنى عنها باللباس ورفعهن في الاقدار والمنازل *

وقيل : على الأرائك وأيد إرادة النساء بقوله تعالى : (إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ۝٣٥) لأن الضمير في الأغلب

يعود على مذكور متقدم وليس إلا الفرش ولا يناسب العود إليه إلا بهذا المعنى والاستخدام بعيد هنا، وعلى القول في الفرش الضمير للنساء وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها فهو تميم بياناً لمقدر يدل عليه السياق كأنه قيل وفرش مرفوعة ونساء أو وحوور عين، ثم استؤنف وصفهن بقوله سبحانه : (إنا أنشأناهن) تميماً للبيان زيادة للترغيب لالتعليل الرفع ، وقيل : إن المرجع مضمر وتقدير المنزل وفرش مرفوعة لأزواجهن أو لنسائهم فإنما الخ استئناف علة للرفع أي وفرش مرفوعة لأزواجهن لأننا أنشأناهن ، والأول أوفق لبلاغة القرآن العظيم ، والمراد بأنشأناهن أعدنا إنشاءهن من غير ولادة لأن الخبر عنهن بذلك نساء كن في الدنيا . فقد أخرج ابن جرير . وعبد بن حميد . والترمذي . وآخرون عن أنس قال : « قال رسول الله ﷺ : في الآية إن المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عشاءاً رمصاً » وأخرج الطبراني . وابن أبي حاتم . وجماعة عن سلة بن مرثد الجعفي قال : « سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في قوله تعالى : (إنا أنشأناهن إنشاءً) الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا » وأخرج الترمذي في الشمائل . وابن المنذر . وغيرهما عن الحسن قال : « أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال : يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكي قال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول : (إنا أنشأناهن إنشاءً) الخ ، وقال أبو حيان : الظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ويكون ذلك مخصوصاً بالحوور العين فالمعنى إنا ابتدأناهن ابتداءً جديداً من غير ولادة ولا خلق أول (جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَاراً ٣٦) تفسير لما تقدم ، والجعل إما بمعنى التصيير ، و (أبكاراً) مفعول ثان ، أو بمعنى الخلق و (أبكاراً) حال أو مفعول ثان ، والكلام من قبيل ضيق فم الركبة ، وفي الحديث « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » أخرجه الطبراني في الصغير . والبراز عن أبي سعيد مرفوعاً (عُرُبَاً) متحيات إلى أزواجهن جمع عرب كصبور وصبر ، وروى هذا عن جماعة من السلف وفسرها جماعة أخرى بفنجات ، ولا يخفى أن الفنج أطفأ أسباب التجب ، وعن زيد بن أسلم العرب الحسنة الكلام ، وفي رواية عن ابن عباس . والحسن . وابن جبير . ومجاهد عن العواشق لأزواجهن ، ومنه على ما قيل قول ليلى :

وفي الخدور (عروب غير فاحشة) ربا الروادف يعيشى دونها البصر

وفي رواية أخرى عن مجاهد أنهم الغلات اللاتي يشتهن أزواجهن ، وأخرج ابن عدى بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً - خير نسائكم العفيفة الغلة - وقال اسحق بن عبد الله بن الحرث النوفلي : العرب الخفرة المتبذلة لزوجها ، وأنشد :

(يعرين عند بعولهن) إذا خلوا وإذا (هم خرجوا فهن خفار)

ويرجع هذا إلى التجب ، وأخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : (عرباً) كلامهن عربي ، ولا أظن لهذا صحة ، والتفسير بالمتحيات هو الذي عليه الأكثر . وقرأ حمزة . وجماعة - منها عباس . والاصمعي - عن أبي عمرو ، وأخرى - منها خارجة . وكردم - عن نافع ، وأخرى منها حماد . وأبو بكر . وأبان - عن عاصم (عرباً) بسكون الراء وهي لغة تميم ، وقال غير واحد : هي للتخفيف كما في عنق وعنق (أَرَبَا ٣٧) مستويات في سن واحد قال أنس . وابن عباس . ومجاهد . والحسن . وعكرمة :

وقتادة . وغيرهم كانوا شبيهين في التساوى بالتراتب التي هي ضلوع الصدر . أو كأنهم وقفن معاً على التراب
أى الأرض وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن .

وأخرج الترمذى عن معاذ مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين ، أو ثلاث وثلاثين »
والمراد بذلك كمال الشباب ، وقوله تعالى : ﴿ لَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ٣٨ ﴾ متعلق - بأشخاصنا - أو بجمعنا ، وقيل : متعلق
- بأثرنا - كقولك فلان ترب لفلان أى مساولة فهو محتاج إلى التأويل ، وتعقب بأنه مع هذا ليس فيه كثير فائدة
وفيه نظر ، وقيل : بمحذوف هو صفة - لأبكاراً - أى كائنات لأصحاب اليمين ، وفيه إقامة الظاهر مقام الضمير
لطول العهد أو للتأكيد والتحقيق ، وقوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ ﴾ خبر مبتدأ
محذوف أى هم ثلة ، أو خبر ثان لهم المقدر مبتدأ مع (فى سدر) أو (لأصحاب اليمين) فى قوله تعالى : (وأصحاب
اليمين ما أصحاب اليمين) أو مبتدأ خبره محذوف أى منهم ، أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله احتمالات اعترض
الآخر منها بأن المعنى عليه غير ظاهر ولا طلاوة فيه ، وجعل اللام بمعنى من كما فى قوله :

• ونحن لكم يوم القيامة أفضل • لا يخفى حاله - والاولون والآخرون - المتقدمون والمتأخرون إمامنا الامم
وهذه الامة ، أو من هذه الامة فقط على ما سمعت فيما تقدم ، وهذا لم يقل سبحانه فى حق أصحاب اليمين - جزاء
بما كانوا يعملون - كما قاله عز وجل فى حق السابقين رمزاً إلى أن الفضل فى حقهم متمحض كأن عملهم لقصوره
عن عمل السابقين لم يعتبر اعتباره . ثم الظاهر أن ما ذكر من حال أصحاب اليمين هو حالهم الذى ينتهون إليه
فلا ينافى أن يكون منهم من يعذب لمعاص فعلها ومات غير نائب عنها ثم يدخل الجنة . ولا يمكن أن يقال : إن
المؤمن العاصى من أصحاب الشمال لان صريح أو صافهم الآتية يقتضى أنهم كانوا كافرين ويلزم من جعل هذا
قسماً على حدة كون القسمة غير مستوفاة فليتأمل ، والله تعالى أعلم .

والكلام فى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ ٤١ ﴾ فى سموم ﴿ على نمط ما سلف فى نظيره ،
والسموم قال الراغب : الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم ، وفى الكشف حر نار ينفذ فى المسام والتنوين للتعظيم
وكذا فى قوله تعالى : ﴿ وَحَمِيمٌ ٤٢ ﴾ وهو الماء الشديد الحرارة ﴿ وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ٤٣ ﴾ أى دخان
أسود كما قال ابن عباس . وأبو مالك . وابن زيد . والجمهور وهى على وزن يفعل ، وله نظائر قليلة من الحممة
القطعة من الفحم وتسميته ظلاً على التشبيه التهكمى ، وعن ابن عباس أيضاً أنه سراق النار المحيط بأهلها يرتفع
من كل ناحية حتى يظلمهم ، وقال ابن كيسان : هو من أسماء جهنم فأنها سوداء وكذا كل ما فيها أسود بهم نعوذ
بالله تعالى منها . وقال ابن بريده . وابن زيد أيضاً : هو جبل فى النار أسود يفزع أهل النار إلى ذراه فيجدونه
أشد شئاً ، والجار والمجرور فى موضع الصفة - لظل - وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ٤٤ ﴾ صفتان له ،
وتقديم الصفة الجار والمجرور على الصفة المفردة جائز كما صرح به الرضى وغيره أى لا بارد كسائر الظلال ،
ولا نافع لمن يأوى إليه من أذى الحر - وذلك كرمه - فهناك استعارة ، ونفى ذلك ليمحق توهم ما فى الظل من
الاسترواح اليه وإن وصف أولاً بقوله تعالى : (من يحموم) والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن النفى شأننا ليس
للاثبات ومن ذلك جاء التهكم والتعريض بأن الذى يستأهل الظل الذى فيه برد وإكرام غير هؤلاء فيكون

أشجى لخلقهم وأشد لتحرهم ، وقيل : الكرم باعتبار أنه مرضى في بابه ، فالظل الكريم هو المرضى في برده وروحه ، وفيه أنه لا يلائم ما هنا لقوله تعالى : (لا بارد) وجوز أن يكون ذلك نقيضاً لكرامة من يستروح اليه ونسب إلى الظل مجازاً ، والمراد أنهم يستظلون به وهم مهانون ، وقد يحمل المجاس الردي لنيل الكرامة ، وفي البحر يجوز أن يكونا صفتين - ليحوم - ويلزم منه وصف الظل بهما ، وتعقب بأن وصف اليحوم وهو الدخان بذلك ليس فيه كبير فائدة ، وقرأ ابن أبي عبلة (لا بارد ولا كريم) برفعهما أي لا هو بارد ولا كريم على حد قوله . فأبيت لا حرج ولا محروم . أي لا أنا حرج ولا محروم ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ ﴾ تعليل لا يتلائم بما ذكر من العذاب ، وسلك هذا المسلك في تعليل الابتداء بالعذاب اهتماماً بدفع توهم الظلم في التعذيب ، ولما كان إيصال الثواب بما ليس فيه توهم نقص أصلاً لم يسلك فيه نحو هذا ، والمترف هنا بقرينة المقام هو المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع ، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا قبل ما ذكر من العذاب في الدنيا متبعين هوى أنفسهم وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامره عز وجل وارتكاب نواهيه سبحانه كذا قيل ، وقيل : هو العاني المستكبر عن قبول الحق والاذعان له ، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا في الدنيا مستكبرين عن قبول ما جاءهم به رسلهم من الإيمان بالله عز وجل وما جاء منه سبحانه ، وقيل : هو الذي أترفته النعمة أي أبطرته وأطغته ، وقريب منه ما قيل : هو المنعم المنهمك في الشهوات ، وعليه قول أبي السعود أي أنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع النعم من المأكول والمشرب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقضها ، وتعقب بأن كثيراً من أهل الشمال ليسوا مترفين بالمعنى الذي اعتبره فكيف يصح تعليل عذاب الكل بذلك ولا يرد هذا على ما قدمناه من القولين كما لا يخفى *

ومن الناس من فسر المترف بما ذكر وتفصي عن الاعتراض بأن تعليل عذاب الكل بما ذكر في حيز العلة لا يستدعي أن يكون كل من المذكورات موجوداً في كل من أصحاب الشمال بل وجود المجموع في المجموع وهذا لا يضر فيه اختصاص البعض ببعض فتأمل ، وقيل : المترف المجعول ذاترة أي نعمة واسعة والكل مترفون بالنسبة إلى الحالة التي يكونون عليها يوم القيامة ، وهو على ما فيه لا يظهر أمر التعليل عليه ﴿ وَكَانُوا يُصْرَفُونَ ﴾ يتشددون ويمتنعون من الاقلاع ويدأومون ﴿ عَلَى الْخُنْثِ ﴾ أي الذنب ﴿ الْعَظِيمِ ٤٦ ﴾ وفسر بعضهم الخنث بالذنب العظيم لا بمطلق الذنب وأيد بأنه في الأصل العدل العظيم فوصفه بالعظيم للبالغة في وصفه بالعظيم كما وصف الطود وهو الجبل العظيم به أيضاً ، والمراد به كما روى عن قتادة . والضحاك . وابن زيد الشرك وهو الظاهر . وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي أن المراد به الكبائر وكأنه جعل المعنى - وكانوا يصرون على كل خنث عظيم - وفي رواية أخرى عنه أنه اليمين الغموس وظاهره الإطلاق ، وقال التاج السبكي في طبقاته : سألت الشيخ - يعني والده تقي الدين - ما الخنث العظيم ؟ فقال : هو القسم على إنكار البعث المشار إليه بقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) وهو تفسير حسن لأن الخنث وإن فسر بالذنب مطلقاً أو العظيم المشهور استعماله في عدم البر في القسم ، وتعقب بأنه يأباه قوله تعالى :

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ إلى آخره للزوم التكرار ، وأجيب بأن المراد بالاول

وصفهم بالثبات على القسم الكاذب وبالثاني وصفهم بالاستمرار على الإنكار والرمز إلى استدلال ظاهر الفساد مع أنه لا حذور في تكرار ما يدل على الإنكار وهو توطئة وتمهيد لبيان فساد، والمراد بقولهم: كنا ترابا وعظاما- كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ونحوهما ترابا وبعضها عظاما نخرة، وتقديم التراب لأنه أبعد عن الحياة التي يقتضيها ما هم بصدد إنكاره من البعث، - وإذا- متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى :

﴿أَنَا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧﴾ لا مبعوثون نفسه لتعدد ما يمنع من عمل ما بعده فيما قبله - وهو نبعث - وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فانهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وهذا كالأستدلال على ما يزعمونه، وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد، وقوله سبحانه: ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا أَلَاؤُنَا ٤٨﴾ عطف على محل - إن - واسمها . أو على الضمير المستتر في مبعوثون وحسن للفصل بالهمزة وإن كانت حرفا واحدا - كما قال الزمخشري - ولا يضر عمل ما قبل هذه الهمزة في المعطوف بعدها لأنها مكررة للتأكيد وقد زحلق عن مكانها، وقولهم : الحرف إذا كرر للتأكيد فلا بد أن يعاد معه ما اتصل به أولا أو ضمير لا يسلم إطراده لوروده * ولا - للبا - بهم أبد أدواء * وأمثاله، وجوز أن يكون (أبأؤنا) مبتدأ وخبره محذوف دل عليه ما قبل أي مبعوثون، والجملة عطف على الجملة السابقة وهو تكلف يغني عنه العطف المذكور والمعنى - أيبعث أيضا أبأؤنا - على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل ، وقرأ قالون : وابن عامر (أو أبأؤنا) بإسكان الواو وعلى هذه القراءة لا يعطف على الضمير إذ لا فاصله

﴿قُلْ﴾ ردأ لإنكارهم وتحقيقاً للحق ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩﴾ من الأمم الذين من جملتهم أئتم وأبأؤكم ، وتقديم الأولين للبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بعد البعث ، وقرئ (لمجمعون) ﴿إِلَىٰ مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ٥٠﴾ وهو يوم القيامة ومعنى كونه معلوماً كونه معيناً عند الله عز وجل ، والميقات ما وقت به الشيء أي حد، ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً ، وإضافته (إلى يوم) بيانية كما في خاتم فضة ، وكون يوم القيامة ميقاتاً لأنه وقت به الدنيا ، و(إلى) للغاية والانتها ، وقيل : والمعنى (لمجمعون) منتهين إلى ذلك اليوم ، وقيل :ضمن معنى السوق فلذا تعدى بها ﴿ثُمَّ لَنُكَلِّمَنَّ أَبَاؤَهُمُ الضَّالُّونَ﴾ عطف على (إن الأولين) داخل في حيز القول ، و(ثم) للتراخي الزماني أو الرتبي ﴿الْمُكَذِّبُونَ ٥١﴾ بالبعث ، أو بما يعمه وغيره ويدخل هو دخولا أولاً للسياق على ما قيل ، والخطاب لأهل مكة وأضرابهم ﴿لَا تَكُونُوا ٥٢﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿مِنْ شَجَرٍ مِّن زَقُومٍ ٥٢﴾ (من) الأولى لا ابتداء للغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون للكل من شجر هو زقوم ، وجوز كون الأولى تبعيضية و(من) الثانية على حالها ، وجوز كون (من زقوم) بدلا من قوله تعالى : (من شجر) فمن تحتمل الوجهين ، وقيل : الأولى زائدة ، وقرأ عبد الله من شجرة فوجه التأنيت ظاهر في قوله تعالى :

﴿فَمَا أَثْبُونُ مِنْهَا الْبُطُونُ ٥٣﴾ أي بطونكم من شدة الجوع فانه الذي اضطرمهم وقسرمهم على أكل مثلها بما (٢-١٩ ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

لا يؤكل ، وأما على قراءة الجمهور فوجهه الحمل على المعنى لأنه بمعنى الشجرة ، أو الاشجار إذا نظر لصدقه على المتعدد ، وأما التذكير على هذه القراءة في قوله سبحانه : ﴿ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ أى عقيب ذلك بلا ريث ﴿ مِنْ الْحَمِيمِ ٥٤ ﴾ أى الماء الحار في الغاية لغلبة العطش فظاهر لا يحتاج إلى تأويل ، وقال بعضهم : التأنيث أولاً باعتبار المعنى والتذكير ثانياً باعتبار اللفظ ، فقل عليه : إن فيه اعتبار اللفظ بعد اعتبار المعنى على خلاف المتعارف فلو أعيد الضمير المذكور على الشجر باعتبار كونه مأكولاً ليكون التذكير والتأنيث باعتبار المعنى كان أولى وفيه بحث ، ووجهه على القراءة الثانية أن الضمير عائد على الزقوم أو على الشجر باعتبار أنها زقوم أو باعتبار أنها مأكول ، وقيل : هو مطلقاً عائد على الآكل ، وتعقب بأنه بعيد لأن الشرب عليه لا على تناوله مع ما فيه من تفكيك الضمائر وكونه مجازاً شائعاً وغير ملبس لا يدفع البعد فتأمل .

﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ٥٥ ﴾ قال ابن عباس . ومجاهد . وعكرمة . والضحاك جمع أهيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء يشبه الاستسقاء يصيب الابل قشرب حتى تموت ، أو تسقم سقماً شديداً ، ويقال إبل هيام وناق هيام كما يقال : جمل أهيم قال الشاعر :

فأصبحت (كالهيام لا الماء مبرد صداها) ولا يقضى عليها هيامها

وجعل بعضهم (الهيم) هنا جمع الهيام ، وقيل : هو جمع هائم أو هائمة ، وجمع فاعل على فعل كبازل وبزل شاذ ، وعن ابن عباس أيضاً . وسفيان (الهيم) الرمال التي لاتروى من الماء لتخلخلها ومفرده هيام بفتح الهاء على المشهور كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أيض من قلب الضمة كسرة لتسلم الياء ويخفف اللفظ فكسرت الهاء لاجل الياء وهو قياس مطرد في باب ، وقال ثعلب : هو بالضم كقراد وقرد ثم خفف وفعل به ما فعل بما سمعت والعطف بالفاء قيل : لأن الافراط بعد الأصلي ، وقيل : لأن كلا من المتعاطفين أخص من الآخر فإن شارب الحميم قد لا يكون به داء الهيام ومن به داء الهيام قد يشرب غير الحميم ، والشرب الذي لا يحصل الرى ناشئ عن شرب الحميم لأنه لا يبل الغليل ، والذي اختاره ما قاله مفتي الديار الرومية : إن ذلك كالتفسير لما قبله أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم ، والشرب بالغيم مصدر ، وقيل : اسم لما يشرب ، وقرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - كما روى جماعة منهم الحاكم وصححه - عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « شرب » بفتح الشين وهو مصدر شرب المقيس ، وبذلك قرأ جمع من السبعة . والاعرج . وابن المسيب . وشعيب . ومالك بن دينار . وابن جريج ، وقرأ مجاهد . وأبو عثمان النهدي بكسر الشين وهو اسم بمعنى المشروب لا مصدر كالطحن والرعى ﴿ هَذَا ﴾ الذي ذكر من ألوان العذاب ﴿ نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ ﴾ يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يقدم للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأننت لهم الدار في النار ، وفي جعله نزلاً مع أنه بما يكرم به النازل من التهمك ما لا يخفى ، ونظير ذلك قوله :

وكنا إذ الجبار بالجيش ضافنا (جعلنا القنا والمرهقات له نزلاً)

وقرأ ابن محيصن . وخارجة عن نافع . ونعيم . ومحبوب . وأبو زيد . وهرون . وعصمة . وعباس طهم عن أبي عمرو نزلهم بتسكين الزاي المضمومة للتخفيف كما في البيت ، والجملة مسوقة من جهته سبحانه وتعالى بطريق الفدلسكة مقرر لمضمون الكلام الملحق غير داخلة تحت القول ، وقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ ﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق بقريئة (نحن خلقناكم) ولما لم يحقق تصديقهم المشعر به قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) عملهم حيث لم يقرن بالطاعة والاعمال الصالحة بل اقترن يميني. عن خلافه من الشرك والعصيان نزل منزلة العدم والانكار فحضوا على التصديق بذلك ، وقيل : المراد فهلا تصدقون بالبعث لتقدمه وتقدم إنكاره في قولهم (أننا لمبعوثون) فيكون الكلام إشارة إلى الاستدلال بالابداء على الاعادة فان من قدر عليه قدر عاها حتما ، والاول هو الوجه كما يظهر مما بعد إن شاء الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ أى ما تقدفونه في الارحام من النطف ، وقرأ ابن عباس . وأبو الثمال (تمنون) بفتح التاء من منى النطقة بمعنى أزالها بدفع الصبيغة ﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ أى تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً تام الخلقة ، فالمراد خلق ما يحصل منه على أن في الكلام تقدير أو تجوز أو جواز إبقاء ذلك على ظاهره أى (أنتم تخلقونه) وتنشئون نفس ذات ماتمنونه ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ ﴾ له من غير دخل شئ فيه - وأرأيتم - قد مر الكلام غير مرة فيه ، ويقال هنا : إن اسم الموصول مفعوله الاول والجملة الاستفهامية مفعوله الثانى ، وكذا يقال فيم بعد من - نظائره وما يعتبر فيه الرؤية بصرية تكون الجملة الاستفهامية فيه مستأنفة لا محل لها من الاعراب ، وجوز في - أنتم - أن يكون مبتدأ ، والجملة بعده خبره ، وأن يكون فاعلا لفعل محذوف والاصل أنخلقون فلما حذف الفعل انفصل الضمير ، واختاره أبو حيان ، و(أم) قيل : منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى - بل أنحن الخالقون - على أن الاستفهام للتقرير ، وقال قوم من النحاة : متصلة معادلة للهمزة كأنه قيل : (أنتم تخلقونه أم نحن) ثم جئ - بالخالقون - بعد بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْأَمَوتَ ﴾ قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة ، وقرأ ابن كثير (قدرنا) بالتخفيف ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ ﴾ أى لا يغلبنا أحد ﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾ أى على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق فالسبق مجاز عن الغلبة استعارة تصريحية أو مجاز مرسل عن لازمه ، وظاهر كلام بعض الأجلة أنه حقيقة في ذلك إذا تعدى بهلى ، والجملة في موضع الحال من ضمير (قدرنا) وكأن المراد (قدرنا) ذلك ونحن قادرون على أن نميتكم دفعة واحدة ونخلق أشباهكم .

﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ ﴾ من الخلق والاطوار التى لا تعهدونها ، وقال الحسن : من كونكم قردة وخنازير ، ولعل اختيار ذلك لان الآية تتحول إلى الوعيد ، والمراد ونحن قادرون على هذا أيضا وجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة لاجمع مثل بالسكون بمعنى الشبه كما في الوجه الاول أى ونحن نقدر على أن نغير صفاتكم التى أنتم عليها خلقاً وخُلُقاً وننشئكم في صفات لا تعلمونها ، وقيل : المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا ، وقيل : المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته الذى وقتناه ، على أن المراد تمثيل حال من سلم من الموت أو تأخر أجله عن الوقت المعين له بحال من طلبه طالب فلم يلحقه وسبقه ، وقوله تعالى : (على أن نبدل) الخ في موضع الحال من الضمير المستتر في مسبوقين أى حال كوننا قادرين

أو عازمين على تبديل أمثالكم، والجملة السابقة على حالها ، وقال الطبري : (على أن نبدل) متعلق - بقدرنا - وعلة له وجملة (وما نحن بمسبوقين) اعتراض ، والمعنى نحن قدرنا بينكم الموت لان نبدل أمثالكم أى نमित طائفة ونبدلها بطائفة هكذا قرنا بعد قرن ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى ﴾ من خلقكم من نقطة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة ؛ وقال قتادة : هي فطرة آدم عليه السلام من التراب ولا ينكرها أحد من ولده ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فهلا تذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر وأقدر فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق الميثاق ، وهذا - على ما قالوا - دليل على صحة القياس لكن قيل : لا يدل إلا على قياس الأولى لانه الذى فى الآية ، وفى الخبر عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ، وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور *

وقرأ طلحة تذكرون بالتخفيف وضم الكاف ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۚ ﴾ ما تبذرون حبه وتعملون فى أرضه ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ تنبتونه وتردونه نباتاً يرف وينمى إلى أن يبلغ الغاية ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۚ ﴾ أى المنبتون لا أنتم والكلام فى - أنتم - و (أم) كما مر آنفاً ، وأخرج البزار . وابن جرير . وابن مردويه . وأبو نعيم . والبيهقى فى شعب الايمان - وضعفه - وابن حبان - كما قال الخفاجى - عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لا يقول أحدكم زرعت ولكن ليقول حرثت ، ثم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ألم تسمعوا الله تعالى يقول : (أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون) » يشير رضى الله تعالى عنه إلى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ النهى من هذه الآية فانه أسند الحرث إلى المخاطبين دون الزرع ، وقال القرطبي : إنه يستحب للزارع أن يقول بعد الاستعاذة وتلاوة هذه الآية الله تعالى الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، قيل : وقد جرب هذا الدعاء لدفع آفات الزرع كلها وإنتاجه ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴾ هشياً متكسراً مفتتاً لشدة يبسه بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله ﴿ فَظَلَّمْتُمْ ﴾ بسبب ذلك ﴿ تَفَكَّهُونَ ۚ ﴾ تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال على ما روى عن ابن عباس . ومجاهد . وقتادة ، وقال الحسن : تندمون أى على ما تعبتم فيه ، وأنفقتم عليه من غير حصول نفع ، أو على ما اقترعتم لأجله من المعاصى ، وقال عكرمة : تلاومون على ما فعلتم ، وأصل التفكه التنقل بصنوف الفاكهة واستعير للتنقل بالحديث وهو هنا ما يكون بعد هلاك الزرع وقد كنى به فى الآية عن التعجب ، أو الندم . أو التلاوم على اختلاف التفاسير ، وفى البحر كل ذلك تفسير باللائم ، ومعنى (تفكّهون) تطرحون الفاكهة عن أنفسكم وهى المسرة ، ورجل فكه منبسطة النفس غير مكترث بشئ . وتفكه من أخوات تخرج وتحوب أى إن الفعل فيه للسلب *

وقرأ أبو حيوة . وأبو بكر فى رواية العتكي عنه (فظلمتم) بكسر الظاء كما قالوا : مست بالكسر ومست بالفتح ، وحكاها الثورى عن ابن مسعود وجاءت عن الأعمش ، وقرأ عبدالله . والجحدري - فظلمتم - بلامين أو لاهما مكسورة ، وقرأ الجحدري أيضاً كذلك مع فتح اللام والمشهور ظللت بالكسر ، وقرأ أبو حزام تفككون بالنون بدل الهاء ، قال ابن خالويه : تفكه بالهاء تعجب ، وتفككن بالنون تندم ﴿ إِنَّا لِلْمَغْرُمُونَ ۚ ﴾ أى معذبون

مهلكون من الغرام وهو الهلاك قال الشاعر :

إن يعذب يكن (غراما) وإن يعط جزىلا فإنه لا يبالي
والمراد مهلكون بهلاك رزقنا ، وقيل : بالمعاصي أو ملزمون غرامة بنقص رزقنا ، وقرأ الاعمش .
والجحدري . وأبو بكر - أثنا بالاستفهام والتحقيق ، والجملة على القراءتين بتقدير قول هو في حيز النصب
على الحالية من فاعل تفكهون أي قائلين ، أو تقولون ذلك ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧ ﴾ محدودون لا محدودون
أو محرومون الرزق كأنهم لما قالوا إنا مهلكون لهلاك رزقنا أضربوا عنه وقالوا : بل هذا أمر قدر علينا لنحوسة
طالعنا وعدم بختنا ، أو لما قالوا : إنا ملزمون غرامة بنقص أرزاقنا أضربوا فقالوا : (بل نحن محرومون) الرزق
بالكلية ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ ﴾ عذبا فراتا ، وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه
لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ أي السحاب واحدة مزنة ، قال الشاعر :

فلا (مزنة ودقت ودقها) ولا أرض أبقل إبقاها

وقيل : هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نُزْلُونَ ٦٩ ﴾ له بقدرتنا .

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ملحاً ذعاقا لا يمكن شربه من الأجاج وهو تلب النار . وقيل : الأجاج كل
ما يلذع الفم ولا يمكن شربه فيشمل الملح والمر والحار ، فإما أن يراد ذلك ، أو الملح بقرينة المقام وحذفت اللام
من جواب لو ههنا للقرينة اللفظية والحالية ومتى جاز حذف - لم أر - في قول أوس :
حتى إذا الكلاب قال لها (...) كالיום مطلوبا ولا طلبا

والقرينة حالية فأولى أن يجوز حذفها وحدها لذلك على ما قرره الزمخشري ، وقرر وجه آخر حاصله أن
اللام لمجرد التأكيد فتناسب مقام التأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون المشروب للدلالة على أن أمره مقدم
على أمره ، وأن الوعيد يفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب تبع له ألا يرى أن الضيف يسقى بعد أن
يطعم ، وقد ذكر الأطباء أن الماء مبذرق ، ويؤيد ذلك تقديمه على المشروب في النظم الجليل ، وللإمام في هذا
المقام كلام طويل اعترض به على الزمخشري وبين فيه وجه الذكر أولا والحذف ثانيا ، ولم أره أتى بما يشرح
الصدر ، وخير منه عندي قول ابن الأثير في المثل السائر : إن اللام أدخلت في المطعوم دون المشروب لأن
جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً في العرف والعادة والموجود من الماء المالح أكثر من الماء العذب ، وكثيراً
ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحاً إلى
زيادة تأكيد فلذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق ، وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء
الخارجة عن المعتاد وإذا وقع يكون عن سخط شديد ، فلذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره انتهى .

﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠ ﴾ تخفيض على شكر الكل لأنه أفيد دون عذوبة الماء فقط كما ذهب إليه البعض .

نعم أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر رضى الله تعالى عنه « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا شرب

الماء قال : الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا » ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ ﴾

أي تفقدونها وتستخرجونها من الزناد ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ، وقيل :

المراد بالشجرة نفس النار كأنه قيل: نوعها أو جنسها فاستعير الشجرة لذلك وهو قول متكلف بلا حاجة .

﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنْشُونَ ٧٢ ﴾ لها بقدر تناو التعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل - في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار - كإن التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى: (ثم أنشأناه) خلقاً آخر لذلك .

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا ﴾ استئناف معين لمنافعها أى جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا بها ما أوعدوا به ، أو جعلناها تذكراً وأنموذجاً من جهنم لما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم « ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » وعلى الوجهين التذكرة من الذكر المقابل للنسيان ولم ينظر في الأول إلى أنها من جنس نار جهنم أولاً وفي الثاني نظر إلى ذلك ، وقيل: تبصرة في أمر البعث لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر المضاد لها قادر على إعادة ما تفرقت مواده ، وقيل: تبصرة في الظلام يبصر بضوئها ، وفيه أن التذكرة لا تكون بمعنى التبصرة المأخوذة من البصر وكون المراد تذكرة لنار جهنم هو الماثور عن الكثيرين ، ومنهم ابن عباس . ومجاهد . وقادة ﴿ وَمَتَعًا ﴾ ومنفعة ﴿ لِلْمُقْوِينَ ٧٣ ﴾ للذين ينزلون القواء وهى القفر من أقوى دخل القواء كأشجر دخل الصحراء وتخصيص المقوين بذلك لانهم أحوج إليها فان المقيمين ، أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد .

وقيل: (المقوين) أى المسافرين ، ورواه جمع عن ابن عباس . وعبد بن حميد عن الحسن ، وهو . وابن جرير . وعبدالرزاق عن قتادة بزيادة كم من قوم قد سافروا ثم أرملوا فأججوا ناراً فاستدفئوا وانتفعوا بها ، وكان إطلاق المقوين على المسافرين لانهم كثيراً ما يسلكون القفراء والمفاوز ، وقيل : (المقوين) للفقراء يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد كأنه تصور من حال الحاصل في القفر الفقر ، فقيل : - أقوى - فلان أى افتقر كقولهم أترب وأرمل ، وقال ابن زيد: للجائعين لانهم أقوت أى خلت بطونهم ومزادهم من الطعام فهم يحتاجون إليها لطبخ ما يأكلون وخصوا - على ما قيل - لأن غيرهم يتنعم بها لا يجعلها متاعاً ، وتعقب بأنه بعيد لعدم انحصار ما مهمهم ويستدخلتهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ ، وقال عكرمة . ومجاهد : المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز ، قال العلامة الطيبي . والطبرسي : وعلى هذا القول - المقوى - من الاضداد يقال للفقير : مقو لحلوله من المال ، وللغنى مقو لقوته على ما يريد يقال : أقوى الرجل إذا صار إلى حال القوة والمعنى متاعاً للاغنياء والفقراء لانه لا غنى لاحد عنها انتهى .

وفيه بحث لا يخفى ، ولعل الأقرب عليه أنه أريد بالاقواء الاحتياج والمستمتع بها محتاج إليها فتدبر ، وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الاخرى وتقديم أمر الماء على أمر النار لان الاحتياج اليه أشدوا كثر والانتفاع به أعم وأوفر ، وقال بعضهم : قدم أمر خلق الانسان من نقطة لان النعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة بعد ، ثم ذكر بعده ما به قوام الانسان من فائدة الحرث وهو الطعام الذى لا يستغنى عند الجسد الحى وذلك الحب الذى يختبئ فيحتاج بعد حصوله إلى حصول الماء ليعجن به فلذا ذكر بعده ثم إلى النار لتصيره خبزاً فلذا ذكرت بعد الماء وهو كما ترى ، واستحسن بعضهم من القارىء أن يقول بعد كل جملة استفهامية من الجمل السابقة : بل أنت يارب ، فقد أخرج عبد الرزاق . وابن المنذر . والحاكم . والبيهقى في سننه عن حجر المروى

قال : بت عند على كرم تعالى وجهه فسمعته وهو يصلي بالليل يقرأ فرب هذه الآية (أفرايتم ماتمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، ثم قرأ (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، ثم قرأ (أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، ثم قرأ (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) فقال : بل أنت يارب ثلاثا ، وأنت تعلم أن في استحسان قوله مثل ذلك في الصلاة اختلاف بين العلماء ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤ ﴾ مرتب على ما عدد من بدائع صنعه عز وجل وودائع نعمه سبحانه وتعالى ، والمراد على ما قيل : أحدث التسييح تنزيلا للفعل المتعدي منزلة اللازم وأريد من إحداثه استمراره لا إيجاداه لأنه عليه الصلاة والسلام غير معرض عنه ، وتعقبه الطيبي بأن هذا عكس ما يقتضيه لفظ الإحداث ، فالمراد تجديد التسييح ، وفي الكلام إضمار أى سبح بذكر اسم ربك ، أو الاسم مجاز عن الذكر فان إطلاق الاسم للشيء ذكره ، والباء للاستعانة أو الملازمة وكونها للتعدية كما هو ظاهر كلام أبي حيان ليس بشيء ، والعظيم صفة للاسم ، أو للرب ، وتعقيب الأمر بالتسييح لما عدد إما لتزيهه تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدايته عز وجل الكافرون بنعمه سبحانه مع عظمتها وكثرتها ، أو للشكر على تلك النعم السابقة لان تزيهه تعالى وتعظيمه جل وعلا بعد ذكر نعمه سبحانه مدح عليها فهو شكر للمنعم في الحقيقة ، أو للتعجب من أمر الكفرة في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها ؛ وسبحان ترد للتعجب مجازاً مشهوراً فسبح بمعنى تعجب ، وأصله قل سبحان الله للتعجب وفيه بعد وما تقدم أظهر •

هذا وجوز أن لا يكون في (باسم ربك) إضمار ولا مجاز بل يبقى على ظاهره فقد قالوا في قوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى) : كما يجب تزيه ذاته تعالى وصفاته سبحانه عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعه لها عن سوء الأدب وهو أبلغ لانه يلزمه تقديس ذاته عز وجل بالطريق الاولى على طريق الكناية الرمزية ، وفيه أنه إنما يتأتى لولم تذكر الباء، وجعلها زائدة خلاف الظاهر، وحال كونها للتعدية قد سمعته، وجعل بعضهم على هذا الخطاب لغير معين فقال: إنه تعالى لما ذكر ما ذكر من الأمور وكان الكل معترفين بأنها من الله تعالى وكان الكفار إذا طولوا بالوحدانية قالوا: نحن لا نشرك في المعنى وإنما نتخذ أصناماً آلهة وذلك إشراف في الاسم، والذي خلقنا وخلق السموات والارض هو الله تعالى فنحن ننزهه في الحقيقة قال سبحانه: (فسبح باسم ربك) على معنى كما أنك أيها الغافل اعترفت بعدم اشتراكها في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكها في الاسم ولا تقل لغيره تعالى إلها فان الاسم يتبع المعنى والحقيقة، فالخطاب كالخطاب في قول الواعظ يامسكين أفيت عمرك وما أصلحت أمرك لا يريد به أحداً بعينه، وإنما يريد أيها المسكين السامع وهو كما ترى، نعم احتمال عموم الخطاب بما لا ينكر لكن لا يتعين عليه هذا التقرير ، ثم الظاهر أن المراد بذكر الرب أو ذكر اسمه سبحانه على ما تقرر سابقاً ما هو المتبادر المعروف وفي الكشف إن المراد بذلك تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن أو لهذه السورة الكريمة المتضمنة لاثبات البعث والجزاء ومراتب أهله لينطبق عليه قوله تعالى بعد : (فلا أقسم) وعلى الاول لا بد من إضمار أى فسبح باسم ربك وامثل ما أمرت به - فأقسم أنه لقرآن، والغرض تأكيد الأمر بالتسييح ، وأنا أقول يتأتى الانطباق على الظاهر أيضاً سوى أنه يعتبر في الكلام إضمار ولا بأس بأن يقال: إنه تعالى لما ذكر ما ذكر من النعم الجليلة الداعية لتوجيهه سبحانه ووصفه بما يليق به عز وجل قال سبحانه : (فسبح باسم ربك) أى فنزهه تعالى عما يقولون في وصفه سبحانه: وأقبل على إنذارهم بالقرآن والاحتجاج عليهم به بعد الاحتجاج بما ذكرنا فأقسم أنه لقرآن كيت وكيت

فلا في قوله عز وجل : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ ﴾ مزيدة للتأكيد مثلها في قوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب) أو هي لام القسم أشبعت فتحتها فتولدت منها ألف نظير ما في قوله * أعوذ بالله من العقرب * واختاره أبو حيان ثم قال : وهو وإن كان قليلاً فقد جاء نظيره في قوله تعالى : (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) ياء بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام .

ويؤيد قراءة الحسن . وعيسى . فلا قسم - وهو مبنى على ما ذهب إليه تبعاً لبعض النحويين من أن فعل الحال يجوز القسم عليه فيقال : والله تعالى ليخرج زيد وعليه قول الشاعر * ليعلم ربي أن بيتي واسع * .
وحينئذ لا يصح أن يقرن الفعل بالنون المؤكدة لأنها تخلصه للاستقبال وهو خلاف المراد ، والذي اختاره ابن عصفور . والبصريون أن فعل الحال كما هنا لا يجوز أن يقسم عليه ومتى أريد من الفعل الاستقبال لزمت فيه النون المؤكدة فقيل : لا قسمن وحذفها ضعيف جداً ، ومن هنا خرجوا قراءة الحسن . وعيسى على أن اللام لام الابتداء والمبتدا محذوف لأنها لا تدخل على الفعل . والتقدير فلا أنا أقسم ، وقيل : نحوه في قراءة الجمهور على أن الألف قد تولدت من الاشباع ، وتعقب بأن المبتدا إذا دخل عليه لام الابتداء يمتنع أو يوجب حذفه لأن دخولها للتأكيد وهو يقتضى الاعتناء به وحذفه يدل على خلافه ، وقال سعيد بن جبيرة . وبعض النحاة : - لا - نفي ورد لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة كأنه قيل : فلا صحة لما يقولون فيه ثم استؤنف فقيل : (أقسم) الخ ، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يجوز لما فيه من حذف اسم - لا - وخبرها في غير جواب سؤال نحو - لا - في جواب هل من رجل في الدار ، وقيل : الأولى فيما إذا قصد بلا نفي لمحذوف واستئناف لما بعدها في اللفظ الاتيان بالواو نحو - لا - وأطال الله تعالى بقاءك ، وقال : بعضهم إن - لا - كثيراً ما يؤتى بها قبل القسم على نحو الاستفتاح كما في قوله :

(لا وأليك) ابنة العامري لا يدعى القوم إني أفز

وقال أبو مسلم وجمع : إن الكلام على ظاهره المتبادر منه ، والمعنى لا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أى لا يحتاج إلى قسم ما فضلاً عن أن هذا القسم العظيم ، فقول مفتى الديار الرومية أنه يأباه تعيين المقسم به وتفخيمه ناشئ عن الغفلة على ما لا يخفى على فطن ﴿ بموقع النجوم ٧٥ ﴾ أى بمساقط كواكب السماء ومغارها كما جاء في رواية عن قتادة . والحسن على أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها ، والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير ، ولذا استدلل الخليل عليه السلام بالأفول على وجود الصانع جل وعلا ، أو لأن ذلك وقت قيام المهتجرين والمبتلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم *
وقد أخرج البخاري . ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » وعن الحسن أيضاً المراد مواقعها عند الانكدار يوم القيامة قيل : وموقع عليه مصدر ميمي أو اسم زمان ولعل وقوعها ذلك اليوم ليس دفعة واحدة والتخصيص لما في ذلك من ظهور عظمته عز وجل وتحقيق ما ينكره الكفار من البعث ، وعن أبي جعفر . وأبي عبد الله على آبائهما وعليهما السلام المراد مواقعها عند الانقضاء إثر المسترقين السمع من الشياطين ، وقد مر لك تحقيق أمر هذا الانقضاء فلا تغفل ، وقيل : مواقع النجوم هي الأنواء التي يزعم الجاهلية

أنهم يطرئون بها ، ولعله مأخوذ من بعض الآثار الواردة في سبب النزول وسنذكره إن شاء الله تعالى وليس نصاً في إرادة الأنواء بل يجوز عليه أن يراد المغارب مطلقاً .

وأخرج عبد الرزاق . وابن جرير عن قتادة أنها منازلها ومجاريها على أن الوقوع النزول كما يقال: على الخير سقطت وهو شائع والتخصيص لأن له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم قدرته وكآل حكمته ما لا يحيط به نطاق البيان ، وقال جماعة منهم ابن عباس: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها .

وأخرج النسائي . وابن جرير . والحاكم وصححه . والبيهقي في الشعب عنه أن قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين» وفي لفظ «ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوماً ثم قرأ فلا أقسم بمواقع النجوم» وأيد هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى بعد : (إنه لقرآن) يعود حينئذ على ما يفهم من مواقع النجوم حتى يكاد يعدّ كما لذكور صريحاً ولا يحتاج إلى أن يقال يفسره السياق كما في سائر الأقوال، ووجه التخصيص أظهر من أن يخفى، ولعل الكلام عليه من باب * وثناياك إنما لغريض * وقرأ ابن عباس : وأهل المدينة . وحمزة . والكسائي (بموقع) مفرداً مراداً به الجمع *

﴿وإنه لقسم لو تعلون عظيم ٧٦﴾ مشتمل على اعتراض في ضمن آخر فقوله تعالى : (إنه لقسم) (عظيم) معترض بين القسم والمقسم عليه وهو قوله سبحانه : ﴿إنه لقرآن كريم ٧٧﴾ وهو تعظيم للقسم مقرر مؤكده ، وقوله عز وجل (لو تعلون) معترض بين الصفة والموصوف وهو تأكيد لذلك التعظيم وجواب (لو) إما متروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمته أو لعلمتم بموجبه ، ووجه كون ذلك القسم عظيماً قد أشير إليه فيما مر ، أو هو ظاهر بناءً على أن المراد (بمواقع النجوم) ما روى عن ابن عباس . والجماعة ، ومعنى كون القرآن كريماً أنه حسن مرضى في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع ، وكيف لا وقد اشتمل على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش ، والمعاد ، والسكرم على هذا مستعار - كما قال الطيبي - من السكر المعروف وقيل: السكر أعم من كثرة البذل والاحسان والاتصاف بما يحمد من الأوصاف ككثرة النفع فانه وصف محمود فكونه كريماً حقيقة ، وجوز أن يراد كريم على الله تعالى قيل : وهو يرجع لما تقدم ، وفيه تقدير من غير حاجة وأياً ما كان فحط الفائدة الوصف المذكور قيل : إن مرجع الضمير هو القرآن لا من حيث عنوان كونه قرآناً فبمجرد الإخبار عنه بأنه قرآن تحصل الفائدة أى إنه لمقروء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا أنه أنشأه كما زعمه الكفار ، وقوله تعالى : ﴿في كتب مكنون ٧٨﴾ وصف آخر للقرآن أى كائن في كتاب مصون عن غير المقربين من الملائكة عليهم السلام لا يطاع عليه من سواهم ، فالمراد به اللوح المحفوظ كما روى عن الربيع بن أنس وغيره ، وقيل : أى في كتاب مصون عن التبديل والتغيير وهو المصحف الذي بأيدي المسلمين ويتضمن ذلك الإخبار بالغيب لأنه لم يكن إذ ذاك مصاحف ، وأخرج عبد بن حميد . وابن جرير عن عكرمة أنه قال : في كتاب أى التوراة والإنجيل ، وحكى ذلك في البحر ثم قال : كأنه قال : ذكر في كتاب مكنون كرمه وشرفه ، فالمنعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة انتهى *

والظاهر أنه أريد على هذا بالكتاب الجنس لتصح إرادة التوراة والإنجيل ، وفي وصف ذلك بالمكنون خفاء . ولعله أريد به جليل الشأن عظيم القدر فان السترا لازم للشيء الجليل ، وجوز إرادة هذا المعنى المجازي

على غير هذا القول من الأقوال ، وقيل : الكتاب المكنون قلب المؤمن وهو كما ترى *

وقيل : المراد من كونه في كتاب مكنون كونه محفوظاً من التغيير والتبديل ليس إلا كما قال تعالى : (وإنا له لحافظون) والمعول عليه ما تقدم ، وجوز تعلق الجار بكريم كما يقال زيد كريم في نفسه ، والمعنى إنه كريم في اللوح المحفوظ وإن لم يكن . كريم عند الكفار ، والوصفية أبلغ كما لا يخفى ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٧٩ ﴾ إما صفة بعد صفة لا كتاب مراداً به اللوح ، فالمراد بالمطهرون الملائكة عليهم السلام أى المطهرون المنزهون عن كدر الطبيعة ودنس الحظوظ النفسية ، وقيل : عن كدر الاجسام ودنس الحيولى والطهارة عليهما طهارة معنوية ، ونفى مسه كناية عن لازمه وهو نفى الاطلاع عليه وعلى ما فيه ، وإما صفة أخرى لقرآن *

والمراد بالمطهرون المطهرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر بحمل الطهارة على الشرعية ، والمعنى لا ينبغي أن يمس القرآن إلا من هو على طهارة من الناس فالتنبي هنا نظير ما في قوله تعالى : (الزاني لا ينكح إلا زانية) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه » الحديث وهو بمعنى النهى بل أبلغ من النهى الصريح ، وهذا أحد أوجه ذكرها للعدول عن جعل - لا - ناهية ، وثانيها أن المتبادر كون الجملة صفة والاصل فيها أن تكون خبرية ولا داعى لاعتبار الإنشائية وارتكاب التأويل ، وثالثها أن المتبادر من الضمة أنها إغراب فالحمل على غيره فيه إلباس ، ورابعها أن عبد الله قرأ ما يمس وهو تؤيد أن لا نافية وكون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام مروى من عدة طرق عن ابن عباس ، وكذا أخرجه جماعة عن أنس . وقائدة . وابن جبير . ومجاهد . وأبى العالية . وغيرهم إلا أن في بعض الآثار عن بعض هؤلاء ما هو ظاهر في أن الضمير في (لا يمس) مع كون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام راجع إلى القرآن *

أخرج عبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال : في الآية ذلك عند رب العالمين لا يمس إلا المطهرون من الملائكة فأما عندكم فيمسه المشرك والنجس ، والمنافق الرجس ، وأخرجاهما . وابن المنذر . والبيهقي في المعرفة عن الخبر قال : في الآية الكتاب المنزل في السماء لا يمس إلا الملائكة ، ويشير إليه ما أخرجه ابن المنذر عن النعمي قال : قال مالك : أحسن ما سمعت في هذه الآية (لا يمس إلا المطهرون) أنها بمنزلة الآية التي في عبس (كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) وكون المراد بهم المطهرين من الاحداث مروى عن محمد الباقر على آباءه وعليه السلام . وعطاء . وطاوس . وسالم *

وأخرج سعيد بن منصور . وابن أبي شبة في المصنف . وابن المنذر . والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن زيد قال : كنا مع سلمان - يعنى الفارسي - رضى الله تعالى عنه فانطلق إلى حاجة فتوارى عنا فخرج الينا فقلنا لو توضأت فسالناك عن أشياء من القرآن ؟ فقال : سلوني فإني لست أمسه إنما يمس المطهرون ثم تلا (لا يمس إلا المطهرون) ، وقيل : الجملة صفة لقرآن ، والمراد - بالمطهرون - المطهرون من الكفر ، والمس مجاز عن الطلب كاللمس في قوله تعالى : (إنا لمسنا السماء) أى لا يطلب إلا المطهرون من الكفر ، ولم أر هذا مروياً عن أحد من السلف ، والنفي عليه على ظاهره ، ورجح جمع جعل الجملة وصفاً للقرآن لأن الكلام مسوق لحرمته وتعظيمه لا لشأن الكتاب المكنون ، وإن كان في تعظيمه تعظيمه . وصحح الامام جعلها وصفاً للكتاب - وفيه نظر - وعلى الوصفية للقرآن ذهب من ذهب إلى اختيار تفسير المطهرين بالمطهرين عن الحدث الاكبر والا صغر *

وفي الاحكام للجلال السيوطي استدلل الشافعي بالآية على منع المحدث من مس المصحف وهو ظاهر في

اختيار ذلك ، والاحتمال جعل الجملة صفة للكتاب المسكون أو للقرآن ، وكون المراد بالمطهرين الملائكة المقربين عليهم السلام على ما سمعت عن ابن عباس . وقادة عدل الا كثرون عن الاستدلال بها على ذلك إلى الاستدلال بالاخبار ، فقد أخرج الامام مالك . وعبدالرزاق . وابن أبي داود . وابن المنذر عن عبدالله بن أبي بكر عن أبيه قال في كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر بن حزم « ولا تمس القرآن إلا على طهور » * وأخرج الطبراني . وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : لا يمس القرآن إلا طاهر » إلى غير ذلك ، وقال بعضهم : يجوز أن يؤخذ منع مس غير الطاهر القرآن من الآية على الاحتمالين الآخرين أيضاً ، وذلك لأنها أفادت تعظيم شأن القرآن وكونه كريماً ، والمس بغير طهر محل بتعظيمه فتأباه الآية وهو كما ترى ، وأطال الامام الكلام في هذا المقام بما لا يخفى حاله على من راجعه ، نعم لاشك في دلالة الآية على عظم شأن القرآن ومقتضى ذلك الاعتناء بشأنه ولا ينحصر الاعتناء بمنع غير الطاهر عن مسه بل يكون بأشياء كثيرة كالإكثار من تلاوته والوضوء لها وأن لا يقرأه الشخص وهو متنجس الفم فانه مكروه * وقيل : حرام لمس باليد المتنجسة ، وكون القراءة في مكان نظيف ، والقارئ مستقبل القبلة متخشعاً بسكينة ووقار مطراً رأسه ، والاستيائك لقراءته ، والترتيل ، والتدبر ، والبكاء ، أو التباكى ، وتحسين الصوت بالقراءة وأن لا يتخذ معيشة ، وأن يحافظ على أن لا ينسى آية أو تيها منه ، فقد أخرج أبو داود وغيره « عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها ، وأن لا يجمع بحضرته فان أراد ستره ، وأن لا يضع غيره من الكتب السبوية وغيرها فوقه ، وأن لا يقلب أوراقه بأصبع عليها بزاق ينفصل منه شيء فقد قيل : بكفر من يفعل ذلك . إلى أمور آخر مذكورة في محالها ، وفي وجوب كون القارئ طاهراً من الاحداث خلاف ، فعن ابن عباس في رواية أنه يجوز للجنب قراءة القرآن ، وروى ذلك أيضاً عن الامام أبي حنيفة ، وعن ابن عمر أحب إلى أن لا يقرأ إلا طاهر وكأنهم اعتبروه كسائر الاذكار والفرق مثل الشمس ظاهره . وقرأ عيسى (المطهرون) اسم مفعول مخففاً من أطهر ، ورويت عن نافع . وأبي عمرو ، وقرأ سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه (المطهرون) بتخفيف الطاء وتشديد الهاء وكسرهما اسم فاعل من طهر أي (المطهرون) أنفسهم ، أو غيرهم بالاستغفار لهم والالهام ، وعنه أيضاً (المطهرون) بتشديدهما وأصله المتطهرون فادغم التاء بعد إبدالها في الطاء ، ورويت عن الحسن . وعبد الله بن عون ، وقرئ المتطهرون على الاصل ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٨٠ ﴾ صفة أخرى للقرآن أي منزل ، أو وصف بالمصدر لأنه ينزل نجوماً من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك أجرى مجرى بعض أسمائه فقل جاء في التنزيل كذا ونطق به بالتنزيل .

وجوز كونه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل على الاستئناف ، وقرئ تنزيلاً بالنصب على نزل تنزيلاً ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي أتعرضون بهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله والإيمان بما تضمنه وأرشد اليه وهو القرآن الكريم ﴿ أَنْتُمْ مَدْهُنُونَ ٨١ ﴾ متهاونون به لمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ، وأصل الادهان كما قيل : جعل الأديم ونحوه مدهوناً بشيء من الدهن ولما كان ذلك مليناً ليناً محسوساً يراد به اللين المعنوي على أنه تجوز به عن مطلق اللين أو استعير له ، ولذا سميت المداراة مدهانة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية ، ولذا تجوز به هنا عن التهاون أيضاً لأن التهاون بالامر

لا يتصلب فيه، وعن ابن عباس. والزجاج (مدهنون) أى مكذبون، وتفسيره بذلك لان التكذيب من فروع التهاون. وعن مجاهد أى منافقون فى التصديق به تقولون للمؤمنين آمنا به وإذا خلوتم إلى إخوانكم قلتم إنا معكم والخطاب عليه للمنافقين وما قدمناه أولى، والخطاب عليه للكفار كما يقتضيه السياق *
وجوز أن يراد بهذا الحديث ما تحدثوا به من قبل فى قوله سبحانه: (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) فالكلام عود إلى ذلك بعد رده كأنه قيل: أفهذا الحديث الذى تتحدثون به فى إنكار البعث أتم مدهنون أصحابكم أى تعلمون خلافه وتقولونه مدهانة أم أتم به جازمون وعلى الإصرار عليه عازمون، ولا يخفى بعده، وفيه مخالفة لسبب النزول وستعلمه قريبا إن شاء الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ شكركم ﴿ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ٨٢ ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا، أخرج ذلك الامام أحمد والترمذى وحسنه. والضياء فى المختارة. وجماعة عن على كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو إما إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى أن فى الكلام مضافا مقدر أى شكر رزقكم أو إشارة إلى أن الرزق مجاز عن لازمه وهو الشكر، وحكى الهيثم بن عدى أن من لغة ازدشنوة مارزق فلان فلاناً بمعنى شكره، ونقل عن الكرماني أنه نقل فى شرح البخارى أن الرزق من أسماء الشكر واستبعد ذلك ولعله هو ما حكاه الهيثم، وفى البحر وغيره أن علياً كرم الله تعالى وجهه. وابن عباس قرأ - شكركم - بدل (رزقكم) وحمله بعض شراح البخارى على التفسير من غير قصد للتلاوة وهو خلاف الظاهر، وقد أخرج ابن مردويه عن أبى عبد الرحمن السلى قال: قرأ على كرم الله تعالى وجهه (الواقعة) فى الفجر فقال: (وتجعلون - شكركم - أنكم تكذبون) فلما انصرف قال: إني قد عرفت أنه سيقول قائل لم قرأها كذا إني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ كذلك كانوا إذا أمطروا قالوا: أمطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى -وتجعلون - شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون - ومعنى جعل شكرهم التكذيب جعل التكذيب مكان الشكر فكانه عينه عندهم فهو من باب * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قول الراجز:

وكان شكر القوم عند المنن (فى الصحيحات وفقه الأعين)

وأكثر الروايات أن قوله تعالى: (وتجعلون) الخ نزل فى القائلين: مطرنا بنوء كذا من غير تعرض لما قبله وأخرج مسلم. وابن المنذر. وابن مردويه عن ابن عباس قال: «مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) حتى بلغ (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) *
وأخرج نحوه ابن عساكر فى تاريخه عن عائشة رضى الله تعالى عنها وكان ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم عن أبى عروة رضى الله تعالى عنه فى غزوة تبوك نزلوا الحجر فأمرهم ﷺ أن لا يحملوا من مائه شيئاً ثم ارتحلوا ونزلوا منزلاً آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عليه الصلاة والسلام فصلى ركعتين ثم دعا فأمطروا وسقوا فقال رجل من الانصار يتهم بالنفاق: إنا مطرنا بنوء كذا فنزل ما نزل، ولعل جمعا من الكفار قالوا نحو ذلك أيضا بل هم لم يزالوا يقولون ذلك، والأخبار متضافرة على أن الآية فى القائلين بالانواء، بل قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أنها توييح لأرئلك، وظاهر مقابلة الشكر بالكفر فى الحديث السابق أن المراد بالكفر كفران النعمة إذا أضيفت لغير موجدتها جل جلاله؛

وقد صرح ذكره مع الايمان ، أخرج البخارى . ومسلم . وأبو داود . والنسائى . وغيرهم عن زيد بن خالد الجهنى قال: صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما سلم أقبل علينا فقال: هل تدرون ما قال ربكم في هذه الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال: قال: ما أنعمت على عبادى نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين فأما من آمن بي وحمدنى على سقياى فذلك الذى آمن بي وكفر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذى آمن بالكوكب وكفر بي» والآية على القول بنزولها في قائل ذلك ظاهرة في كفرهم المقابل للايمان فكأنهم كانوا يقولونه عن اعتقاد أن الكواكب مؤثرة حقيقة موجدة للمطر وهو كفر بلا ريب بخلاف قوله مع اعتقاد أنه من فضل الله تعالى ، والنوء ميقات وعلامة له فانه ايس بكفر ، وقيل : تسميته كفراً لأنه يفضى إليه إذا اعتقد أنه مؤثر حقيقة .

هذا وقيل : معنى الآية - وتجعلون شكركم - نعمة القرآن - أنكم تكذبون - به ، ويشير إلى ذلك ما رواه قتادة عن الحسن بنس ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب .

وفي الارشاد أنه الأوفق لسياق النظم الكريم وسباقه ، وأقول ما قدمناه تفسير ما ثور نطقت به السنة المقبولة ، وذهب اليه الجمهور وليس فيه ما يأتى إرادة معنى مطابق لسبب النزول وموافق لسياق النظم الكريم وسباقه ، وذلك بأن يقال : إنه عز وجل بعد أن وصف القرآن بما دل على جلالة شأنه وعزة مكانه وأشعر باشماله على ما فيه تزكية النفوس وتحليتها بما يوجب لها من العقائد الحققة ونحوها حيث قال سبحانه : (تنزيل من رب العالمين) فغير جل وعلا عن ذاته سبحانه بلفظ الرب الدال على الترتية وهى تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً . وقد يستفاد ذلك من وصفه بكريم بناءً على أن المراد به نفاع جم المنافع فانه لا منفعة أجل مما ذكر وكان قد ذكر عز وجل غير بعيد ما يدل على أنه تعالى هو المنزل للمطر لا غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً قال عز قائل : أفبهذا القرآن الجليل الشأن المشتمل على العقائد الحققة المرشد إلى ما فيه نفعكم أنتم متهاونون فلا تشكرون الله تعالى عليه وتجعلون بدل شكركم أنكم تكذبون به ، ومن ذلك أنكم تقولون إذا مطرتم مطرنا بنوء كذا وكذا فتسندون إنزال المطر إلى الكواكب وقد أرشدكم غير مرة إلى ما يأتى ذلك من العقائد وهذا كم إلى أنه تعالى هو المنزل للمطر لا الكواكب ولا غيرها أصلاً - فما جاء من تفسير تكذبون بقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ليس المراد منه إلا بيان نوع اقتضاه الحال من التكذيب بالقرآن المنعوت بتلك النعوت الجليلة وكون ذلك على الوجه الذى يزعمه الكفار تكذيباً به مما لا ينتطح فيه كبشان ، وهذا لا تمحل فيه ، وقد يقال على تقدير أن يراد بالرزق المطر وكون (تكذبون) على معنى تكذبون بكونه - أى المطر - من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء وإن لم أقف على التصريح به فى أثر يعول عليه ، المعنى أفبهذا القرآن الجليل المرشد إلى أن كل نعمة منه تعالى لا غير المصرح عن قريب بأنه المنزل للمطر وحده (أنتم مدهنون) أى تكذبون على ما سمعت عن ابن عباس . والزجاج ومن ذلك أنكم (تجعلون) موضع شكر ما يرزقكم من المطر وينزله لكم أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى وتنسبونه إلى الأنواء ، والتبكيك الآتى مبنى على تكذيبهم بالقرآن المفهوم من (تكذبون) أو من قوله سبحانه : (أنتم مدهنون) لكن التكذيب به باعتبار التكذيب ببعض مناطق به بما سبق وتوقف المراد بالآية على الخبر غير بدع فى القرآن الكريم ، وحال عطف (تجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على ما قبله لا يخفى على نبيه ، فتأمل والله تعالى الموفق لفهم كتابه الكريم .

وقرأ المفضل عن عاصم (تكذنون) بالتخفيف من الكذب وهو قولهم في القرآن إنه - وحاشاه - افتراء ويرجع إلى هذا قولهم في المطر : إنه من الأنواء لأن القرآن ناطق بخلافه ، وقوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۙ ٨٣ ﴾ الخ تبيكت كما سمعت وذلك باعتبار تكذيبهم بما نطق به قوله تعالى : (نحن خلقناكم) الخ أعنى الآيات الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم - ولولا - للتخصيص بإظهار عجزهم ، و (إذا) ظرفية ، و (الحلقوم) مجرى الطعام ؛ وضمير (بلغت) للنفس لانفهامها من الكلام وإن لم يجر لها ذكر قبل ، والمراد بها الروح بمعنى البخار المنبعث عن القلب دون النفس الناطقة فانها لا توصف بما ذكر وكأنه مبنى على القول بتجرد النفس الناطقة وهي المسماة بالروح الامرية ، وأنها لا داخل البدن ولا خارجه ولا تتصف بصفات الاجسام كالصعود والنزول وغيرها على ما اختاره حجة الإسلام الغزالي وجماعة من المحققين ، ومذهب السلف أن النفس الناطقة وهي الروح المشار إليها بقوله تعالى : (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) جسم لطيف جداً سار في البدن سريان ماء الورد في الورد وهو حي بنفسه يتصف بالخروج والدخول وغيرهما من صفات الاجسام ، وقد رد العلامة ابن القيم قول الغزالي ومن وافقه بأدلة كثيرة ذكرها في كتابه الروح ، ووصفها بيلوغ الحلقوم عليه ظاهر * وأما على القول بالتجرد وعدم التحيز فقليل : المراد به ضعف التعلق بالبدن وقرب انقطاعه عنه فكأنه قيل : فلولا

إذا حان انقطاع تعلق الروح بالبدن ﴿ وَأَتُمُّ ﴾ أيها الحاضرون حول صاحبها ﴿ حِينَئِذٍ ﴾ أي حين إذ بلغت الحلقوم ووصات إليه أو حان انقطاع تعلقها ﴿ تَنْظُرُونَ ۙ ٨٤ ﴾ إلى ما يقاسيه من الغمرات ، وقيل : (تنظرون) حالكم ووجه أنهم يعلمون أن ما جرى عليه يجري عليهم فكأنهم شاهدوا حال أنفسهم وليس بذلك *

وقرأ عيسى حينئذ بكسر النون اتباعاً للحركة الهمزة في إذ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ أي المختضر المفهوم من الكلام ﴿ مِنْكُمْ ﴾ والمراد بالقرب العلم وهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب فإن القرب أقوى سبب للاطلاع والعلم ، وقال غير واحد : المراد القرب علماً وقدرة أي نحن أقرب إليه في كل ذلك منكم حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها الحقيقية ولا أن تقدروا على مباشرة دفعها إلا بما لا ينجم شيئاً ونحن المستولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت ﴿ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ۙ ٨٥ ﴾ لا تدركون كوننا أقرب إليه منكم لجهلكم بشئنا وقد علمت أن الخطاب للكفار ، وقيل : لا تدركون كنه ما يجري عليه على أن الاستدراك من تنظرون ؛ والابصار من البصر بالعين تجوز به عن الإدراك أو هو من البصيرة بالقلب ، وقيل : أريد بأقربيته تعالى إليه منهم أقرية رسله عز وجل أي ورسائنا الذين يقبضون روحه ويعالجون إخراجها أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرونهم ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ أي غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم وتعبدتم ، ومنه قيل للعبد : مدين وللأمة مدينة قال الاخطل :

دبت ورباً في حجرها ابن (مدينة) تراه على مسحاته يتركل

والكلام ناظر إلى قوله تعالى : (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) ، وقيل : هو من دان بمعنى انقاد وخضع ، وتجوز به عن الجزاء كما في قولهم : كما تدين تدان - أي فلولا إن كنتم غير مجزيين وجعل ناظراً لأنكارهم البعث وليس بشئ ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ أي الروح إلى مقرها والقائلون بالتجرد يقولون أي ترجعون تعلقها كما كان أولاً *

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٨٧) في اعتقادكم عدم خالقيته تعالى فإن عدم تصديقهم بخالقيته سبحانه لهم عبارة عن تصديقهم بعدمها على مذهبهم، وفي البحر وغيره إن كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالحجي المميت المبدى المعيد نسبتكم لزال المطر إلى الأنواء دونه عز وجل ، وترجعون المذكور هو العامل - ياذا - الظرفية في (إذا بغلت الحلقوم) وهو المحضض عليه - بلولا - الأولى، و(لولا) الثانية تكرير للتأكيد ، و(لولا) الأولى مع ما في حيزها دليل جواب الشرط الأول أعني (إن كنتم غير مدينين) والشرط الثاني مؤكد للأول مبين له، وقدم أحد الشرطين على (ترجعونها) للاهتمام والتقدير - فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مربوبين صادقين فيما تزعمونه من الاعتقاد الباطل فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم - وحاصل المعنى أنكم إن كنتم غير مربوبين كما تقتضيه أقوالكم وأفعالكم فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن إذا بلغت الحلقوم وتردونها كما كانت بقدرتكم أو بواسطة علاج للطبيعة ، وقوله تعالى : (وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ) جملة حالية من فاعل (بلغت) والاسمية المقترنة بالواو لا تحتاج في الربط للضمير لكفاية الواو فلا حاجة إلى القول بأن العائد ماتضمنه حينئذ لأن التووين عوض عن جملة أى فلولا ترجعونها زمان بلوغها الحلقوم حال نظركم اليه وما يقاسيه من هول النزاع مع تعطفكم عليه وتوفركم على إنجائه من المهالك ، وقوله سبحانه : (ونحن أقرب) الخ اعتراض يؤكد ماسبق له الكلام من توبيخهم على صدور ما يدل على سوء اعتقادهم بربهم سبحانه منهم ، وفي جواز جملة حالاً مقالاً وقال أبو البقاء : (ترجعونها) جواب (لولا) الأولى ، وأغنى ذلك عن جواب الثانية ، وقيل : عكس ذلك * وقيل : (إن كنتم) شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدماً في التقدير - أى إن كنتم صادقين إن كنتم غير مربوبين فارجعوا الأرواح إلى الأبدان - وما ذكرناه سابقاً اختيار جار الله وأياً ما كان فقوله تعالى :

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٨٨) إلى آخره شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة وضمير (كان) للمتوفى المفهوم مما مر أى فأما إن كان المتوفى الذي بين حاله من السابقين من الأزواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أو صافهم ﴿فَرَوْحٌ﴾ أى فله روح على أنه مبتدأ خبره محذوف مقدم عليه لأنه نكرة ، وقيل : خبر مبتدأ محذوف أى فجزاؤه ، وح أى استراحة ، والفاء واقعة في جواب أما ، قال بعض الأجلة : تقدير هذا الكلام مهما يكن من شئ فروح الخ إن كان من المقرين لحذف مهما يكن من شئ ، وأقيم أما مقامه ولم يحسن أن يلي الفاء أما ، فأوقع الفصل بين أما والفاء بقوله سبحانه : (إن كان من المقرين) لتحسين اللفظ كما يقع الفصل بينهما بالظرف والمفعول ، والفاء في (فروح) وأخويه جواب أما دون (إن) ، وقال أبو البقاء : جواب أما (فروح) ، وأما (إن) فاستغنى بجواب أما عن جوابها لأنه يحذف كثيراً ، وفي البحر أنه إذا اجتمع شرطان فالجواب للسابق منهما ، وجواب الثاني محذوف ، فالجواب ههنا لأما ، وهذا مذهب سيويه *

وذهب الفارسي إلى أن المذكور جواب (إن) وجواب أما محذوف ، وله قول آخر موافق لمذهب سيويه * وذهب الأخفش إلى أن المذكور جواب لها معاً ، وقد أبطلنا المذهبين في شرح للتسهيل انتهى ، والمشهور أنه لا بد من لصوق الاسم - لأما - وهو عند الرضى وجماعة أكثرى لهذه الآية ، والناهبون إلى الأول قالوا : هي بتقدير فأما المتوفى (إن كان) وتعقب بأنه لا يخفى أن التقدير مستغنى عنه ولا دليل عليه إلا اطراد الحكم ، ثم إن كون - أما - قائمة مقام مهما يكن أغلبي إذ لا يطرده في نحو أما قريشاً فأنا أفضلها إذ التقدير مهما ذكرت قريشاً

فأنا أفضلها ، وتام الكلام في هذا المقام يطلب من كتب العربية .

وأخرج الامام أحمد . والبخارى في تاريخه . وأبو داود . والنسائي . والترمذى وحسنه . والحاكم وصححه . وآخرون عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ (فروح) بضم الراء ، وبه قرأ ابن عباس . وقتادة . ونوح القارى . والضحاك . والاشهب . وشعيب . وسليمان التيمى . والربيع بن خثيم . ومحمد بن على . وأبو عمران الجونى . والكلى . وفياض . وعبيد . وعبد الوارث عن أبى عمرو . ويعقوب ابن حسان . وزيد . ورويس عنه . والحسن وقال : (الروح) الرحمة لأنها كالحياء للرحوم ، أو سبب لحياته الدائمة فأطلقه عليها من باب الاستعارة أو المجاز المرسل ، وروى هذا عن قتادة أيضاً ، وقال ابن جنى : معنى هذه القراءة يرجع إلى معنى الروح فكأنه قيل : فله ممسك روح وممسكها هو الروح كما تقول : الهواء هو الحياة وهذا السماع هو العيش ، وفسر بعضهم الروح بالفتح بالرحمة أيضاً كما فى قوله تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله) وقيل : هو بالضم البقاء ﴿ وَرِيحَانٌ ﴾ أى ورزق كما روى عن ابن عباس . ومجاهد . والضحاك ، وفى رواية أخرى عن الضحاك أنه الاستراحة ، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن أنه قال : هو هذا الريحان أى المعروف .

وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : تخرج روح المؤمن من جسده فى ريحانة : ثم قرأ (فأما إن كان) الخ . وأخرج ابن جرير . وابن أبى حاتم عن أبى العالية قال : لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصنين من ريحان الجنة فيشتمهما ثم يقبض ﴿ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ٨٩ ﴾ أى ذات تنعم فالإضافة لامية أولادنى ملابسة ، وهذا إشارة إلى مكان المقربين بحيث يلزم منه أن يكونوا أصحاب نعيم .

وأخرج الامام أحمد فى الزهد . وابن أبى شبة . وعبد بن حميد . وابن المنذر عن الربيع بن خثيم قال فى قوله تعالى : (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان) : هذا له عند الموت ، وفى قوله تعالى : (وجنة نعيم) تخبأه الجنة إلى يوم يبعث ولينظر ما المراد بالريحان على هذا ، وعن بعض السلف ما يقتضى أن يكون الكل فى الآخرة . ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩٠ ﴾ عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف ينبئ عن شأنهم سواء كما ذكر للفریقین الآخرين ، وقوله تعالى : ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١ ﴾ قيل : هو على تقدير القول أى فيقال لذلك المتوفى منهم سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى : (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً) فالخطاب لصاحب اليمين ولا التفات فيه مع تقدير القول ، و(من) للإبتداء كما تقول سلام من فلان على فلان وسلام لفلان منه .

وقال الطبرى : معناه فسلام لك أنت من أصحاب اليمين ، فمن أصحاب اليمين خبر مبتدأ محذوف والكلام بتقدير القول أيضاً ، وكان هذا التفسير مأخوذ من كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

أخرج ابن جرير . وابن المنذر عنه أنه قال فى ذلك : تأتية الملائكة من قبل الله تعالى تسلم عليه وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، والظاهر أن هذا على هذا المعنى عند الموت ، وأنه على المعنى السابق فى الجنة .

وجوز أن يكون المعنى فسلامة لك عما يشغل القلب من جهتهم فانهم فى خير أى كن فارغ البال عنهم لا يهملك أمرهم ، وهذا كما تقول لمن عاق قلبه بولده الغائب وتشوش فكره لا يدري ما حاله كن فارغ البال من ولدك فانه فى راحة ودعة ، والخطاب لمن يصلح له أو لسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعليه قيل : يجوز أن يكون

ذلك تسلياً له عليه الصلاة والسلام على معنى أنهم غير محتاجين إلى شفاعته وغيرها، ولا يخفى أن كون جميع أصحاب اليمين غير محتاجين إلى ما ذكر غير مسلم فالشفاعة لأهل الكبائر أمر ثابت عند أهل السنة ولا جائز أن يكونوا من أصحاب الشمال فصرائح الآيات أنهم كفار (وما لهم من ول ولا شفيع يطاع) وكونهم من أصحاب اليمين أقرب من كونهم من السابقين وجعلهم قسماً على حدة قد علمت حاله فتذكر فما في العهد من قدم * وذكر بعض الأجلة أن هذه الجملة كلام يفيد عظمة حالهم كما يقال فلان ناهيك به وحسبك أنه فلان إشارة إلى أنه ممدوح فوق حد التفصيل ، وكأني بك تختار ذلك فانه حسن لطيف *

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ٩٢ ﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى : (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون) ذمهم بذلك وإشعار بأسبب ما ابتلوا به من العذاب ، ولما وقع هذا الكلام بعد تحقق تكذيبهم ورده على أنهم وجه ولم يقع الكلام السابق كذلك قدم وصف التكذيب هنا على عكس ما تقدم ، ويجوز أن يقال في ذلك على تقدير عموم متعلق التكذيب بحيث يشمل تكذيبه ﷺ في دعوى الرسالة إن هذا الكلام إخبار من جهته سبحانه بأحوال الأزواج الثلاثة لم يؤمر عليه الصلاة والسلام بأن يشافه بكل جملة منه من هي فيه فقدم فيه وصف التكذيب الشامل لتكذيبه عليه الصلاة والسلام المشعر بسبب الابتلاء بالعذاب كرامة له ﷺ وتنوياً بعلو شأنه ، ولما كان الكلام السابق داخلًا في حيز القول المأمور عليه الصلاة والسلام بأن يشافه به أولئك الكفرة لم يحسن التقديم للكرامة إذ يكون حينئذ من باب مادم نفسه يقرئك السلام ، ويجوز أن يقال أيضاً إن الكلام في حال الكافر المحتضر والتكذيب لكونه مقابل التصديق لا يكون إلا بالقلب وهو لم يتعطل منه تعطل سائر أعضائه فلذا قدم هنا ، ويرشد إلى هذا ما قالوه في دعاء صلاة الجنائز اللهم من أحييته منافأحيه على الإسلام ومن توفيته منافتوفه على الإيمان من وجه تخصيص الإسلام بالإحياء والإيمان بالأمانة *

وقال الإمام في ذلك : إن المراد من الضلال هناك ما صدر عنهم من الإصرار على الحنث العظيم فضلوا عن سبيل الله تعالى ولم يصلوا إليه ثم كذبوا رسله ، (وقالوا أنذا متنا) الخ فكذبوا بالحشر فقال تعالى : (أيها الضالون) الذين أشركتم المكذبون الذين أنكرتم الحشر لا تكون ما تكرهون ، وأما هنا فقال سبحانه لهم : أيها المكذبون الذين كذبتم بالحشر الضالون من طريق الخلاص الذين لا يهتدون إلى النعيم ، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هناك مع الكفار فقال سبحانه : أيها الذين أشركتم أولاً وكذبتم ثانياً ، والخطاب هنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبين له عليه الصلاة والسلام حال الأزواج الثلاثة كما يدل عليه . فسلام لك فقال سبحانه : المقربون في روح وريحان وجنة نعيم وأصحاب اليمين في سلامة ، وأما المكذبون الذين كذبوك وضلوا فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث بين أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم انتهى ، وعليك بالتأمل والانصاف والنظر لما قال دون النظر لمن قال ، وقوله تعالى : ﴿ فَزُلْ ﴾ بتقدير فله نزل

أو فجزاؤه نزل كائن ﴿ مَنْ حَمِيم ﴾ قيل : يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل ﴿ وَتَصَلِّيْهُ جَحِيم ﴾ أي إدخال في النار ، وقيل : إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وكل ذلك مبنى على أن المراد بيان ما لهم يوم القيامة ، وقيل : هذا محمول على ما يجده في القبر من حرارة النار ودخانها لأن الكلام في حال التوفي وعقب قبض الأرواح والأنسب بذلك كون ما ذكر في البرزخ ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في الآية : لا يخرج

الكافر حتى يشرب كأساً من حميم ، وقرأ أحمد بن موسى . والمنقرى . واللؤلؤى عن أبي عمرو (وتصلية) بالجر عطفاً على (حميم) ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ أى الذى ذكر فى السورة الكريمة كما أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ لَهْوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥ ﴾ اليقين على ما يفهم من كلام الزحشرى فى الجائية اسم للعلم الذى زال عنه اللبس وبذلك صرح صاحب المطلع وذكر أنه تفسير بحسب المعنى وهو مأخوذ من المقام وإلا فهو العلم المتيقن مطلقاً والاضافة بمعنى اللام والمعنى - لهو عين اليقين - فهو على نحو عين الشئ ونفسه ولا يخفى أن الاضافة من إضافة العام إلى الخاص وكونها بمعنى اللام قول لبعضهم ، وقال بعض آخر : إنها يائية على معنى من ، وقدر بعضهم هنا موصوفاً أى لهو حق الخبر اليقين وكونه لا يناسب المقام غير متوجه ، وفى البحر قيل : إن الإضافة من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين و صواب الصواب بمعنى أنه نهاية فى ذلك فهما بمعنى أضيف أحدهما إلى الآخر للمبالغة وفيه نظر ، والفاء فى قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٩٦ ﴾ لترتيب التسييح أو الأمر به ، فان حكمة ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب التسييح عمالاً يليق بما ينسبه الكفرة إليه سبحانه قالوا أو حالاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً وأخرج الامام أحمد . وأبو داود . وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وصححه . وغيرهم عن عقبة بن عامر الجهنى قال : « لما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال : اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال : اجعلوها فى سجودكم » •

وبما قاله السادة أرباب الإشارة متعلقاً ببعض هذه السورة الكريمة أن (الواقعة) اسم لقيامه الروح كما أن (الآزفة) اسم لقيامه الحقى ، و (الحاقة) اسم لقيامه السر ، و (الساعة) اسم لقيامه القلب ، وقالوا : إن الواقعة إذا وقعت ترفع صاحبها طوراً وتخفضه طوراً وتشعل نيران الغيرة وتفجر أنهار المعرفة وتحصل للسالك إذا اشتغل بالسلوك والتصفية ووصل ذكره إلى الروح وهى فى البداية مثل ستر أسود يحجب من فوق الرأس عند غلبة الذكر وكلما زاد فى النزول يقع على الذائر هبة وسكينة وربما يغشى عليه فى البداية ويشاهد إذا وقم على عينيه عوالم الغيب فيرى ما شاء الله تعالى أن يرى وتكشف له العلوم الروحانية ويرى عجائب وغرائب لا تحصى ، وإذا أفاق فليعرض ما حصل له لمسلكه ليرشده إلى ما فيه مصلحة وقته ويعبر له ما هو مناسب لحوصلة ويقوى قلبه ويأمره بالذكر والتوجه الكلى حتى يكمل بصفو سر الواقعة فيكون سراً منوراً فر بما يصير السالك بحيث إذا فتح عينيه بعد نزولها فى عالم الشهادة يشاهد ما كان مشاهداً له فيها وهى حالة سنية معتبرة عند أرباب السلوك - فليس لوقعتها كاذبة - بل هى صادقة لأن الشيطان يفر عندها والنفس لا تقدر أن تلبس على صاحبها وهى اليقظة الحقيقية وما يعده الناس يقظة هو النوم كما يشير إليه قول أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، ثم أنهم تكلموا على أكثر ما فى السورة الجليلة بما يتعلق بالأنفس ، وقالوا فى مواقع النجوم : إنها إشارة إلى اللطائف المطهرة لأنها مواقع نجوم الواردات القدسية الخفية من السماء الجبروتية اللاهوتية ، وقيل : فى قوله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) إن فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي لمن لم يكن طاهر النفس من حدث الميل إلى صفات الشهوات - وهو الحدث الأصغر - ومن حدث الميل إلى كبائر الشهوات - وهو الحدث الأكبر - أن يمس يد نفسه وفكره معانى القرآن الكريم كما لا ينبغي لمن لم يكن طاهر البدن من الحدثين المعروفين فى البدن أن يمس يد بدنه وجسده ألفاظه المكتوبة ، وقيل : أيضاً يجوز أن يقال المعنى

لا يصل إلى أدنى حقائق أسرار القرآن الكريم إلا المطهرون من أرجاس الشهوات وأنجاس المخالفات .
 وإذا كانت هذه الجملة صفة للكتاب المكنون المراد منه اللوح المحفوظ وأريد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام،
 وكان المعنى لا يطلع عليه إلا الملائكة عليهم السلام كان في ذلك رد على من يزعم أن الأولياء يرون اللوح
 المحفوظ ويطلعون على ما فيه ، وحمل المطهرين على ما يعي الملائكة والأولياء الذين طهرت نفوسهم وقدمت
 ذواتهم حتى التحقوا بالملائكة عليهم السلام لا ينفع في البحث مع أهل الشرع فإن مدار استدلالهم على الأحكام
 الشرعية الظواهر على أنه لم يسمع عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أنه نظر يوماً وهو بين أصحابه
 إلى اللوح المحفوظ واطلع على شيء مما فيه . وقال لهم: إني رأيت اللوح المحفوظ واطلعت على كذا وكذا فيه،
 وكذلك لم يسمع عن أجلة أصحابه الخلفاء الراشدين أنه وقع لهم ذلك ، وقد وقعت بينهم مسائل اختلفوا فيها
 وطال نزاعهم في تحقيقها إلى أن كاد يغم هلال الحق فيها ولم يراجع أحد منهم لكشفها اللوح المحفوظ .
 وذكر بعض العلماء أن سدرة المنتهى ينتهى علم من تحتها إليها وأن اللوح فوقها بكثير ، وبكل من ذلك
 نطقت الآثار، وهو يشعر بعدم اطلاع الأولياء على اللوح، ومع هذا كله من ادعى وقوع الاطلاع فعليه البيان
 وأنى به ، وهذا الذي سمعت مبنى على ما نطقت به الأخبار في صفة اللوح المحفوظ وأنه جسم كتب فيه ما كان
 وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأما إذا قيل فيه غير ذلك انجر البحث إلى وراء ما سمعت، واتسعت الدائرة .
 ومن ذلك قولهم: إن الألواح أربعة، لوح القضاء السابق على الخلق والاثبات وهو لوح العقل الأول، ولوح
 القدر أى لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول وهو المسمى باللوح المحفوظ ، ولوح
 النفس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم شكله وهيئته ومقداره - وهو المسمى بالسما الدنيا -
 وهو بمثابة خيال العالم كما أن الأول بمثابة روحه ، والثاني بمثابة قلبه ، ولوح الهيولى القابل للصورة في عالم الشهادة
 ويقولون أيضاً ما يقولون وينشد المنتصر له قوله :

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالابصار

هذا ولا تظن أن نفى رؤيتهم للوح المحفوظ نفى لكراماتهم الكشفية وإلهاماتهم الغيبية معاذ الله تعالى من ذلك،
 وطرق اطلاع الله تعالى من شاء من أوليائه على من شاء من علمه غير منحصر بإراءته اللوح المحفوظ ثم إن الإمكان
 مما لا نزاع فيه وليس الكلام إلا في الوقوع ، وورود ذلك عن النبي ﷺ وأجلة أصحابه كالصديق والفاروق.
 وذى النورين . وباب مدينة العلم . والنقطة التي تحت الباء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، والله تعالى أعلم .
 وقالوا في قوله تعالى : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) ما بنوه على القول بوحدة الوجود والكلام
 فيها شائع - وقد أشرنا إليه في هذا الكتاب غير مرة - ولهم في اليقين . وعين اليقين . وحق اليقين عبارات شتى،
 منها اليقين رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان، وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار
 بمحافظة الافكار ، وقيل: طمأنينة القلب على حقيقة الشيء من يقن الماء في الحوض إذا استقر ، وحق اليقين
 فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط . فعلم كل عاقل الموت علم اليقين فاذا عين الملائكة
 فهو عين اليقين ، وإذا ذاق الموت فهو حق اليقين ، وقيل: علم اليقين ظاهر الشريعة، وعين اليقين الاخلاص
 فيها، وحق اليقين المشاهدة فيها، (وقيل: وقيل:) ونحن نسأل الله تعالى الهداية إلى أقوم سبيل، وأن يشرح صدورنا
 بأنوار علوم كتابه الكريم الجليل . وهو سبحانه حسبنا في الدارين ونعم الوكيل .

﴿ سورة الحديد ﴾

أخرج جماعة عن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة ، وقال النقاش . وغيره : هي مدنية باجماع المفسرين ولم يسلم له ، فقد قال قوم : إنها مكية ، نعم الجمهور - كما قال ابن الفرس - على ذلك .

وقال ابن عطية : لا خلاف ان فيها قرآنا مديناً لكن يشبه أن يكون صدرها مكيّاً ، ويشهد لهذا ما أخرجه البزار في مسنده . والطبراني . وابن مردويه . وأبو نعيم في الحلية . والبيهقي . وابن عساكر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه دخل على أخته قبل أن يسلم فاذا صحيفة فيها أول سورة الحديد فقرأه حتى بلغ (آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) فأسلم ، ويشهد لمكية آيات أخر ما أخرج مسلم . والنسائي . وابن ماجه . وغيرهم عن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله تعالى بهذه الآية (ألم يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) إلا أربع سنين ، وأخرج الطبراني . والحاكم وصححه وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن ابن مسعود أخبره أنه لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يما تبهم الله تعالى بها إلا أربع سنين (ولا تكونوا كالَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ) الآية لكن سيأتي إن شاء الله تعالى آثار تدل على مدنية ما ذكر ولعلها لا تصلح للمعارضة .

ونزلت يوم الثلاثاء على ما أخرج الديلمي عن جابر مرفوعاً لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت على يوم الثلاثاء وفيه أيضاً خبر رواه الطبراني . وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما بسند ضعيف ، وهي تسع وعشرون آية في العراقي ، وثمان وعشرون في غيره ، ووجه اتصالها - بالواقعة - أنها بدئت بذكر التسبيح وتلك ختمت بالآمر به ، وكان أولها واقعاً موقع العلة لا أمر به فكأنه قيل : (سبح باسم ربك العظيم) لانه سبح له ما في السموات والارض ، وجاء في فضلها مع أخواتها ما أخرجه الإمام أحمد . وأبو داود . والترمذي وحسنه . والنسائي . وابن مردويه . والبيهقي في شعب الإيمان عن عرابض بن سارية « أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ، وقال : إن فيهن آية أفضل من ألف آية » وأخرج ابن الضريس نحوه عن يحيى بن أبي كثير ثم قال : قال يحيى : نراها الآية التي في آخر الحشر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ التسبيح على المشهور تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجناحه سبحانه من سبح في الارض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما ، وحيث أسند ههنا إلى غير العقلاء أيضاً فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما بل المراد بما فيهما الموجودات فيكون أظهر في تناول السموات والارض ويتناول أيضاً الموجودات المجردة عند القائل بها ، قال الجمهور : المراد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ، ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بكل ثل المنزه عن كل نقص ، وذهب بعض إلى أن التسبيح على حقيقته المعروفة في الجميع وهو مبنى على ثبوت النفوس الناطقة والادراك لسائر الحيوانات والجمادات على ما يليق بكل ، وقد صرح به جمع من الصوفية فتسبيح كل شئ عندهم قائل وإن تفاوت الامر ، وقيل : معنى سبح حمل رائيهِ العاقل على قول سبحانه الله تعالى ونبه عليه وهو كما ترى ، ومن يجوز استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه معا لا يحتاج إلى

عموم المجاز ، وجوز الطبرسي كون (ما) للعالم فقط مثلها في قول أهل الحجاز كما حكى أبو زيد عند سماع الرعد - سبحان (ما) سبحته - ولا يخفى أن عمومها العالم وغيره أولى ، والظاهر أنها في الوجهين موصولة ، وقال بعضهم : إنها نكرة موصوفة وأن أصل الكلام ما في السموات وما في الأرض ثم حذفت (ما) الثانية وأقيمت صفتها مقامها ، ولا يحسن أن تكون موصولة لأن الصلة لا تقوم مقام الموصول عند البصريين وتقوم الصفة مقام الموصوف عند الجميع ، والحمل على المتفق عليه أولى من الحمل على المختلف فيه وكون المذكورة موصولة والمحدوفة نكرة موصوفة بما لا وجه له انتهى .

وأنت تعلم أن حذف الموصول الصريح في مثل ذلك أكثر من أن يحصى وجيء باللام مع أن التسبيح متعدد بنفسه كما في قوله تعالى : (و تسبحوه) للتأكيدها فهي مزيدة لذلك كما في نصحت له وشكرت له ، وقيل : للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم أي فعل التسبيح وأوقعه لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه سبحانه ، وفيه شئ لا يخفى ، وعبر بالماضي هنا وفي بعض الأخوات وبالمضارع في البعض الآخر إيداناً بتحقيق التسبيح في جميع الأوقات ، وفي كل دلالة على أن من شأن ما أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيزاه وديدنه ، أما دلالة المضارع عليه فللدلالة على الاستمرار إلى زمان الاخبار وكذلك فيما يأتي من الزمان لعموم المعنى المقضى للتسبيح وصلاح اللفظ لذلك حيث جرد عن الدلالة على الزمان وأثر على الاسم دلالة على تجدد تسبيح غيب تسبيح ، وأما دلالة الماضي فالتجرد عن الزمان أيضاً مع التحقيق الذي هو مقتضاه فيشمل الماضي من الزمان ومستقبله كذلك ، وقيل : الإيدان والدلالة على الاستمرار مستفادان من مجموعي الماضي والمضارع حيث دل الماضي على الاستمرار إلى زمان الاخبار والمضارع على الاستمرار في الحال والاستقبال فشملوا جميع الأزمنة ، وقال الطيبي : افتتحت بعض السور بلفظ المصدر وبعض بالماضي وبعض بالمضارع وبعض بالامر فاستوعب جميع جهات هذه الكلمة إعلاما بأن المكونات من لدن إخراجها من العدم إلى الوجود إلى الأبد مسبحة مقدسة لذاته سبحانه وتعالى قولاً وفعلاً طوعاً وكرهاً (وإن من شئ إلا يسبح بحمده) (وَهُوَ الْعَزِيزُ) القادر الغالب الذي لا ينازعه ولا يمانعه شئ (الْحَكِيمُ ١) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصاحبة ، والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلّة الحكم ، وكذا قوله تعالى : (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والاعدام وسائر التصرفات ، وقوله سبحانه : (يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي يفعل الأحياء والإماتة استئناف مبين لبعض أحكام الملك وإذا جعل خبر مبتدأ محذوف أي هو يحيي ويميت كانت تلك الجملة كذلك وجعله حالا من ضمير له يؤم تقييد اختصاص الملك بهذه الحال ، وقوله تعالى :

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢) من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة (قَدِيرٌ ٢) مبالغ في القدرة تذييل وتكميل لما قبله (هُوَ الْأَوَّلُ) السابق على جميع الموجودات فهو سبحانه موجود قبل كل شئ حتى الزمان لأنه جل وعلا الموجد والمحدث للموجودات (وَالْآخِرُ) الباقي بعد فناءها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيتها فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية . ومن هنا قال ابن سينا : الممكن في حده ذاته ليس وهو عن علته أيس فلا ينافي هذا كون بعض

الموجودات الممكنة لا تنفي كالجنة والنار ومن فيهما كما هو مقرر مبين بالآيات والاحاديث لأن فناءها في حد ذاتها أمر لا ينفك عنها، وقد يقال: فناء كل ممكن بالفعل ليس بمشاهد، والذي يدل عليه الدليل إنما هو إمكانه فالبعدية في مثله بحسب التصور والتقدير، وقيل: هو الأول الذي تبدى منه الأسباب إذ هو سبحانه مسببها (والآخر) الذي تنتهي إليه المسببات فالأولية ذاتية والآخرية بمعنى أنه تعالى إليه المرجع والمصير بقطع النظر عن البقاء الثابت بالأدلة، وقيل: الأول خارجاً لأنه تعالى أوجد الأشياء فهو سبحانه متقدم عليها في نفس الأمر الخارجى والآخر ذهنياً وبحسب التعلق لأنه عز شأنه يستدل عليه بالموجودات الدالة على الصانع القديم كما قيل: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله تعالى بعده، وقال حجة الاسلام الغزالي: إن الأول يكون أولاً بالاضافة إلى شئ، والآخر يكون آخراً بالاضافة إلى شئ، وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشئ الواحد من وجه واحد بالاضافة إلى شئ واحد أولاً وآخر جميعاً بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولا حظت سلسلة الموجودات المترتبة فالتعالى بالاضافة إليها أول إذ كلها استفادات الوجود منه سبحانه وأما هو عز وجل فوجود بذاته وما استفاد الوجود من غيره سبحانه وتعالى عن ذلك، ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك ولا حظت منازل السالكين فهو تعالى آخر إذ هو آخر ما ترتقى إليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته تعالى فهي مرقاة إلى معرفته جل وعلا، والمنزل الأقصى هو معرفة الله جل جلاله فهو سبحانه بالاضافة إلى السلوك آخر وبالاضافة إلى الوجود أول فمنه عز شأنه المبدأ أولاً واليه سبحانه والمرجع والمصير آخر انتهى *

والظاهر أن كونه تعالى أولاً وآخر بالانسبة إلى الموجودات أولى ولعل ما ذكره أوفق بمشرب القوم. ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ أى بوجوده لأن كل الموجودات بظهوره تعالى ظاهر ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ بكنهه سبحانه فلا تحوم حوله العقول، وقال حجة الاسلام: هذان الوصفان من المضافات فلا يكون الشئ ظاهراً لشيء وباطناً له من وجه واحد بل يكون ظاهراً من وجه بالاضافة إلى إدراك وباطناً من وجه آخر فإن الظهور والباطن إنما يكون بالاضافة إلى الادراكات والله تعالى باطن إن طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر إن طلب من خزانة العقل بالاستدلال والريب من شدة الظهور وكل ما جاوز الحد انعكس إلى الضد، وإلى تفسير الباطن بغير المدرك بالحواس ذهب الزمخشري، ثم قال: إن الواو الأولى لعطف المفرد على المفرد فتفيد أنه تعالى الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية أيضاً كذلك فتفيد أنه تعالى الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى فاعطف المركب على المركب فتفيد أنه جل وعلا الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخريين فهو تعالى المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو تعالى في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس، وفي هذا حجة على من جوز إدراكه سبحانه في الآخرة بالحاسة أى وذلك لأنه تعالى ما من وقت يصح اتصافه بالأولية والآخرية إلا ويصح اتصافه بالظاهرية والباطنية معاً، فاذا جوز إدراكه سبحانه بالحاسة في الآخرة فقد نفى كونه سبحانه باطناً وهو خلاف ما تدل عليه الآية، وأجاب عن ذلك صاحب الكشف فقال: إن تفسير الباطن بأنه غير مدرك بالحواس تفسير بحسب التشبهى فان بطونه تعالى عن إدراك العقول كبطونه عن إدراك الحواس لأن حقيقة الذات غير مدركة لا عقلاً ولا حساً باتفاق بين المحققين من الطائفتين، والزمخشري ممن سلم فهو الظاهر بوجوده والباطن بكنهه وهو سبحانه الجامع بين الوصفين أزلاً

وأبداً ، وهذا لا ينافي الرؤية لأنها لا تفيد ذلك عند مثبتها انتهى ، وهو حسن فلا تغفل *

وعليه فالتذليل بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٠ ﴾ لثلاثتهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه عز وجل كما في الشاهد ، وقال الأزهري : قد يكون الظاهر والباطن بمعنى العالم لما ظهر وبطن ؛ وذلك أن من كان ظاهراً احتجب عنه الباطن ومن كان باطناً احتجب عنه الظاهر فان أردت أن تصفه بالعلم قلت هو ظاهر باطن مثله قوله تعالى : (لاشرقية ولا غربية) أى لاشرقية فقط ولا غربية فقط ولكنها شرقية غربية ، وفي التذليل المذكور حينئذ خفاء ، وقريب منه من وجه ما نقل أن الظاهر بمعنى العالی على كل شيء الغالب له من قولهم ظهر عليهم إذا علاهم وغلبهم ، والباطن الذي بطن كل شيء أى علم باطنه ، وتعقب بفوات المطابقة بين الظاهر والباطن عليه وأن بطنه بمعنى علم باطنه غير ثابت في اللغة ، لكن قيل: في الآثار ما ينصر تفسير الظاهر بما فسر *

أخرج مسلم . والترمذي . وابن أبي شيبة . والبيهقي عن أبي هريرة قال : « جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسأله خادماً فقال لها: قولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش الكريم العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالتق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » وقال الطيبي : المعنى بالظاهر في التفسير النبوي الغالب الذي يغلب ولا يغلب فيتصرف في المسكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه ، وبالباطن من لا ملجأ ولا منجى دونه يلتجئ اليه ملتجئ ، وبحث فيه بجواز أن يكون المراد أنت الظاهر فليس فوقك شيء في الظهور أى أنت أظهر من كل شيء إذ ظهور كل شيء بك وأنت الباطن فليس دونك في البطون شيء أى أنت أبطن من كل شيء إذ كل شيء يعلم حقيقته غيره وهو أنت وأنت لا يعلم حقيقته غيرك ، أولان كل شيء يمكن معرفة حقيقته وأنت لا يمكن أصلاً معرفة حقيقته ، وأيضاً في دلالة الباطن على ما قال: خفاء جداً على أنه لو كان الامر كما ذكر ما عدل عنه أجله العلماء فان الخير صحيح ، وقد جاء نحوه من رواية الامام أحمد . وأبي داود . وابن ماجه ، ويبعد عدم وقوف أولئك الأجلة عليه ، وأبعد من ذلك أن يكون ما ذكره عليه السلام من أسمائه تعالى غير ما في الآية ، ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام أراد بقوله : « فليس دونك شيء » ليس أقرب منك شيء ، ويؤيده ما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن مقاتل قال : بلغنا في قوله تعالى : (هو الأول) الخ هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء ، وإنما يعنى القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه والذي يرجح عندي ما ذكر أولاً ، وعن بعض المتصوفة أهل وحدة الوجود أن المراد بقوله سبحانه : (هو الأول) الخ أنه لا موجود غيره تعالى إذ كل ما يتصور موجوداً فهو إما أول أو آخر أو ظاهر أو باطن فاذا كان الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن لا غيره كان كل ما يتصور موجوداً هو سبحانه لا غيره ، وأيدوه بما في حديث مرفوع أخرجه الإمام أحمد . وعبد بن حميد . والترمذي . وابن المنذر . وجماعة عن أبي هريرة « والذي نفسي بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لبط على الله » قال أبو هريرة ، ثم قرأ النبي ﷺ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) *

وحال القول بوحدة الوجود مشهور وأما الخبر فمن التشابه ، وقد قال فيه الترمذي : فسر أهل العلم

الحديث فقالوا : أى لبط على علم الله تعالى وقدرته وسلطانه ، ويؤيد هذا ذكر التذليل وعدم اقتصاره عليه الصلاة والسلام على ما قبله ، وهذه الآية ينبغي لمن وجد في نفسه وسوسة فيما يتعلق بالله تعالى أن يقرأها ، فقد أخرج أبو داود عن أبي زميل أن ابن عباس قال له وقد أعلمه أن عنده وسوسة في ذلك : « إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل هو الاول » الآية *

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر . وأبي سعيد رضى الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء . فماذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » *

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ يان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ مربيانه في سور سبأ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ تمثيل لاحاطة عليه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما كانوا ، وقيل : المعية مجاز مرسل عن العلم بعلاقة السبية والقرينة السباق واللاحق مع استحالة الحقيقة ، وقد أول السلف هذه الآية بذلك ، أخرج البيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس أنه قال فيها : عالم بكم أينما كنتم *

وأخرج أيضا عن سفيان الثوري أنه سئل عنها فقال : عليه معكم ، وفي البحر أنه اجتمعت الامة على هذا التأويل فيها وأنها لاتحمل على ظاهرها من المعية بالذات وهي حجة على منع التأويل في غيرها مما يجرى مجراها في استحالة الحمل على الظاهر ، وقد تناول هذه الآية . وتناول الحجر الاسوديين الله في الارض ، ولو اتسع عقله لتناول غير ذلك مما هو في معناه انتهى *

وأنت تعلم أن الاسلام ترك التأويل فانه قول على الله تعالى من غير علم ولا توقول إلا ما أوقله السلف وتبعهم فيما كانوا عليه فان أولوا أولنا وإن فوضوا فوضنا ولا نأخذ تأويلهم لشيء سلباً لتأويل بخيره ، وقد رأيت بعض الزنادقة الخارجيين من رتبة الاسلام يضحكون من هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ويسخرون من القرآن الكريم لذلك وهو جهل فظيع وكفر شنيع نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق *

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ عبارة عن إحاطته بأعمالهم وتأخير صفة العلم الذي هو من صفات الذات عن الخلق الذي هو من صفات الافعال مع أن صفات الذات متقدمة على صفات الافعال لما أن المراد الإشارة إلى ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم ، وقيل : إن الخلق دليل العلم إذ يستدل بخلق الله تعالى وإيجاده سبحانه لمصنوعاته المتقنة على أنه عز وجل عالم ومن شأن المدلول التأخر عن الدليل لتوقفه عليه ، وقوله تعالى :

﴿ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تكرر للتأكيد وتمهيد لقوله سبحانه المشعر بالاعادة :

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أى إليه تعالى وحده لا إلى غيره سبحانه استقلالاً أو اشتراكاً ترجع جميع الأمور أعراضها وجواهرها ، وقرأ الحسن . وابن أبي اسحق . والاعرج (ترجع) مبني للفاعل من رجع رجوعاً ، وعلى البناء للمفعول كما في قراءة الجمهور هو من رجع رجعاً ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ مر تفسيره مراراً ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ ﴾ أى مبالغ في العلم ﴿ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أى بمكنوناتها

اللازمة لها بيان لا حاجة عليه تعالى بما يضمنونه من نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها ، وجوز أن يراد (بذات الصدور) نفسها وحققتها على أن الاحاطة بما فيها تعلم بالأولى .
 ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ أي جعلكم سبجانه خلفاء عنه عز وجل في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة ، عبر جل شأنه عما بأيديهم من الاموال بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً في الانفاق فان من علم أنها لله تعالى وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرها إلى ماعينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق ، أو جعلكم خلفاء عن كان قبلكم فيما كان بأيديهم فانتقل لكم ، وفيه أيضا ترغيب في الانفاق وتسهيل له لأن من علم أنه لم يبق لمن قبله وانتقل اليه علم أنه لا يدوم له وينتقل لغيره فيسهل عليه إخراجه ويرغب في كسب الاجر بإنفاقه وكيفيك قول الناس فيما ملكته لقد كان هذامرة لفلان ، وفي الحديث « يقول ابن آدم : مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت » والمعنى الاول هو المناسب لقوله تعالى : (له ملك السموات والارض) وعليه ما حكى أنه قيل لاعرابي : لمن هذه الايل ؟ فقال : هي لله تعالى عندي ، ويميل اليه قول القائل :

وما المال والأهلون (إلا ودائع) ولا بد يوماً أن ترد الودائع

والآية على ما روى عن الضحاك نزلت في تبوك فلا تغفل ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا ﴾ حسبما أمروا به ﴿ لَهُمْ ﴾ بسبب ذلك ﴿ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ ٨ ﴾ وعد فيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة إسمية وكان الظاهر أن تكون فعلية في جواب الأمر بأن يقال مثلاً آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا تعطوا أجراً كبيراً ، وأعيد ذكر الايمان والانفاق دون أن يقال فمن يفعل ذلك فله أجر كبير وعدل عن فللذين آمنوا منكم وأنفقوا أجر إلى ما في النظم الكريم ونظم الأجر بالتنكير ، ووصف بالكبير ، وقوله عز وجل : ﴿ وَمَالَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ استئناف قيل : مسوق لتويعهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بإنكار أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على أن لا تؤمنون حال من ضمير لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار أي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب وهو مضمون الجملة الحالية أعني عدم الايمان فأى لانكار سبب الواقع ونفيه فقط ، ونظيره قوله تعالى : (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) وقد يتوجه الإنكار والنفي في مثل هذا التركيب لسبب الوقوع فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في قوله تعالى : (وما لي لأعبد) الخ ولا يمكن إجراء ذلك هنا لتحقيق عدم الايمان وهذا المعنى مما لا غبار عليه ، وقوله تعالى : ﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ حال من ضمير (لا تؤمنون) مفيدة على ما قيل : لتويعهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد تويعهم عليه مع عدم ما يوجب ، ولا م (لتؤمنوا) صلة - يدعو - وهو يتعدى بها ويألى أي وأي عذر في ترك الايمان (والرسول يدعوكم) اليه وينبهم عليه ، وجوز أن تكون اللام تعليلية وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ حال من فاعل يدعوكم أو من مفعوله أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل كما يشعر به تخالف الفعلين مضارعاً وماضياً ، وجوز كونه حالاً معطوفاً على الحال قبلها فالجملة حال بعد حال من ضمير (تؤمنون) والتخالف بالإسمية والفعلية يبعد ذلك في الجملة ، وأياً ما كان فأخذ الميثاق إشارة إلى ما كان منه تعالى من نصب الأدلة الآفاقية والانفسية

والتكئين من النظر فقلوه تعالى: (والرسول يدعوكم) إشارة إلى الدليل السمعي وهذا إشارة إلى الدليل العقلي وفي التقديم والتأخير ما يؤيد القول بشرف السمعي على العقلي *

وقال بغوى: هو ما كان حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم بأنه سبحانه ربهم فشهدوا - وعليه لا يجاز - والاول اختيار الزخشرى ، وتعقبه ابن المنير فقال: لا عليه أن يحمل العهد على حقيقته وهو المأخوذ يوم الذر وكل ما أجازته العقل وورد به الشرع وجب الايمان به، وروى ذلك عن مجاهد . وعطاء . والسكلي . ومقاتل ، وضعفه الامام بأن المراد إلزام المخاطبين الايمان ونفى أن يكون لهم عذر في تركه وهم لا يعلنون هذا العهد إلا من جهة الرسول فقبل التصديق بالرسول لا يكون سبباً لزامهم الايمان به ، وقال الطيبي : يمكن أن يقال . إن الضمير في (أخذ) إن كان الله تعالى فالمناسب أن يراد بالميثاق ما دل عليه قوله تعالى : (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى) الخ لأن المعنى (فإما يأتينكم منى هدى) برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم ، ويدل على الاول قوله سبحانه : (والرسول يدعوكم لتؤمنوا) وعلى الثانى (هو الذى ينزل على عبده آيات) الخ ، وإن كان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فالظاهر أن يراد به ما فى قوله تعالى : (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) على أن يضاف الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الموثق لا الموثق عليه أى الميثاق الذى وثقه الانبياء على أممهم ، وهو الوجه لأن الخطاب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما يدل عليه ما بعد ، ولعل الميثاق نحو ما رويانا عن الامام أحمد عن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة فى النشاط والكسل . وعلى النفقة فى العسر واليسر . وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعلى أن نقول فى الله تعالى ولا نخاف لومة لائم انتهى * ويضعف الاول بنحو ما ضعف به الامام حمل العهد على ما كان يوم الذر ، وضعف الثانى أظهر من أن ينبه عليه * والخطاب قال صاحب الكشف : عام يوجب من لم يؤمن منهم بعدم الايمان ثم من آمن بعدم الانفاق فى سبيله * وكلام أبى حيان ظاهر فى أنه للمؤمنين ، وجعل آمنوا أمراً بالثبات على الايمان ودوامه (وما لكم لا تؤمنون) الخ على معنى كيف لا تثبتون على الايمان ودواعى ذلك موجودة *

وظاهر كلام بعضهم كونه للكفرة وهو الذى أشرنا اليه من قبل ، ولعل ما ذكره صاحب الكشف أولى إلا أنه قيل عليه : إن آمنوا إذا كان خطاباً للتصفيين بالايمان ولغير المتصفيين به يلزم استعمال الامر فى طلب أصل الفعل نظراً لغير المتصفيين وفى طلب الثبات نظراً للتصفيين وفيه ما فيه ، ويحتاج فى التفصيص عن ذلك إلى إرادة معنى عام للامرين ، وقد يقال أراد أنه عمد إلى جماعة مختلفين فى الاحوال فأمروا بأوامر شتى وخوطبوا بخطابات متعددة فتوجه كل أمر وكل خطاب إلى من يليق به وهذا كما يقول الوالى لأهل بلده : أذنوا وصلوا ودرسوا وأنفقوا على الفقراء وأوفوا الكيل والميزان إلى غير ذلك فان كل أمر ينصرف إلى من يليق به منهم فتأمل ، وقرئ (وما لكم لا تؤمنون) بالله ورسوله ، وقرأ أبو عمرو (وقد أخذ ميثاقكم) بالبناء للمفعول ورفع (ميثاقكم) ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ شرط جوابه محذوف دل عليه ما قبل ، والمعنى إن كنتم مؤمنين لموجب ما فهذا موجب لا موجب وراه ، وجوز أن يكون المراد إن كنتم ممن يؤمن فالكم لا تؤمنون والحالة هذه ، وقال الواحدى : أى إن كنتم مؤمنين بدليل عقلى أو نقلى فقد بان وظهر لكم على يدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيعته وإنزال القرآن عليه ؛ وأياً ما كان فلا تناقض بين هذا وقوله تعالى : (وما لكم لا تؤمنون) وقال الطبرى

في ذلك المراد إن كنتم مؤمنين في حال من الأحوال فآمنوا الآن ؛ وقيل : المراد إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى عليهما السلام فآمنوا بمحمد صل الله تعالى عليه وسلم فإن شريعتهما تقتضي الايمان به عليه الصلاة والسلام أو إن كنتم مؤمنين بالميثاق المأخوذ عليكم في عالم الذر فآمنوا الآن ، وقيل المراد إن دمتم على الايمان فآتم في رتب شريفة وأقدار رفيعة ، والكل كما ترى *

وظاهر الاخير أن الخطاب مع المؤمنين وهو الذي اختاره الطيبي ، وقال في هذا الشرط : يمكن أن يجري على التعايل كما في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) لان الكلام مع المؤمنين على سبيل التوبيخ والتقريع يدل عليه ما بعد ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ حسب ما يعين لكم من المصالح ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات ، والظاهر أن المراد بها آيات القرآن ، وقيل : المعجزات ﴿ لِيُخْرِجَكُم ﴾ أى الله تعالى إذ هو سبحانه المخبر عنه ، أو العبد لقرب الذكر والمراد ليخرجكم بها ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، وقرئ في السبعة ينزل مضارعا فبعض ثقل وبعض خفف .

وقرأ الحسن بالوجهين ، وقرأ زيد بن علي . والاعمش أنزل ماضياً ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ مبالغ في الرأفة والرحمة حيث أزال عنكم موانع سعادة البارين وهذا كما إليها على آتم وجهه ، وقرئ في السبعة (لرؤوف) بواوين ، وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا ﴾ توبيخ على ترك الانفاق إما للمؤمنين الغير المنفقين أولاً وللك الموبخين أولاً على ترك الايمان ، وبخهم سبحانه على ذلك بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من الأعذار ، (أن) مصدرية لازائدة كما قيل ، واقتضاه كلام الاخفش والكلام على تقدير حرف الجر ، فالمصدر المؤول في محل نصب أو جر على القولين وحذف مفعول الانفاق للعلم به مما تقدم وقوله تعالى : ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ لتشديد التوبيخ ، والمراد به كل خير يقربهم اليه تعالى على سبيل الاستعارة التصريحية أى شئ لكم في أن لاتنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ماهو له في الحقيقة وإنما أنتم خلفاؤه سبحانه في صرفه إلى ما عينه عز وجل من المصارف ، أو ما انتقل اليكم من غيركم وسينتقل منكم إلى الغير *

﴿ وَلَهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لأحد مال على أن ميراثهما مجاز أو كناية عن ميراث ما فيهما لأن أخذ الظرف يلزمه أخذ المظروف *

وجوز أن يراديرثهما وما فيهما ، واختير الأول أنه يكفي لتوبيخهم إذ لا علاقة لأخذ السموات والارض هنا ، والجملة حال من فاعل لاتنفقوا أو مفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق أشد في القبح وأدخل في الانكار فإن بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الأموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى لأحد من أصحابها شئ أقوى في إيجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى في الحقيقة ، أو أنها انتقلت اليهم من غيرهم كأنه قيل : وما لكم في ترك إنفاقها في سبيل الله تعالى ، والحال أنه لا يبقى لكم ولا لغيركم منها شئ بل تبقى كلها لله عز وجل ، وإظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وترية المهابة ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ ﴾ بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم في الانفاق بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على الاطلاق حثاً لهم على تحري الإفضل ،

وعطف القتال على الاتفاق للايذان بأنه من أهم مواد الاتفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يخلو من الاتفاق أصلاً وقسيم (من أنفق) محذوف أى لا يستوى ذلك وغيره ، وحذف لظهوره ودلالة ما بعد عليه ، والفتح فتح مكة على ما روى عن قتادة . وزيد بن أسلم . ومجاهد - وهو المشهور - فتعريفه للعهد أو للعهد الجنس ادعاء ، وقال الشعبي : هو فتح الحديبية وقد موجه تسميته فتحاً في سورة الفتح ، وفي بعض الآثار ما يدل عليه •

أخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم . وابن مردويه . وأبو نعيم في الدلائل من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كان بعسفان قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : يوشك أن يأتي قوم يحتقرون أعمالكم مع أعمالهم قلنا : من هم يا رسول الله أقرش ؟ قال : لا ولكن هم أهل اليمن هم أرق أقدرة وألين قلوباً ، فقلنا : أهم خير منا يا رسول الله ؟ قال : لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) الآية •

وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما (قبل) بغير (من) ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى من أنفق ، والجمع بالنظر إلى معنى (من) كما أن أفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها ، ووضع اسم الإشارة البعيد موضع الضمير للتعظيم والإشعار بأن مدار الحكم هو إنفاقهم قبل الفتح وقتالهم ، ومحل الرفع على الابتداء ، والخبر قوله تعالى : ﴿ أَكْثَرُ دَرَجَةً ﴾ أى أولئك المنعوتون بدينك النعتين الجليلين أرفع منزلة وأجل قدراً •

﴿ مَنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ ﴾ بعد الفتح ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ وذهب بعضهم إلى أن فاعل (لا يستوى) ضمير يعود على الاتفاق أى لا يستوى هو أى الاتفاق أى جنسه إذ منه ما هو قبل الفتح ومنه ما هو بعده ، و (من أنفق) مبتدأ ، وجملة (أولئك أعظم) خبره وفيه تفكيك الكلام وخروج عن الظاهر لغبر موجب فالوجه ما تقدم ، ويعلم منه التزاما التفاوت بين الاتفاق قبل الفتح والاتفاق بعده ، وإنما كان أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد لأنهم إنما فعلوا ما فعلوا عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال لقلة المسلمين وكثرة أعدائهم وعدم ما ترغب فيه النفوس طبعاً من كثرة الغنائم فكان ذلك أنفع وأشد على النفس وفاعله أقوى يقيناً بما عند الله تعالى وأعظم رغبة فيه ، ولا كذلك الذين أنفقوا بعد ﴿ وَكَلَّا ﴾ أى كل واحد من الفريقين لا الأولين فقط ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ أى المثوبة الحسنى وهى الجنة على ما روى عن مجاهد وقاتادة ، وقيل : أعم من ذلك والنصر والغنيمة في الدنيا ، وقرأ ابن عامر . وعبد الوارث . وكل - بالرفع ، والظاهر أنه مبتدأ والجملة بعده خبر وللعايد محذوف أى وعده كما في قوله :

وخالد (بمحمد) ساداتنا بالحق لا يحمد بالباطل

يريد يحمده والجملة عطف على أولئك أعظم درجة وبينهما من التطابق ما ليس على قراءة الجمهور ، ومنع البصريون حذف العائد من خبر المبتدأ ، وقالوا : لا يجوز إلا في الشعر بخلاف حذفه من جملة الصفة وهم محجوجون بهذه القراءة ، وقول بعضهم : فيها إن كل خبر مبتدأ تقديره ، وأولئك كل ، وجملة (وعد الله) صفة - كل - تأويل ركيك ، وفيه زيادة حذف ، على أن بعض النحاة منع وصف - كل - بالجملة لانه معرفة بتقدير وكلهم ، وقال الشهاب : الصحيح ما ذهب إليه ابن مالك من أن عدم جواز حذف العائد من جملة الخبر

في غير - كل - وما ضاهاها في الافتقار والعموم فانه في ذلك مطرد لكن ادعى فيه الاجماع وهو محل نزاع *
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١٠ * عالم بظاهره وباطنه ويجازيكم على حسبه فالكلام وعد ووعد، وفي الآيات من الدلالة على فضل السابقين المهاجرين والانصار ما لا يخفى، والمراد بهم المؤمنون المنفقون المقاتلون قبل فتح مكة أو قبل الحديدية بناءً على الخلاف السابق، والآية على ما ذكره الواحدى عن الكلبي نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أى بسببه، وأنت تعلم أن خصوص السبب لا يدل على تخصيص الحكم، فلذلك قال: (أو لئلك) ليشمل غيره رضى الله تعالى عنه ممن اتصف بذلك، نعم هو أكمل الأفراد فانه أنفق قبل الفتح وقبل الهجرة جميع ماله وبذل نفسه معه عليه الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ليس أحد آمن على بصحبته من أبي بكر» وذلك يكفى لنزولها فيه، وفي الكشف إن أولئك هم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» قال الطيبي: الحديث من رواية البخارى . ومسلم . وأبى داود . والترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: «قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، وتعقبه في الكشف بأنه على هذا لا يختص بالسابقين الأولين كما أشار في الكشف إليه وهو مبنى على أن الخطاب في لا تسبوا ليس للحاضرين ولا للوجودين في عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بل لكل من يصلح للخطاب كما في قوله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا) الآية وإلا فقد قيل: إن الخطاب يقتضى الحضور والوجود ولا بد من مغايرة المخاطبين بالنهى عن سبهم فهم السابقون السكاملون في الصحبة *
وأقول شاع الاستدلال بهذا الحديث على فضل الصحابة مطلقاً بناءً على ما قالوا: إن إضافة الجمع تفيد الاستغراق وعليه صاحب الكشف، واستشكل أمر الخطاب، وأجيب عنه بما سمعت وبأنه على حد خطاب الله تعالى الأزلى لكن في بعض الأخبار ما يؤيد أن المخاطبين بعض من الصحابة والممدوحين بعض آخر منهم فتكون الإضافة للعهد أو بحمل الأصحاب على السكاملين في الصحبة *

أخرج أحمد عن أنس قال: «كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن ابن عوف: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: دعوا إلى أصحابي فوالذي نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهباً ما بلغتم أعمالهم» ثم في هذا الحديث تأييد ما لكون أولئك هم الذين أنفقوا قبل الحديدية لأن إسلامه رضى الله تعالى عنه كان بين الحديدية وفتح مكة كما في التقريب وغيره، والزحشرى فسر الفتح بفتح مكة فلا تغفل، قال الجلال المحلى: كون الخطاب في «لا تسبوا» للصحابة السابقين، وقال: نزلهم صلى الله تعالى عليه وسلم بسبهم الذى لا يليق بهم منزلة غيرهم حيث علل بما ذكره وهو وجه حسن فتدبر؛ وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضاً حسناً﴾ ندب ببلغ من الله تعالى إلى الاتفاق في سبيله مؤكداً للامر السابق به وللتوبيخ على تركه فالاستفهام ليس على حقيقته بل للحث، والقرض الحسن الاتفاق بالاخلاص وتحري أكرم المال وأفضل الجهات، وذكر بعضهم أن القرض الحسن ما يجمع عشر صفات. أن يكون من الحلال فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً . وأن يكون من أكرم ما يملكه المرء . وأن يكون والمرء صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر . وأن يضعه في الأحوج الأولي: وأن يكتم ذلك. وأن لا يتبعه بالمتن

والاذى. وأن يقصد به وجه الله تعالى. وأن يستحق ما يعطى وإن كثر. وأن يكون من أحب أموره إليه. وأن يتوخى في إيصاله للفقير ما هو أسر لديه من الوجوه كحمله إلى بيته. ولا يخفى أنه يمكن الزيادة والنقص فيما ذكره. وأيمنا كان بالكلام إما على التجوز في الفعل فيكون استعارة تبعية تصريرية أو التجوز في مجموع الجملة فيكون استعارة تمثيلية وهو الأبلغ أى من ذا الذى ينفق ماله في سبيل الله تعالى مخلصاً متحرراً أكرمه وأفضل الجهات رجاء أن يعوضه سبحانه بدله كمن يقرضه ﴿فِيضَعْفُهُ لَهُ﴾ فيعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً أضعافاً كثيرة من فضله *

﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١١﴾ أى وذلك الأجر المضموم إليه الإضعاف كريم مرضى في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون ، ففيه إشارة إلى أن الأجر كما أنه زائد في الكم بالغ في الكيف فالجملة حالية لا عطف على (فيضاعفه) ، وجوز العطف والمغايرة ثابتة بين الضعف والأجر نفسه فان الإضعاف من محض الفضل والمثل فضل هو أجر ، ونصب يضاعفه على جواب الاستفهام بحسب المعنى كأنه قيل : أيقرض الله تعالى أحد فيضاعفه له فان المسئول عنه بحسب اللفظ وإن كان هو الفاعل لكنه في المعنى هو الفعل إذ ليس المراد أن الفعل قد وقع السؤال عن تعيين فاعله كقولك : من جاءك اليوم ؟ إذا علمت أنه جاءه لم تعرفه بعينه وإنما أورد على هذا الأسلوب للمبالغة في الطلب حتى كأن الفعل لكثرة دواعيه قد وقع وإنما يسأل عن فاعله ليجازى ولم يعتبر الظاهر لانه يشترط بلا خلاف في النصب بعد الفاء أن لا يتضمن ما قبل وقوع الفعل نحو لم ضربت زيداً فيجازيك فانه حينئذ لا يتضمن سبق مصدر مستقبل وعلى هذا يؤل كل ما فيه نصب وما قبل متضمن للوقوع ، وقرأ غير واحد (فيضاعفه) بالرفع على القياس نظر الظاهر المتضمن للوقوع وهو إما عطف على يقرض أو على (فهو يضاعفه) وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ظرف لما تعلق به له أوله أو لقوله تعالى : (فيضاعفه) أو منصوب يا ضمير اذكر تفخيماً لذلك اليوم ، والرؤية بصرية والخطاب لكل من تتأتى منه أولسيد المخاطبين صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقوله عز وجل : ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ حال من مفعول ترى والمراد بالنور حقيقته على ما ظهر من شمس الأخبار - وإليه ذهب الجمهور - والمعنى يسعى نورهم إذا سعوا *

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أخرج ابن أبي شيبة . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم . والحاكم وصححه . وابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال . «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نوراً من نوره على إيمانهم يطفأ مرة ويقد أخرى» وظاهره أن هذا النور يكون عند المرور على الصراط ، وقال بعضهم : يكون قبل ذلك ويستمر معهم إذا مروا على الصراط ، وفي الأخبار ما يقتضيه كما ستسمعه قريباً إن شاء الله تعالى ، والمراد أنه يكون لهم في جهتين جهة الإمام - البين وخصاً لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتوهم من شئناهم ووزراء ظهورهم ، وفي البحر الظاهر أن النور قسمان : نور بين أيديهم بضئ الجهة التي يؤمونها . ونور بأيمانهم بضئ ما حوالاهم من الجهات ، وقال الجمهور : إن النور أصله بأيمانهم والذي بين أيديهم هو الضوء المنبسط من ذلك ، وقيل : الباء بمعنى عن أي وعن إيمانهم والمعنى في جميع جهاتهم ، وذكر الإيمان لشرفها انتهى ، ويشهد لهذا المعنى

ما أخرج ابن أبي حاتم . والحاكم وصححه . وابن مردويه عن عبد الرحمن بن جبير بن نضير أنه سمع أبا ذر . وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأول من يؤذن له في رفع رأسه فأرفع رأسي فأنظر بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي بين الأمم فقيل : يا رسول الله وكيف تعرفهم من بين الأمم ما بين نوح عليه السلام إلى أمتك ؟ قال : غر محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لاحد غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم الذي يسعى بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » وظاهر هذا الخبر اختصاص النور بمؤمني هذه الأمة وكذا إتياء الكتب بالإيمان وبعض الأخبار يقتضي كونه لكل مؤمن ، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي أمامة قال : « تبعت ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله تعالى بالنور للمؤمنين بقدر أعمالهم » الخبر ، وأخرج عنه الحاكم وصححه . وابن أبي حاتم من وجه آخر . وابن المبارك . والبيهقي في الاسماء والصفات خبراً طويلاً فيه أيضاً ما هو ظاهر في العموم ، وكذا ما أخرج ابن جرير . والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال : بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله تعالى نوراً فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلاً لهم من الله عز وجل إلى الجنة ، ولا ينافي هذا الخبر كونهم يمرون بنورهم على الصراط كما لا يخفى ، وكذا إتياء الكتب بالإيمان ، ففي هداية المريد لجوهر التوحيد ظاهر الآيات والاحاديث عدم اختصاصه يعني أخذ الصحف بهذه الأمة وإن تردد فيه بعض العلماء انتهى •

ويمكن أن يقال: إن ما يكون من النور لهذه الأمة أجلى من النور الذي يكون لغيرها أو هو ممتاز بنوع آخر من الامتياز ، وأما إتياء الكتب بالإيمان فعلة لكثرت فيها بالنسبة إلى سائر الأمم تعرف به ، وفي هذا المطلب أبحاث آخر تذكر إن شاء الله تعالى في محلها ، وقيل : أريد بالنور القرآن ، وقال الضحاك : النور استعارة عن الهدى والرضوان الذي هم فيه ، وقرأ سهل بن شعيب السهمي . وأبو حيو (وبأيمانهم) بكسر الهمزة ، وخزج ذلك أبو حيان على أن الظرف يعني بين أيديهم متعلق بمحذوف والعطف عليه بذلك الاعتبار أي كائناً بين أيديهم وكائناً بسبب إيمانهم وهو كما ترى ، ولعله متعلق بالقول المقدر في قوله تعالى :

﴿ بَشِّرْهُمْ يَوْمَ حَشَتْ أَى وَبَسْبَبْ إِيْمَانُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَجَمَلَةُ الْقَوْلِ ، إِمَامَعُطُوفَةٌ عَلَى مَاقِبَلٍ أَوْ اسْتِنَافٍ أَوْ حَالٍ وَيَجُوزُ عَلَى الْحَالِيَةِ تَقْدِيرُ الْوَصْفِ مِنْهُ أَى مَقُولاً لَهُمْ ، وَالْقَائِلُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَتْلُقُونَهُمْ •

والمراد بالبشرى ما يبشر به دون التبشير والكلام على حذف مضاف أي ما تبشرون به دخول جنات يصح بدونه أي ما تبشرون به جنات ، ويصح بدونه أي ما تبشرون به جنات ، وما قيل : البشارة لا تكون بالأعيان فيه نظر ، وتقدير المضاف لا يغنى عن تأويل البشرى لأن التبشير ليس عين الدخول ، وجملة قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِ الْأَنْهَارُ ﴾ في موضع الصفة لجنات ، وقوله سبحانه : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال من جنات ، قال أبو حيان : وفي الكلام التفات من ضمير الخطاب في (بشر اك) إلى ضمير الغائب في (خالدين) ولو أجرى على الخطاب لكان التركيب خالداً أنتم فيها : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢ ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى فلا إشارة إلى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة عليهم السلام المتلقين لهم ، فلا إشارة إلى ما هم فيه من النور وغيره أو إلى الجنات بتأويل ما ذكر أو لكونها فوزاً على ما قيل ، وقرئ ذلك الفوز بدون (هو) •

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ بدل من (يوم ترى) ، وجوز أن يكون معمولاً لا ذكره .
وقال ابن عطية : يظهر لي أن العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم ، ويكون معنى الفوز عليه أعظم كأنه قيل : إن
المؤمنين يفوزون يوم يعتري المنافقين والمنافقات كذا وكذا لأن ظهور المرء يوم خمول عدوه مضادة أبداع
وأفخم ، وتعقبه في البحر بأن ظاهر تقريره أن يوم منصوب بالفوز وهو لا يجوز لأنه مصدر قد وصف قبل أخذ
متعلقاته فلا يجوز إعماله ولو أعمل وصفه وهو العظيم لجاز - أي الفوز الذي عظم - أي قدره يوم انتهى ، وفي عدم
جواز إعمال مثل هذا المصدر في مثل هذا الم معمول خلاف ، ثم إن تعلق هذا الظرف بشئ من تلك الجملة خلاف
الظاهر ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُونَا﴾ أي انتظرونا ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به .
وقيل : فيأخذوا شيئاً منه يكون معهم تخيلوا تأتسى ذلك فقالوه ، وأصل الاقتباس طلب القبس أي الجذوة
من النار ، وجوز أن يكون المعنى انظروا إلينا نقتبس الخ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنورين
أيديهم فيستضيئون به فانظرونا على الحذف والإيصال لأن النظر بمعنى مجرد الرؤية يتعدى إلى ما أراد التأمل
تعدى بغيره لكن حمل الآية على ذلك خلاف الظاهر ؛ وقولهم : للمؤمنين ذلك لأنهم في ظلمة لا يذرون كيف
يمشون فيها ، وروى أنه يكون ذلك على الصراط .

وفي الآثار دلالة على أنهم يكون لهم نور فيطفاً فيقولون ذلك ، أخرج الطبراني . وابن مردويه عن ابن عباس
قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده وأما عند الصراط
فإن الله تعالى يعطى كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً فإذا استوا على الصراط أطفأ الله نور المنافقين والمنافقات
فقال المنافقون : انظرونا نقتبس من نوركم ، وقال المؤمنون : أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً .
وفي حديث آخر مرفوع عنه أيضاً إن نور المنافق يطفأ قبل أن يأتي الصراط ، وأخرج عبد بن حميد .
وابن المنذر عن أبي فاختة يجمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة ويرسل الله سبحانه على الناس ظلمة فيستغيثون
رهبهم فيؤتى الله تعالى كل مؤمن منهم نوراً ويؤتى المنافقين نوراً فينطلقون جميعاً متوجهين إلى الجنة معهم نورهم
فبينما هم كذلك إذ أطفأ الله تعالى نور المنافقين فيترددون في الظلمة ويسبقهم المؤمنون بنورهم بين أيديهم
فيقولون : انظرونا نقتبس من نوركم الخبر ، والأخبار في إيتاء المنافق نوراً ثم إطفائه كثيرة وليس في الآية ما ياباه .
وقرأ زيد بن علي . وابن وثاب . والأعمش . وطلحة . وحمزة (أنظرونا) بقطع الهمزة وفتحها وكسر
الضاء من النظرة وهي الإمهال يقال أنظر المديون أي أمهله ، وضع (انظرونا) بمعنى المهلة وإنظار الدائن المديون
موضع اتداد الرقيق ومشيه الهويناً ليلحقه رفيقه على سبيل الاستعارة بعد سبق تشبيه الحالة بالحالة مبالغة في المعجز
وإظهار الافتقار ، وقيل : هو من أنظر أي أخر ، والمراد جعلونا في آخركم ولا تسبقونا بحيث تفوتونا ولا نلحق بكم .
وقال المهدي : (أنظرونا . وانظرونا) بمعنى وهما من الانتظار تقول العرب : أنظرته بكذا وانتظرته بمعنى واحد والمعنى
امهلونا ﴿ قيل ﴾ القائلون على ما روى عن ابن عباس المؤمنون ، وعلى ما روى عن مقاتل الملائكة عليهم السلام .
﴿ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾ قال ابن عباس : أي من حيث جئتم من الظلمة أو إلى المكان الذي قسم فيه النور على
ماصح عن أبي أمامة ﴿ قَالَتُمُسُوا نُوراً ﴾ هناك ، قال مقاتل : هذا من الاستهزاء بهم كما استهزوا بالمؤمنين

في الدنيا حين قالوا آمنا ولمسوا بمؤمنين، وذلك قوله تعالى: (الله يستهزي بهم) أى حين يقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، وقال أبو أمامة: يرجعون حين يقال لهم ذلك إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فيصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور وهى خدعة الله تعالى التى خدع بها المنافقين حيث قال سبحانه: (يخادعون الله وهو خادعهم)، وقيل: المراد ارجعوا إلى الدنيا والتمسوا نوراً أى بتحصيل سببه وهو الايمان أو تنحوا عنا والتمسوا نوراً غير هذا فلا سبيل لكم إلى الاقتباس منه، والغرض التهكم والاستهزاء أيضاً. وقيل: أرادوا بالنور ماوراهم من الظلمة السكيفة تهكما بهم وهو خلاف الظاهر، وأياً ما كان فالظاهر أن وراءكم معمول لارجعوا *

وقيل: لا محل له من الاعراب لانه بمعنى ارجعوا فساكنه قيل: ارجعوا ارجعوا كقولهم (وراءك) أوسع لك أى ارجع تجد مكاناً أوسع لك ﴿فُضِرَ بَيْنَهُمْ﴾ أى بين الفريقين، وقرأ زيد بن علي. وعبيد بن عمير (فضرب) مبنياً للفاعل أى فضرب هو أى الله عز وجل ﴿بِسُور﴾ أى بحاجز، قال ابن زيد: هو الاعراف، وقال غير واحد: حاجز غيره والباء مزيدة ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ﴾ أى الباب الذى روى عن مقاتل أو السور وهو الجانب الذى يلي مكان المؤمنين أعنى الجنة ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الثواب والنعيم الذى لا يكتسه ﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾ الجانب الذى يلي مكان المنافقين أعنى النار ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ أى من جهته ﴿الْعَذَابُ ١٣﴾ وهذا السور قيل: يكون فى تلك النشأة وتبدل هذا العالم واختلاف أوضاعه فى موضع الجدار الشرقى من مسجد بيت المقدس *

أخرج عبد بن حميد عن أبي سنان قال: كنت مع علي بن عبد الله بن عباس عند وادى جهنم يعنى المكان المعروف عند بيت المقدس فحدث عن أبيه أنه قال: وقد تلا قوله تعالى: (فضرب بينهم بسور) هذا موضع السور عند وادى جهنم، وأخرج هو. وابن جرير. وابن المنذر. والحاكم وصححه وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن السور الذى ذكره الله تعالى فى القرآن (فضرب بينهم بسور) هو سور بيت المقدس الشرقى (باطنه فيه الرحمة) المسجد (وظاهره من قبله العذاب) يعنى وادى جهنم وما يليه *

وأخرج عن عبادة بن الصامت أنه كان على سور بيت المقدس الشرقى فبكى فقبل: ما يبكيك؟ فقال: ههنا أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه رأى جهنم ولا يخفى أن هذا ونظائره أمور مبنية على اختلاف العالمين وتغاير الناشئين على وجه لا تصل العقول إلى إدراك كيفيته والوقوف على تفاصيله، فإن صح الخبر لم يسعنا إلا الايمان لعدم خروج الامر عن دائرة الامكان، وأبو حيان حكى عن سمعت. وعن كعب الاحبار أنه الجدار الشرقى من مسجد بيت المقدس واستبعده ثم قال: ولعله لا يصح عنهم ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل: فإذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب؟ قيل: ينادى المنافقون والمنافقات المؤمنات والمؤمنات ﴿أَلَمْ نَكُنْ﴾ فى الدنيا ﴿مَعَكُمْ﴾ يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر ﴿قَالُوا بَلَى﴾ كتم معناها تقولون ﴿وَلَكِنَّكُمْ قَتَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ محتتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَأَرَبْتُمْ﴾ وشككتهم فى أمور الدين ﴿وَعَرَّيْتُكُمْ الْأَمَانَةَ﴾ الفارغة التى من جملتها الطمع فى اتكاس الاسلام، (٢-٢٣ ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

وقال ابن عباس : (فتنم أنفسكم بالشهوات والذات وتربصتم) بالتوبة (وارتبتم) قال محبوب الليثي : شككتم في الله (وغرتمكم الاماني) طول الآمال ، وقال أبو سنان : قلتم سيغفر لنا ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أي الموت ﴿ وغرركم بالله الغرور ﴾ الشيطان قال لكم : إن الله عفو كريم لا يعذبكم *

وعن قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله تعالى في النار .
وقرأ سماك بن حرب الغرور بالضم ، قال ابن جني : وهو كقوله : وغرركم بالله تعالى الاغترار ، وتقديره على حذف المضاف أي وغرركم بالله تعالى سلامة الاغترار (١) ومعناه سلامتكم منه اغتراركم .

﴿ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ ﴾ أيها المنافقون ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ فداء وهو ما يبذل لحفظ النفس عن النائية والناصب ليوم الفعل المنفي بلا ، وفيه حجة على من منع ذلك ، وقرأ أبو جعفر . والحسن . وابن أبي إسحق . والاعرج . وابن عامر . وهرون عن أبي عمرو لا تؤخذ بالتاء الفوقية ﴿ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي ظاهراً وباطناً فيغاير المخاطبين المنافقين ، ثم الظاهر إن المراد بالفدية ما هو من جنس المال ونحوه ، وجوز أن يراد بها ما يعم الإيمان والتوبة فتدل الآية على أنه لا يقبل إيمانهم وتوبتهم يوم القيامة وفيه بعد ، وفي الحديث إن الله تعالى يقول للكافر : أرايتك لو كان لك أضعاف الدنيا كنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار ، فيقول : نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى : فداً لتلك ما هو أيسر من ذلك وأنت في ظهر أيك آدم أن لا تشرك بي فأيت إلا الشرك ﴿ مَاؤَاكُمُ النَّارُ ﴾ محل أويكم ﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي ناصركم من باب - تحية بينهم ضرب وجيع - والمراد نفي الناصر على البتات بعد نفي أخذ الفدية وخلاصهم بها عن العذاب ، ونحوه قولهم : أصيب بكذا فاستنصر الجزع ، ومنه قوله تعالى : (يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) وقال الكلبي . والزجاج . والفراء . وأبو عبيدة : أي أولى بكم كما في قول لبيد يصف بقرة وحشية نفرت من صوت الصائد :

فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

أي فعدت كلا جانبيها الخلف والامام تحسب أنه أولى بأن يكون فيه الخوف ، قال الزمخشري : وحققة مولاكم هي على هذا محراكم ومقمنكم أي المكان الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل : هو مثته للكرم أي مكان لقول القائل : إنه لكرم فأولى نوع من اسم المكان لوحظ فيه معنى أولى إلا أنه مشتق منه كما أن المثنة ليست مشتقة من إن التحقيقية ، وفي التفسير الكبير إن قولهم ذلك يان لحاصل المعنى وليس بتفسير اللفظ لأنه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل منهما في مكان الآخر وكان يجب أن يصح هذا أولى فلان كما يقال : هذا مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا أن الذي قالوه معنى وليس بتفسير ، ثم صرح بأنه أراد بذلك رد استدلال الشريف المرتضى بحديث الغدير من كنت مولاة فعلي مولاة على إمامة الامير كرم الله تعالى وجهه حيث قال : أحد معاني المولى الاولى *

وحمله في الخبر عليه متعين لأن إرادة غيره يجعل الاخبار عبثاً كما إرادة الناصر والصاحب وابن العم ، أو يجعله كذبا كالمعتق والمعتق ولا يخفى على المنصف أنه إن أراد بكونه معنى لا تفسير ما أشار اليه الزمخشري من التحقيق

فهو لا يرد الاستدلال إذ يكفي للمرتضى أن يقول: المولى في الخبر بمعنى المكان الذي يقال فيه أولى إذ يلزم على غيره العيب أو الكذب وإن أراد أن ذلك معنى لازم لما هو تفسير له كأن يكون تفسيره القائم بمصالحكم ونحوه مما يكون ذلك لازماً له في رده الاستدلال أيضاً تردد، وإن أراد شيئاً آخر فنحن لا ندرى ما هو - وهو لم يبينه - والحق أنه ولو جعل المولى بمعنى الأولى أو المكان الذي يقال فيه الأولى لا يتم الاستدلال بالخبر على الإمامة التي تدعيها الإمامية للامير كرم الله تعالى وجهه لما بين في موضعه، وفي التحفة الاثني عشرية ما فيه كفاية لطالب الحق *

وقال ابن عباس أي مصيركم وتحقيقه على ما قاله الامام: إن المولى بمعنى موضع الولي وهو القرب والمعنى هي موضعكم الذي تقربون منه وتصلون اليه، وأنت تعلم أن الاخبار بذلك بعد الاخبار بأنها مأوهم ليس فيه كثير جدوى على أن وضع اسم المكان للموضع الذي يتصف صاحبه بالمأخذ حال كونه فيه والقرب من النار وصف لأولئك قبل الدخول فيها ولا يحسن وصفهم به بعد الدخول ولو اعتبر مجاز الكون كما لا يخفى، وجوز بعضهم اعتبار كونه اسم مكان من الولي بمعنى القرب لكن على أن المعنى هي مكان قربكم من الله سبحانه ورضوانه على التكميم بهم؛ وقيل: أي متوليكم أي المتصرف فيكم كتصرفكم فيما أوجبها واقتضاها في الدنيا من المعاصي والتصرف استعارة للاحراق والتعذيب، وقيل: مشاكلة تقديرية ﴿وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ١٥﴾ أي النار وهي المخصوص بالذم المحذوف لدلالة السياق ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ استئناف لعتاب المؤمنين على الفتور والتكاسل فيما ندبوا اليه والمعاتب على ما قاله الزجاج طائفة من المؤمنين وإلا فمنهم من لم يزل خاشعاً منذ أسلم إلى أن ذهب إلى ربه، وما نقل عن السكبي. ومقاتل أن الآية نزلت في المنافقين فهم المراد بالذين آمنوا بما لا يكاد يصح، وقد سمعت صدر السورة الكريمة ماروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه * وأخرج ابن المبارك. وعبدالرزاق. وابن المنذر عن الاعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان لهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت (ألم يأن) الآية *

وأخرج ابن أبي حاتم. وابن مردويه عن ابن عباس قال: إن الله تعالى استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال سبحانه: (ألم يأن) الآية، وفي خبر ابن مردويه عن أنس بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن *

وأخرج عن عائشة قالت: خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمراً وجهه فقال: أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم وقد نزل على في ضحككم آية (ألم يأن للذين) الخ؟ قالوا: يا رسول الله فما كفارة ذلك؟ قال: تبكون بقدر ما ضحكتم، وفي خبر أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام قد ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت، وحديث مسلم ومن معه السابق مقدم على هذه الآثار على ما يقتضيه كلام أهل الحديث، و(يأن) مضارع أني الأمر أنياً وأنا وأنا وأنا بالكسر إذا جاء أنه أي وقته، أي ألم يحج وقت أن تخشع قلوبهم لذكره عز وجل *

وقرأ الحسن. وأبو السهال - ألما - بالهمزة، ولما النافية الجازمة كلم إلا أن فيه أن المنفي متوقع *

وقرأ الحسن بن مزارع أن أينما بمعنى أتى السابق، وقال أبو العباس : قال قوم : إن يئين أينما الهمة مقلوبة فيه عن الحاء وأصله حان يحين حيناً وأصل الكلمة من الحين ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين نحو * هو الملك القرم وابن الهمام * فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء وإلا بأن كان المراد به تذكير الله تعالى إياهم فالعطف لتغاير الذاتين على ما هو الشائع في العطف وكذا إذا أريد به ذكرهم الله تعالى بالمعنى المعروف ، وجوز العطف على الاسم الجليل إذا أريد بالذكر التذكير وهو كما ترى ، وقال الطيبي : يمكن أن يحمل الذكر على القرآن وما نزل من الحق على نزول السكينة معه أى الواردات الإلهية ويعضده ماروينا عن البخارى . ومسلم . والترمذى عن البراء كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنتين فغشيته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة تنزل للقرآن * وفي رواية أقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو للقرآن انتهى ، ولا يخفى بعد ذلك جداً ولعلك تختار حمل الذكر وما نزل على القرءان لما يحس بما بعد من نوع تأييد له ، وفسر الخشوع للقرآن بالانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام من غير توان ولا فتور ، والظاهر أنه اعتبر كون اللام صلة الخشوع ، وجوز كونها للتعليل على أوجه الذكر فالمعنى ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لاجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعوا إلى الطاعة على أكمل وجوهها ، وفي الآية حض على الخشوع ، وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كما أخرج عنه ابن المنذر إذا تلاها بكى ثم قال : بلى يارب بلى يارب ، وعن الحسن أما والله لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما يقرءون فانظروا في طول ما قرأتم وما ظهر فيكم من الفسق ، وروى السلى عن أحمد بن أبي الحوارى قال بينا أنا في بعض طرقات البصرة إذ سمعت صعقة فأقبلت نحوها فرأيت رجلاً قد خر مغشياً عليه فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : كان رجلاً حاضر القلب فسمع آية من كتاب الله فخر مغشياً عليه فقلت : ما هي ؟ فقبل : قوله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فأفاق الرجل عند سماع كلامنا فأشأ يقول :

أما أن للهجران أن يتصرما وللغصن غصن البان أن يتبسما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحى ألم يأن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بهما الشوق بين جوانحي كتاباً حكى نقش الوشى المنمنما

ثم قال : إشكال إشكال إشكال فخر مغشياً عليه فخر كناه فإذا هو ميت ، وعن أبي بكر رضى الله تعالى عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل النيامة فبكوا بكاء شديداً فنظر إليهم فقال : هكذا كنا حتى قست القلوب ، ولعله أراد رضى الله تعالى عنه أن الطراز الأول كان كذلك حتى قست قلوب كثير من الناس ولم يتأسوا بالسابقين وغرضه مدح أولئك القوم بما كان هو ونظراؤه عليه رضى الله تعالى عنهم ، ويحتمل أن يكون قد أراد ما هو الظاهر ، والكلام من باب هضم النفس كقوله رضى الله تعالى عنه : أيقولنى فلست بخيركم ، وقال شيخ الاسلام أبو حفص السهروردى قدس سره : معناه تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما تستغربه حتى تتغير كما تغير هؤلاء السامعون انتهى وهو خلاف الظاهر ، وفيه نوع انتقاص للقوم ورمز إلى أن البكاء عند سماع القرآن لا يكون من كامل كإيز عمه بعض جهلة الصوفية القائلين : إن ذلك لا يكون إلا للضعف القلب عن تحمل الواردات الإلهية النورانية ويحل عن ذلك كلام الصديق رضى الله تعالى عنه ، وقرأ غير واحد

من السبعة (وما نزل) بالتحديد، والجحدري . وأبو جعفر . والأعشى . وأبو عمرو في رواية يونس . وعباس عنه (نزل) مبنياً للفعول مشدداً ، وعبد الله - أنزل - بهمزة النقل مبنياً للفاعل .

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (لا) نافية وما بعدها منصوب معطوف على تخشع . وجوز أن تكون ناهية وما بعدها مجزوم بها ويكون ذلك انتقالاً إلى نهى أولئك المؤمنين عن مائلة أهل الكتاب بعد أن عوتبوا بما سمعت وعلى النفي هو في المعنى نهى أيضاً ، وقرأ أبو بحرية . وأبو حيوة . وابن أبي عتبة . وإسماعيل عن أبي جعفر ، وعن شيبه . ويعقوب . وحمة في رواية عن سليم عنه (ولا تكونوا) بالناء الفوقية على سبيل الالتفات للاعتناء بالتحذير ، وفي (لا) ما تقدم ، والنهي مع الخطاب أظهر منه مع الغيبة . ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ أي الأجل بطول أعمارهم وآمالهم ، أو طال أمد ما بينهم وبين أنبيائهم عليهم السلام وبعد العهد بهم ، وقيل : أمد انتظار القيامة والجزاء ، وقيل : أمد انتظار الفتح ، وفرقوا بين الأمد والزمان بأن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية ، وقرأ ابن كثير في رواية الأمد بتشديد الدال أي الوقت الأطول ﴿ فَكَسَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ صلبت فهي كاللحجارة ، أو أشد قسوة ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ١٦ ﴾ خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية ، قيل : من فرط القسوة وذكر أنه مأخوذ من كون الجملة حال ، وفيه خفاء والأظهر أنه من السياق ، والمراد بالكتاب الجنس فالموصول يعم اليهود والنصارى وكانوا كلهم في أوائل أمرهم يحول الحق بينهم وبين كثير من شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله تعالى وركت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التي كانت يجذبونها عند سماع الكتابين وأحدثوا ما أحدثوا واتبعوا الأهواء وتفرقت بهم السبل ، والقسوة مبدأ الشرور وتنشأ من طول الغفلة عن الله تعالى ، وعن عيسى عليه السلام لا تذكروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسو قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله عز وجل ولا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عباد والناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا على العافية ومن أحسن بقسوة في قلبه فليهرع إلى ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه يرجع إليه حاله كما أشار إليه قوله عز وجل ﴿ إِنْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فهو تمثيل ذكر استطراداً لأحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾ التي من جملتها هذه الآيات ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٧ ﴾ كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين .

﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ ﴾ أي المتصدقين والمتصدقات ، وقد قرأ أبي كذلك ، وقرأ ابن كثير . وأبو بكر . والمفضل . وأبان . وأبو عمرو في رواية هرون بتخفيف الصاد من التصديق لا من الصدقة كما في قراءة الجمهور أي الذين صدقوا واللاتي صدق الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والقراءة الأولى أنسب بقوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وقيل : الثانية أرجح لأن الإقراض يغني عن ذكر التصديق ، وأنت ستعلم إن شاء الله تعالى فائدته ، وعطف (أقرضوا) على معنى الفعل من المصدقين على ما اختاره أبو علي . والنمخشري لأن ال بمعنى الذين ، واسم الفاعل بمعنى الفعل فكانه قيل : إن الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءة (وأقرضوا)

وتعقبه أبو حيان وغيره بأن فيه الفصل بين أجزاء الصلة إذ المعطوف على الصلة صلة بأجنبي وهو المصدقات، وذلك لا يجوز، وقال صاحب التقریب: هو محمول على المعنى كأنه قيل: إن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى بلا فصل، وتعقب بأنه لا يحصل له إلا إذا قيل: إن الـ الثانية زائدة ثلثا يعطف على صورة جزء الكلمة، وفيه بعد، ولا يخفى أن حديث اعتبار المعنى يدفع ما ذكر، ومن هنا قيل: إنه قريب ولا يبعد تنزيل ما تقدم عن أبي علي، والزحشرى عليه، وقيل: العطف على صلة الـ في المصدقات واختلاف الضمائر تأنيثا وتذكيرا لا يضر لأن الـ تصلح للجميع فيراد بها معنى اللاتي عند عود ضمير جمع الإناث عليها ومعنى الذين عند عود ضمير جمع الذكور عليها وهو كما ترى، ومثله ما قيل: هو من باب كل رجل الإناءات عليها ومعنى الذين عند عود ضمير جمع المصدقات في الثواب والمنزلة، أو يقدر خبر أى - إن المصدقين والمصدقات وضعته أى إن المصدقين مقرنون مع المصدقات في الثواب والمنزلة، أو يقدر خبر أى - إن المصدقين والمصدقات يفاحون - (وأقرضوا) في الوجهين ليس عطفاً على الصلة بل مستأنف ويضاعف بعد صفة قرضاً أو استئناف ومن أنصف لم ير ذلك مما ينبغي أن يخرج عليه كلام أدنى الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين، واختار أبو حيان تخريج ذلك على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه كأنه قيل: والذين أقرضوا فيكون مثل قوله: فمن يهجر رسول الله منكم (ويمدحه وينصره) سواء

وهو مقبول على رأى الكوفيين دون رأى البصريين فانهم لا يجوزون حذف الموصول في مثله، وبعض أئمة المحققين بعد أن استقرب توجيه التقریب ولم يستبعد تنزيل ما سمعت عن الزحشرى. وأبى على عليه قال: وأقرب منه أن يقال: إن (المصدقات) منصوب على التخصيص لأنه قيل: (إن المتصدقين) عاماً على التغليب وأخص المتصدقات منهم كما تقول: إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا * ووجه التخصيص ما ورد في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يامعشر النساء تصدقن فإني أرىكن أكثر أهل النار» يحضرن على الصدقة بأنهن إذا فعلن ذلك كان له تعالى أقبل وجزاؤه عنه سبحانه أوفر وأفضل، ثم قال: ولما لم يكن الاقراض غير ذلك التصديق قيل: وأقرضوا أى بذلك التصديق تحقيقا لكينوته وأنهم مثل ذلك يمثلون عند الله تعالى بمن يعامل مع أجود الأجودين معاملة برضاه، ولو قيل: والمقرضين لفاتت هذه النكتة انتهى * ولا يخفى أن نصب المصدقات على التخصيص خلاف الظاهر، وأما ما ذكره في نكتة العدول عن المقرضين فحسن وهو متأد على تخريج أبى علي. والزحشرى، وعلى تخريج أبى حيان، وقال الخفاجى: القول - أى قول أبى البقاء - بأن أقرضوا الخ معترض بين اسم إن وخبرها أظهر وأسهل، وكأن النكتة فيه تأكيد الحكم بالمضاعفة، وزعم أن الجملة حال بتقدير قد أو بدونها من ضميرى المصدقين والمصدقات لا يخفى معنى وعريية فتدبر ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ الضمير لجميع المتقدمين الذكور والإناث على التغليب كضمير أقرضوا، والجار والمجرور نائب الفاعل، وقيل: هو ضمير التصديق أو ضمير القرض على حذف مضاف أى يضاعف ثواب التصديق أو ثواب القرض لهم، وقرأ ابن كثير. وابن عامر - يضاعف - بتشديد العين، وقرئ يضاعف بالبناء للفاعل أى يضاعف الله عز وجل لهم ثواب ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٨﴾ قد مر الكلام فيه * ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ قد بين كيفية إيمانهم في خاتمة سورة البقرة، والموصول مبتدأ أول، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ ثان، وهو إشارة إلى الموصول وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً، وقوله سبحانه:

((هُمْ)) مبتدأ ثالث ، وقوله عز وجل : ((الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدَاءُ)) خبر الثالث ، والجملة خبر الثاني وهو مع خبره خبر الاول أو هم ضمير فصل وما بعده خبر الثاني ، وقوله تعالى : ((عِنْدَ رَبِّهِمْ)) متعلق على ما قيل : بالثبوت الذي تقتضيه الجملة أى أولئك عند ربهم عز وجل وفي حكمه وعلمه سبحانه هم الصديقون والشهداء والمراد أولئك في حكم الله تعالى بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق ورسخوا فيه واستشهدوا في سبيل الله جل جلاله وسمى من قتل مجاهداً في سبيله تعالى شهيداً لان الله سبحانه وملائكته عليهم السلام شهود له بالجنة ، وقيل : لانه حتى لم يمت كأنه شاهد أى حاضر ، وقيل : لان ملائكة الرحمة تشهده ، وقيل : لانه شهد ما أعد الله تعالى له من الكرامة ، وقيل : غير ذلك فهو إما فاعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول على اختلاف التأويل ، وقوله تعالى : ((لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ)) خبر ثان للموصول على أنه جملة من مبتدأ وخبر ، أو (لهم) الخبر وما بعده مرتفع به على الفاعلية وضمير (لهم) للموصول ، والضميران الاخيران للصديقين والشهداء ، والغرض بيان ثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال أى أولئك لهم مثل أجر الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال ، وقد حذف أداة التشبيه تنديها على قوة المماثلة وبلغها حد الاتحاد كما فعل ذلك أولاً حيث قيل : أولئك هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين الملقب الاول من الأجر والنور . وبين تمام الملقبين الآخرين بل بين تمام ماللاول من الأصل والإضعاف وبين ماللاخيرين من الأصل بدون الإضعاف ، فالإضعاف هو الذي امتاز به الفريقان الاخيران على الفريق الاول وقد لا يعتبر تشبيه بليغ في الكلام أصلاً ويبقى على ظاهره والضمائر كلها للموصول أى أولئك هم الميالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله تعالى وأخبار رسله عليهم الصلاة والسلام والقائمون بالشهادة لله سبحانه بالوحدانية وسائر صفات الكمال ولهم بما يليق بهم من ذلك لهم الأجر والنور الموعودان لهم ، وقال بعضهم : وصفهم بالشهادة لكونهم شهداء على الناس كما نطق به قوله تعالى : (و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) فعند ربهم متعلق بالشهداء ، والمراد بالشهداء على الناس يوم القيامة ، وجوز تعلقه بالشهداء أيضاً على الوجه الاول على معنى الذين شهدوا مزيد الكرامة بالقتل في سبيل الله تعالى يوم القيامة أو في حظيرة رحمته عز وجل أو نحو ذلك ، ويشهد لكون الشهداء معطوفا على الصديقين آثار كثيرة .

أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن مؤمنى أمتى شهداء ، ثم تلا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) ، وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى هريرة أنه قال يوماً لقوم عنده : كلكم صديق وشهيد قيل له : ما تقول يا أباهريرة ؟ قال : اقرءوا (والذين آمنوا بالله ورسله) الآية ، وأخرج عبدالرازق . وعبد بن حميد عن مجاهد قال : كل مؤمن صديق وشهيد ثم تلا الآية ، وأخرج عبد بن حميد نحوه عن عمرو بن ميمون ، وأخرج ابن جبان عن عمرو بن مرة الجهني قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقته فمن أنا ؟ قال : من الصديقين والشهداء » وينبغى أن يحمل الذين آمنوا على من لهم كمال في ذلك يعتد به ولا يتحقق إلا بفعل طاعات يعتد بها وإلا فيبعد أن يكون المؤمن المنهمك في الشهوات الغافل عن الطاعات صديقاً شهيداً ،

ويستأنس لذلك بما جاء من حديث عمر رضي الله تعالى عنه مالم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعيبوا عليه؟ قالوا: نخاف لسانه قال: ذلك أخرى أن لا تكونوا شهداء، قال ابن الاثير: أى إذا لم تفعلوا ذلك لم تكونوا في جملة الشهداء الذين يستشهدون يوم القيامة على الامم التي كذبت أنبياءها، وكذا بقوله عليه الصلاة والسلام: اللعانون لا يكونون شهداء بناءً على أحد قولين فيه. وفي بعض الاخبار ما ظاهره إرادة طائفة من خواص المؤمنين، أخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من فر بدينه من أرض إلى أرض مخافة الفتنة على نفسه ودينه كتب عند الله صديقاً فإذا مات قبضه الله شهيداً وتلاهذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء) ثم قال: هذه فيهم ثم قال: والفزارون بدينهم من أرض إلى أرض يوم القيامة مع عيسى ابن مريم في درجته في الجنة» ويجوز أن يراد من قوله: «هذه فيهم» أنها صادقة عليهم وهم داخلون فيها دخولا أولياً، ويقال: في قوله عليه الصلاة والسلام: «مع عيسى في درجته» المراد معه في مثل درجته وتوجه المائلة بما مر والخبر إذا صح يؤيد الوجه الأول في الآية. وروى عن الضحاك أنها نزلت في ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الاسلام وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وحمة. وطلحة. والزبير. وسعد. وزيد رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وهذا لا يضر في العموم كما لا يخفى، وقيل: الشهداء مبتدأ (عند ربهم) خبره، وقيل: الخبر (لهم أجرهم) والكلام عليهما قد تم عند قوله تعالى: (الصديقون)، وأخرج هذا ابن جرير عن ابن عباس. والضحاك قال: (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) هذه مفصلة سبهم صديقين، ثم قال: والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم. وروى جماعة عن مسروق ما يوافقه، واختلفوا في المراد بالشهداء على هذا ف قيل: الشهداء في سبيل الله تعالى. وحكى ذلك عن مقاتل بن سليمان، وقيل: الانبياء عليهم السلام الذين يشهدون للامم عليهم، وحكى ذلك عن مسروق. ومقاتل بن حيان. واختاره الفراء. والزجاج، وزعم أبو حيان أن الظاهر كون الشهداء مبتدأ وما بعده خبر، ومن أنصف يعلم أنه ليس كما قال، وأن الذي تقتضيه جرالة النظم الكريم هو ما تقدم، ثم النور على جميع الأوجه على حقيقته، وعن مجاهد. وغيره أنه عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أى بجميعها على اختلاف أنواعها وهو إشارة إلى كفرهم بالرسول عليهم السلام جميعهم ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ بحيث لا يفارقونها أبداً ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحياة التي اطمأن بها الفريق الثاني، وأشير إلى أنها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلاً عن الاطمئنان بها بأنها لعب لا ثمرة فيها سوى التعب (ولهو) تشغل الانسان عما يعنيه ويهمه (وزينة) لا يحصل منها شرف ذاتي كالملايس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة (وتفاخر) بالانساب والعظام البالية (وتكاثر) بالعدد والعدد، وقرأ السلي (وتفاخر بينكم) بالاضافة، ثم أثير إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال بقوله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أى راقهم ﴿نَبَاتُهُ﴾ أى النبات الحاصل به، والمراد بالكفار إما الخراف على ما روى عن ابن مسعود لانهم يكفرون أى يسترون

البذر في الارض ووجه تخصيصهم بالذكور ظاهر ، وأما الكافرون بالله سبحانه ووجه تخصيصهم أنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا فإن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة موجد عز وجل فأعجب بها ، ولذا قال أبو نؤاس في النرجس :

عيون من لجن شاخصات على أطرافها ذهب سبيك
على قضب الزبرجد شاهدات (بأن الله ليس له شريك)

والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق إعجاباً (ثم يهيج) يتحرك إلى أقصى ما يتأتى له ، وقيل : أي يحف بعد خضرته ونضارته (فترته) يامن تصح منه الرؤية (مصفراً) بعد مارأيته ناضراً موقناً ، وقرئ مصفراً وإنما لم يقل فيصفّر قيل : إيذاً بأن اصفراره غير مقارن لهيجانه وإنما المترتب عليه رؤيته كذلك ، وقيل : للإشارة إلى ظهور ذلك لكل أحد (ثم يكون خطاماً) هشياً متكسراً من اليبس ، ومحل الكاف قيل : النصب على الحالية من الضمير في (لعب) لأنه في معنى الوصف ، وقيل : الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف إليه أي مثل الحياة كمثل النخ ، وتضمن ذلك تشبيه جميع ما فيها من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل في أقل من سنة جاءت الإشارة إلى سرعة زوالها وقرب اضمحلها ، وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا تزهداً فيها وتنفيراً عن العكوف عليها أشير إلى غفلة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيراً من عذابها الأليم ، وقدم سبحانه ذكر العذاب فقال جل وعلا :
(وفي الآخرة عذاب شديد) لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة عظيمة)
(من الله ورضوان) عظيم لا يقادر قدره ، وفي مقابلة العذاب الشديد بشيئين إشارة إلى غلبة الرحمة وأنه من باب « لن يغلب عسر يسرين » *

وفي ترك وصف العذاب بكونه من الله تعالى مع وصف ما بعده بذلك إشارة إلى غلبتها أيضاً ورمز إلى أن الخير هو المقصود بالقصد الأولى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ٢٠) لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة للآخرة ومطية لنعيمها ، روى عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن أهلك عن طلب الآخرة ، فأما إذا دعيتك إلى طلب رضوان الله تعالى وطلب الآخرة فنعيم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا إلى مغفرة) أي سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار إلى أسباب مغفرة عظيمة كائنة (من ربكم) والكلام على الاستغارة أو المجاز المرسل واستعمال اللفظ في لازم معناه وإنما لم يرد ذلك لأن اللازم أن يبادر من يعمل ما يكون سبباً للمغفرة ودخول الجنة لا أن يعمل أو يتصف بذلك سابقاً على آخر ، وقيل : المراد سابقوا ملك الموت قبل أن يقطعكم بالموت عن الأعمال الموصلة لما ذكره ، وقيل : سابقوا إبليس قبل أن يصدكم بغروره وخداعه عن ذلك وهو كما ترى . والمراد بتلك الأسباب الأعمال الصالحة على اختلاف أنواعها ، وعن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال في الآية : كن أول داخل المسجد وآخر خارج ، وقال عبد الله : كونوا في أول صف القتال ، وقال أنس : أشهدوا تكبيرة الاحرام مع الامام وكل ذلك من باب التمثيل ، واستدل بهذا الأمر على أن الصلاة بأول وقتها أفضل من التأخير (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي كعرضها جميعاً لو ألصق أحدهما بالآخر وإذا (٢٤٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

كان العرض وهو أقصر الامتدادين موصوفاً بالسعة دل على سعة الطول بالطريق الاولى فلاقتصار عليه أبدأ من ذكر الطول معه ، وقيل: المراد بالعرض البسطة ولذا وصف به الدعاء ونحوه بما ليس من ذوى الابعاد وتقدم قول آخر في تفسير نظير الآية من سورة آل عمران وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية .

﴿ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أى هيئت لهم ، واستدل بذلك على أن الجنة موجودة الآن لقوله تعالى (أعدت) بصيغة الماضي والتأويل خلاف الظاهر ، وقد صرح بخلافه في الأحاديث الصحيحة وتام الكلام في علم الكلام ، وعلى أن الايمان وحده كاف في استحقاق الجنة لذكره وحده فيما في حيز ما يشعر بعله الإعدا وإدخال العمل في الايمان المعتدى بالبلاء غير مسلم كذا قالوا ، ومتى أريد بالذين آمنوا المذكورين من لهم درجة في الايمان يعتد بها ، وقيل : بأنها لا تحصل بدون الأعمال الصالحة على ما سمعته من قريباً اتخذ الاستدلال الثاني في الجملة كالايتني ، وذكر النيسابوري في وجه التعبير هنا بسابقوا في آية آل عمران - يسارعوا - وبالسما هنا وبالسماوات هناك - وبكعرض - هنا - وبعرض - بدون أداة تشبيه ثم كلاماً مبنياً على أن المراد بالمتقير هناك السابقون المقربون ، وبالذين آمنوا هنا من هم دون أولئك حالا فتأمل ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى الذى وع من المغفرة والجنة ﴿ فَضَّلُ اللَّهُ ﴾ عطاؤه الغير الواجب عليه ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ إيتاءه ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ فلا يبعد منه عز وجل التفضل بذلك على من يشاء وإن عظم قدره ، فالجملة تذييل لإثبات ما ذيل بها .

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ أى نائبة أى نائبة وأصلها في الرمية وهى من أصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب ثم خصت بها .

وزعم بعضهم أنها لغة عامة في الشر والخير وعرفا خاصة بالشر ، (و من) مزيدة للتأكيد ، وأصاب ج في الشر كما هنا ، وفي الخير كقوله تعالى : (ولئن أصابكم فضل من الله) وذكر بعضهم أنه يستعمل في الخير اعتبار بالصوب أى بالمطر وفي الشر اعتباراً بإصابة السهم ، وكلاهما يرجعان إلى أصل وتذكير الفعل في مثل ذلك جائز كتأنيته ، وعليه قوله تعالى : (ما تسبق من أمة أجلها) والكلام على العموم لجميع الشرور أى مصيبة أى مصيبة ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ كجذب وعامة في الزرع والثمار وزلزلة وغيرها ﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ كمرض وآفة كالجرم والكسر ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ أى إلا مكتوبة مثبتة في اللوح المحفوظ ، وقيل : في علم الله عز وجل .

﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ أى نخلقها ، والضمير على ما روى عن ابن عباس . وقتادة . والحسن . وجماعة للأنفس ﴿ وَمَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ وقيل : للارض ، واستظهر أبو حيان كونه للمصيبة لأنها هي المحدث عنها ، وذكر الارض والأنفس إتماماً على سبيل ذكر محلها ، وذكر المهدوى جواز عوده على جميع ما ذكر ، وقال جماعة : يعود على المخلوقات ولم يجر لها ذكر ، وقيل : المراد بالمصيبة هنا الحوادث من خير وشر وهو خلاف الظاهر من استعمال المصيبة إلا أن فيما بعد نوع تأييده وأياً ما كان ففي الارض متعلق بمحذوف مرفوع أو مجرور صفة لمصيبة على الموضع أو على اللفظ ، وجوز أن يكون ظرفاً لأصاب أو للمصيبة ، قيل : وإنما قيدت المصيبة بكونها في الارض والأنفس لأن الحوادث المطلقة كلها ليست مكتوبة في اللوح لأنها غير متناهية ، واللوح متناه وهو لا يكون

ظرفا لغير المتناهي ولذا جاء « جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » وفي الآية تخصيص آخر وهو أنه سبحانه لم يذكر أحوال أهل السموات لعدم تعلق الغرض بذلك مع قلة المصائب في أهلها بل لا يكاد يصيبهم سوى مصيبة الموت ، وما ذكره في وجه التخصيص الأول لا يتم إذا أريد بالكتاب علمه سبحانه ، وقيل : بأن كتابة الحوادث فيه على نحو كتابتها في القرآن العظيم بناءً على ما يقولون : إنه مامن شيء إلا ويكن استخراجه منه حتى أسماء الملوك ومددهم وما يقع منهم ولو قيل في وجهه - إن الأوفق بما تقدم من شرح حال الحياة الدنيا إنما هو ذكر المصائب الدنيوية فلذا خصت بالذكر - لكان تاماً مطلقاً ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ أى إثباتها في كتاب ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ لا غيره سبحانه ﴿ يَسِيرُ ٢٢ ﴾ لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة ، وإن أريد بذلك تحققها في علمه جل شأنه فيسره لأنه من مقتضيات ذاته عز وجل ، وفي الآية رد على هشام بن الحكم الزاعم أنه سبحانه لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ، وفي الإكليل إن فيها رداً على القدرية ، وجاء ذلك في خبر مرفوع ، أخرج الديلمي عن سليم بن جابر الجهيمي قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « سيفتح على أمي باب من القدر في آخر الزمان لا يستدئ شيء يكفيكم منه أن تلقوه بهذه الآية ما أصاب من مصيبة » الآية .

وأخرج الإمام أحمد . والحاكم وصححه عن أبي حسان أن رجلين دخلا على عائشة رضى الله تعالى عنها فقالا : « إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول : إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار فقالت : والذي أنزل القرآن على أبي القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ما هكذا كان يقول ، ولكن كان رسول الله ﷺ يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار ، ثم قرأت (ما أصاب من مصيبة) الآية ﴿ لَكَيْلًا تَأْسُوا ﴾ أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ﴿ عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من نعم الدنيا ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أى أعطاكموه الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على مافات ولا فرحه بما هوآت ، وعلم كون الكل مقدرًا مع أن المذكور سابقاً المصائب دون النعم وغيرها لأنه لا قائل بالفرق وليس في النظم الكريم اكتفاء كما توهم ، نعم إن حملت المصيبة على الحوادث من خير وشر كان أمر العلم أوضح كما لا يخفى وترك التعادل بين الفعلين في الصلتين حيث لم يسندا إلى شيء واحد بل أسندا الأول إلى ضمير الموصول والثاني إلى ضميره تعالى لان الفوات والعدم ذاتي للأشياء فلو خليت ونفسها لم تبق بخلاف حصولها وبقائها فانه لا بد من استنادها إليه عز وجل كما حقق في موضعه ، وعليه قول الشاعر :

فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي وسائله لم بقى

ومثل هذه القراءة قراءة عبد الله - أوتيم - مبنياً للمفعول أى أعطيتم ، وقرأ أبو عمرو - أتاكم - من الاتيان أى جاءكم وعليها بين الفعلين تعادل ، والمراد نفى الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين ونفى الفرح المطفئ للملهى عن الشكر ، وأما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله تعالى والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما .

أخرج جماعة منهم الحاكم وصححه عن ابن عباس أنه قال في الآية : ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبراً ومن أصابه خير جعله شكراً ، وقوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٣٢﴾ تذييل يفيد أن الفرح المذموم هو الموجب للبطر والاختيال والمختال المتكبر عن تخيل فضيلة تراات له من نفسه، والفخور المباهي في الاشياء الخارجة عن المرء كالمال والجاه * وذكر بعضهم أن الاختيال في الفعل والفخر فيه وفي غيره، والمراد من لا يحب يبغض إذ لا واسطة بين الحب والبغض في حقه عز وجل وأولا بالاثابة والتعذيب، ومذهب السلف ترك التأويل مع التنزيه، ومن لا يحب كل مختال لا يحب كل فرد فرد من ذلك لأنه لا يحب البعض دون البعض ويرد بذلك على الشيخ عبد القاهر في قوله: إذا تأملنا وجدنا إدخال كل في حيز النفي لا يصلح إلا حيث يراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن، نعم إن هذا الحكم أكثرى لا كلي، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من (كل مختال) بدل كل من كل فإن المختال بالمال يضن به غالباً ويأمر غيره بذلك، والظاهر أن المراد أنهم يأمررون حقيقة، وقيل: كانوا قدوة فكأنهم يأمررون أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين الخ، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره يعرضون عن الاتفاق الغنى عنه الله عز وجل، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٢٤﴾ فإن معناه ومن يعرض عن الاتفاق فإن الله سبحانه غنى عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب إليه بشئ من نعمه جل جلاله، وقيل: تقديره مستغنى عنهم، أو موعودون بالعذاب أو مذمومون، وجوز أن يكون في موضع نصب على إضمار أعنى أو على أنه نعت - لكل مختال - فانه مخصص نوعاً مامن التخصيص فساغ وصفه بالمعرفة وهذا ليس بشئ، وقال ابن عطية بجواز مثل ذلك مذهب الأخفش ولا يخفى ما في الجملة من الاشعار بالتهديد لمن تولى، وقرأ نافع وابن عامر - فان الله الغنى - بإسقاط - هو - وكذا في مصاحف المدينة والشام وهو في القراءة الأخرى ضمير فصل، قال أبو علي: ولا يحسن أن يكون مبتدأ وإلا لم لم يحذف في القراءة الثانية لأن ما بعده صالح لأن يكون خبراً فلا يكون هناك دليل على الحذف وهذا مبنى على وجوب توافق القراءتين إعراباً وليس بلازم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي من بني آدم كما هو الظاهر ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي الحجج والمعجزات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي جنس الكتاب الشامل للكل، والظرف حال مقدرة منه على ما قال أبو حيان، وقيل: مقارنة بتنزيل الاتصال منزلة المقارنة ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ الآلة المعروفة بين الناس كما قال ابن زيد وغيره، وإنزاله إنزال أسبابه، ولو بعيدة، وأمر الناس باتخاذها مع تعليم كيفية * ﴿يَلْقُومَ النَّاسُ بِالْقُسْطِ﴾ علة لأنزال الكتاب والميزان والقيام بالقسط أي بالعدل يشمل التسوية في أمور التعامل باستعمال الميزان، وفي أمور المعاد باحتذاء الكتاب وهو لفظ جامع مشتمل على جميع ما ينبغي الاتصاف به معاشاً ومعاداً ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قال الحسن: أي خلقناه كقوله تعالى: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) وهو تفسر بلازم الشئ. فان كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته في اللوح وتقديره موجوداً حيث ما ثبت فيه * وقال قطرب: هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم من نزل الضيف ﴿فيه بأسٌ﴾ أي عذاب ﴿شديدٌ﴾ لأن آلات الحرب تتخذ منه، وهذا إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى القائم بالسيف ليحصل القيام بالقسط فان الظلم من شيم النفوس، وقوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي في معاشهم ومصالحهم إذ مامن صنعة إلا

والحديد أو ما يعمل به آلتها للإيماء إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى الوازع وهو القائم بالسيف يحتاج إلى ما به قوام التعايش ، ومن يقوم بذلك أيضا ليمتد التمدن المحتاج إليه النوع ، ولتم القيام بالقسط ، كيف وهو شامل أيضاً لما يخص المرء وحده ، والجملة الظرفية في موضع الحال ، وقوله سبحانه :

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ ﴾ عطف على محذوف يدل عليه السياق أو الحال لأنها متضمنة للتعليل أي لينفعهم وليعلم الله تعالى علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال آلات الحرب من الحديد في مجاهدة أعدائه والحذف للاشعار بأن الثاني هو المطلوب لذاته وأن الأول مقدمة له ، وجوز تعلقه بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أي وليعلم الخ أنزله أو مقدمه الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها وقد حذف المعطوف وأقيم متعلقه مقامه ، وقوله تعالى : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ حال من فاعل ينصر ، أو من مفعوله أي غائباً منهم أو غائبين منه ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥ ﴾ اعتراض تذييلي جئ به تحقيقاً للحق وتنبه على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته سبحانه في إعلاء كلمته وإظهار دينه إلى نصرته بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيه إلى الثواب وإلا فهو جل وعلا غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد . هذا وذهب الزمخشري إلى أن المراد بالرسول الملائكة عليهم السلام أي أرسلناهم إلى الأنبياء عليهم السلام ، وفسر - البينات - بما فسرنا بناءً على الملائكة ترسل بالمعجزات كإرسالها بالحجج لتخبر بأنهم معجزات وإلا فكان الظاهر الاختصار على الحجج وإنزال الكتاب أي الوحي مع أولئك الرسل ظاهر ، وإنزال الميزان بمعنى الآلة عنده على حقيقته ، قال: روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام ، وقال: «مر قومك يزونا به ، وفسره كثير بالعدل ، وعن ابن عباس في إنزال الحديد نزل مع آدم عليه السلام الميعة والسندان والكلبتان ، وروى أنه نزل ومعه الميزان والمسحاة ، وقيل : نزل ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والابرة والمطرقة والميعة ، وفسرت بالمسن ، وتجيئ بمعنى المطرقة أو العظيمة منها ، وقيل : ما تحته به الرحي ، وفي حديث ابن عباس نزل آدم عليه السلام من الجنة بالباسنة وهي آلات الصناعات ، وقيل : سكة الحرث وليس بعربي محض والله تعالى أعلم .

واستظهر أبو حيان كون - ليقوم الناس بالقسط - علة لإنزال الميزان فقط وجوز ما ذكرناه وهو الأولى فيما أرى ، وقوله تعالى . ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا) وتكرير القسم لظهور مزيد الاعتناء بالأمر أي وبالله لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم . ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب ، وقال ابن عباس : الكتاب الخط بالقلم ، وفي مصحف عبد الله - والنبية - مكتوبة بالياء عوض الواو ﴿ قَنُوهُمْ ﴾ أي من الذرية ؛ وقيل : أي من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الأرسال والمرسايين ﴿ مَهْتَدٌ ﴾ وكثير منهم فاسقون ٢٦ ﴿ خَارِجُونَ ﴾ عن الطريق المستقيم ، ولم يقل - ومنهم - ضال مع أنه أظهر في المقابلة لأن ما عليه النظم الكريم أبلغ في الذم لأن الخروج عن الطريق المستقيم بعد الوصول بالتمكن منه ، ومعرفة أبلغ من الضلال عنه ولا يذانه بغلبة أهل الضلال على غيرهم ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ أي أرسلنا بعدهم رسولا بعد رسول ، وأصل التقفية جعل

الشيء خلف القفاء، وضمير آثارهم لنوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم من قومهما . وقيل : لمن عاصرهما من الرسل عليهم السلام *

واعترض بأنه لو عاصر رسول نوحاً فيما أن يرسل إلى قومه كهرون مع موسى عليهما السلام أو إلى غيرهم بطوط مع إبراهيم عليهما السلام ولا مجال للاول لمخالفته للواقع ولا إلى الثاني إذ ليس على الارض قوم غيره ، وأجيب بأن ذلك توجيه لجمع الضمير وكون لوط مع إبراهيم كاف فيه ، وقيل : للذرية ، وفيه أن الرسل المقفي بهم من الذرية فلو عاد الضمير عليهم لزم أنهم غيرهم أو اتحاد المقفي والمقفي به وتخصيص الذرية مرجع الضمير بالأوائل منهم خلاف الظاهر من غير قرينة تدل عليه ﴿ وَفَقَيْنَا بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ جعلناه بعده

وحاصل المعنى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الارسال إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَمَا تَنبَهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ بأن أو حينئذ اليه وليس هو الذي بين أيدي النصارى اليوم أعنى المشتغل على قصة ولادته وقصة صلبه المفتراة؛ وقرأ الحسن (الإنجيل) بفتح الهمزة، قال أبو الفتح : وهو مثال لانظير له ، قال الزمخشري : وأمره أهون من أمر البرطيل بفتح الباء والكسر أشهر وهو حجر مستطيل واستعماله في الرشوة مولد مأخوذ منه بنوع تجوز لأنه عجمي وهذا عربي وهم يتلاعبون بالعجمي ولا يلتزمون فيه أوزانهم ، وزعم بعض أن لفظ الإنجيل عربي من نجلت بمعنى استخرجت لاستخراج الاحكام منه ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ أى خلقنا أو صيرنا - ففي قلوب - في موضع المفعول الثاني وأياً ما كان فالمراد جعلنا ذلك في قلوبهم فهم يرأف بعضهم ببعض ويرحم بعضهم بعضاً ، ونظيره في شأن أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رحماء بينهم) والراقة في المشهور الرحمة لكن قال بعض الافاضل : إنها إذا ذكرت معها يراد بالراقة مافيه درء الشر ورأب الصدع ، وبالرحمة مافيه جلب الخير ولذا ترى في الاغلب تقديم الراقة على الرحمة وذلك لأن درء المفساد أهم من جلب المصالح وقرئ رآقة على فعالة كشجاعة ﴿ وَرَهْبَانِيَّة ﴾ منصوب بفعل مضمير يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية *

﴿ اِبْتَدَعُوهَا ﴾ فهو من باب الاشتغال ، واعترض بأنه يشترط فيه - كما قال ابن السجري . وأبو حيان - أن يكون الاسم السابق مختصاً بحوز وقوعه مبتدأ والمذكور نكرة لامسوخ لها من مسوغات الابتداء ، وردبأنه على فرض تسليم هذا الشرط الاسم هنا موصوف بمعنى بما يؤخذ من تنوين التعظيم كما قيل في قولهم : شر أهر ذا ناب وما يدل عليه من النسبة كما ستسمعه إن شاء الله تعالى أو منصوب بالعطف على ما قبل ، وجملة (ابتدعوها) في موضع الصفة والكلام على حذف مضاف أى وجعلنا في قلوبهم رآقة ورحمة وحب رهبانية مبتدعة لهم ، وبعضهم جعله معطوفاً على ما ذكر ولم يتعرض للحذف ، وقال : الرهبانية من أفعال العباد لأنها المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ، وأصل معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى ، وأفعال العباد يتعاقبها جعل الله تعالى عند أهل الحق وهى في عين كونها مخلوقة له تعالى مكتسبة للعبد ، والزمخشري جوز العطف المذكور وفسر الجعل بالتوفيق كأنه قيل : وفقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع الرهبانية واستحداثها بناءً على مذهبه أن الرهبانية فعل العبد المخلوق له باختياره، وفائدة (في قلوب) على هذا التصوير على ما قيل ، ولا يخفى مافى هذا التفسير من العدول عن الظاهر لكن الانصاف أنه لا يحسن العطف بدون هذا

تأويل أو اعتبار حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه على ما تقدم أو تفسير الرهبانية بما هو من أفعال القلوب لخوف المفرط المقتضى للغلو في التعبد ويرتكب نوع تجوز في ابتدعوها وما بعده كأن يكون المراد ابتداع عملها وآثارها أو ارتكاب استخدام في الكلام بأن يعتبر للرهبانية معنيان الخوف المفرط مثلاً ، ويراد في جعلنا في قلوبهم رهبانية والاعمال التعبدية الشاقة كرفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن ، ويراد في ابتدعوها وما بعده وليس الداعي للتأويل الاعتزال بل كون الرهبانية بمعنى الاعمال البدنية ليست مما يجعل القلب كالرأفة والرحمة فتأمل *

وقرئ (رهبانية) بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان بالضم وهو ما قال الراغب: يكون واحداً وجعافاً بالنسبة إليه باعتبار كونه واحداً ومن ظن اختصاص المضموم بالجمع قال: إنه لما اختص بطائفة مخصوصة أعطى حكم لعلم فسبته إليه بما قالوا في أنصار وأنصارى أو أن النسبة إلى رهبان المفتوح وضم الراء في المنسوب من تغييرات النسب كما في دهرى بضم الدال ، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ جملة مستأنفة ، وقوله سبحانه:

﴿ إِلَّا ابْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ استثناء منقطع أى ما فرضاها نحن عليهم رأساً ولكن ابتدعوها وألزموا أنفسهم بها ابتغاء رضوان الله تعالى ، وقوله تعالى: ﴿ فَاَرَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أى ما حافظوا عليها حق المحافظة ذم لهم من حيث أن ذلك كالنذر وهو عهد مع الله تعالى يجب رعايته لاسيما إذا قصد به رضاه عز وجل هـ

واستدل بذلك على أن من اعتاد تطوعاً كره له تركه ، وجوز أن يكون قوله تعالى: (ما كتبناها) الخ صفة أخرى لرهبانية والنفي متوجه إلى قيد الفعل لانفسه كما في الوجه الأول وقوله سبحانه: (إلا ابتغاء) الخ استثناء متصل من أعم العلل أى ما قضيناها عليهم بأن جعلناهم يبتدعونها الشيء من الأشياء إلا ليتفوتوا بها رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب ، ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فارعوها كذلك والوجه الأول مروى عن قتادة . وجماعة ، وهناروى عن مجاهد ولا مخالفة عليه بين (ابتدعوها) و (ما كتبناها عليهم) الخ حيث أن الأول يقتضى أنهم لم يؤمروا بها أصلاً والثاني يقتضى أنهم أمروا بها لا بتفد رضوان الله تعالى لما أشرنا إليه من معنى (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء) الخ ، ودفع بعضهم المخالفة بأن يقال: الأمر وقع بعد ابتداعها أو يؤل ابتدعوها بأنهم أول من فعلها بعد الأمر ويؤيد مذكره في النهج أولاً ما أخرجه أبو حمزة وأبو يعلى . والضياء عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ما ابتدعوها ما كتبناها عليهم » يعنى الآية ، والظاهر أن ضمير فارعوها لأولئك الذين ابتدعوا الرهبانية ، والمراد نفي وقوع الرعاية من كلهم على أن المعنى فما رعاها كلهم بل بعضهم ، وليس المراد بالموصول فيما سبق أشخاصاً بأعيانهم بل المراد به ما يعم النصارى إلى زمان الاسلام ولا يضر في ذلك أن أصل الابتداع كان من قوم مخصوصين لأن إسناده على نحو الاسناد في - بنو تميم قتلوا زيدا - والقاتل بعضهم *

وقال الضحاك . وغيره : الضمير في (فارعوها) للاخلاف الذين جاءوا بعد المبتدعين والاول أوفق بالصناعة ، والمراد بالذين آمنوا في قوله تعالى: ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ ﴾ الذين آمنوا إيماناً صحيحاً وهو لمن أدرك وقت النبي صلى الله عليه وسلم الايمان به عليه الصلاة والسلام أى فآتينا الذين آمنوا منهم

إيماناً صحيحاً بعد رعاية رهبانيتهم ﴿أَجْرُهُمْ﴾ أى ما يختص بهم من الأجر وهو الأجر على ماسلف منهم والاجر على الايمان به عليه الصلاة والسلام ، وليس المراد بهم الذين بقوا على رعاية الرهبانية إلى زمان البعثة ولم يؤمنوا لأن رعايتها لغو محض وكفر بحت وإنما لها استتباع الاجر ، ويجوز أن يقال : إن الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها هم الذين كذبوه عليه الصلاة والسلام ، قال الزجاج : قوله تعالى : (فما رعوها حق رعايتها) على ضربين : أحدهما أن يكونوا قصرُوا فيما ألزموه أنفسهم ، والآخر وهو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمنوا فكانوا تاركين لطاعة الله تعالى فما رعوا تلك الرهبانية ، ودليل ذلك قوله تعالى : (فأتينا الذين آمنوا منهم) الخ انتهى ، فحمل الذين آمنوا على من أدرك وقته عليه الصلاة والسلام منهم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم والفاسقين في قوله تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ٣٧ ﴾ على الذين لم يؤمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومقتضى حمل الذين آمنوا على ماسمعت أولاً حمله على الاعم الشامل لمن خرج عن اتباع عيسى عليه السلام من قبل وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها إذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة ونحو ذلك من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكفرهم به بما لا يساعده المقام .

وفى الآثار ما ياباه فى حديث طويل أخرجه جماعة منهم الحاكم وصححه . والبيهقى فى شعب الايمان من طرق عن ابن مسعود « اختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهما فرقة وازت الملوك وقتلتهم على دين الله وعيسى ابن مريم ، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراى قومهم فدعواهم إلى دين الله ودين عيسى فقتلتهم الملوك ونشرت بهم بالناشر ، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام معهم فباحوا فى الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم أجراً) الذين آمنوا بى وصدقونى (وكثير منهم فاسقون) الذين حجدوا بى وكفروا بى » وهذا الخبر يؤيد ما استجوده الزجاج ، ويعلم منه أيضاً سبب ابتداء الرهبانية وليس فى الآية ما يدل على ذم البدعة مطلقاً ، والذى تدل عليه ظاهراً ذم عدم رعاية ما ألزموه ، وتفصيل الكلام فى البدعة ما ذكره الامام محيى الدين النووى فى شرح صحيح مسلم . قال العلماء : البدعة خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرومة ومكروهة . ومباحة (١) فمن الواجبة تعلم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك ، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك ، ومن المباحة التبسط فى ألوان الاطعمة وغير ذلك ، والحرام والمكروه ظاهراً ، فعلم أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » من العام المخصوص .

وقال صاحب جامع الاصول : الابتداء من المخلوقين إن كان فى خلاف ما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو فى حيز الذم والانكار وإن كان واقعا تحت عموم ماندى الله تعالى اليه وحض عليه أو رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو فى حيز المدح وإن لم يكن مثاله وجوداً كنوع من الجود والسخاء

(١) هذا التقسيم لا يصح أن يكون للبدع بالمعنى الشرعى إذ ما ذكره دل عليه الكتاب والسنة وإنما يصح للبدع بالمعنى اللغوى وقد أشبع الكلام على ذلك صاحب الاعتصام فراجع اه لإدارة الطباعة المنيرية

وفعل المعروف ، ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في صلاة التراويح : نعمت البدعة هذه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استظهر أبو حيان كون الخطاب لمن آمن من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم غير أهل الكتاب والآثار تؤيد ذلك ، أخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قالا : إن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فشهدوا معه أحداً فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد فلما رأوا ما بالمومنين من الحاجة قالوا : يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجي بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله تعالى فيهم (الذي آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) إلى قوله سبحانه : (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) فجعل لهم أجرين فلما نزلت هذه الآية قالوا : يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كآجوركم فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) الآية أي أي راداً عليهم قولهم : ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كآجوركم .

وفي الكشف إن قائل ذلك من لم يكن آمن من أهل الكتاب قالوه حين سمعوا تلك الآية يفخرون به على المسلمين ، والمعنى يا أيها الذين انصفوا بالايان ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اثبتوا على تقواه عز وجل فيما نهاكم عنه . ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ واثبتوا على الايمان برسوله الذي أرسله اليكم وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي التعبير عنه بذلك ما لا يخفى من الدلالة على جلالة قدره عليه الصلاة والسلام ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ بسبب ذلك .

﴿كَفَلْتُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال أبو موسى الأشعري : ضعفين بلسان الحبشة ، وقال غير واحد : نصيين ، والمراد إيتاؤهم أجرين ثموني أهل الكتاب كأنه قيل : يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الأجرين لأنكم مثلهم في الايمان بالرسول المتقدمين وبخاتمهم صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم أجمعين لا تفرقون بين أحد من رسله . وقال الراغب : الكفل الحظ الذي فيه الكفاية كأنه تكفل بأمره ، والكفلان هما المرغوب فيهما بقوله تعالى : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) ولا دلالة على التخصيص .

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يوم القيامة وهو النور المذكور في قوله تعالى : (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سلف منكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٨﴾ أي مبالغ في المغفرة والرحمة فلا بدع إذا فعل سبحانه ما فعل ، وقوله تعالى : ﴿لَلَّأَيُّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل : متعلق بمضمون الجملة الطلية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير إن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ثلاثاً ، وقيل : متعلق بالأفعال الثلاثة قبله على التنازع ، أو بمقدر كفعل ذلك وأعلمهم ونحوه و(لا) مزيدة مثلها في قوله تعالى : (ما منعك أن لا تسجد) ويجوز زيادتها مع القرينة كثيراً (أن) مخففة من الثقيلة واسمها المحذوف ضمير أهل الكتاب أي أنهم ، وقيل : ضمير الشأن وما بعد خبرها والجملة في خبر النصب على أنها مفعول يعلم أي يعلم أهل الكتاب القائلون من آمن بكتابكم منا فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كآجوركم أنهم لا ينالون شيئاً من فضل الله من الأجرين وغيرهما ولا يتمكنون من نيله مالم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحاصله الإعلام بأن إيمانهم بنبيهم لا ينفهم شيئاً مالم يؤمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام فقولهم : من لم يؤمن بكتابكم فله أجر باطل .

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : لما نزلت (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على أصحابه عليه الصلاة والسلام فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) الخ فجعل لهم سبحانه أجرين مثل ما يؤمنون أهل الكتاب ، وقال الثعلبي : فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الآية فجعل لهم أجرين وزادهم النور ثم قال سبحانه : (لئلا يعلم) الخ ، وحاصله على هذا ليعلموا أنهم ليسوا ملاك فضله عز وجل فيزوه عن المؤمنين ويستبدوا به دونهم ، وقوله تعالى : (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ) عطف على أن لا يقدرين داخل معه في حيز العلم ، وقوله سبحانه : (يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ) خبر ثان لأن أو هو الخبر وما قبله على ما قيل : حال لازمة أو استئناف ، وقوله عز وجل : (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله .

وذهب بعض إلى أن الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب اليهود والنصارى أولم لم يؤمن منهم بعد ، فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أى اثبتوا على الإيمان به أو أحدثوا الإيمان به عليه الصلاة والسلام يؤتكم نصيبين من رحمته نصيباً على إيمانكم بمن آمنتم به أولاً ونصيباً على إيمانكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم آخر أليعلم الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب أنهم لا ينالون شيئاً مما يناله المؤمنون منهم ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الإيمان برسوله ﷺ ، وأيد ذلك بما فى صحيح البخارى « من كانت له أمة عليها فأحسن تعليمها وأديها فأحسن تأديتها وأعتقها وتزوجها فله أجران ، وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بى فله أجران ، وأيما مملوك أدى حق الله تعالى وحق مواليه فله أجران » ولا إشكال فى ذلك بالنسبة إلى النصارى ، ولذا قيل : الخطاب لهم لأن ملتهم غير منسوخة قبل ظهور الملة المحمدية ومعرفتهم بها فيثابون على العمل بها حتى يجب عليهم الإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا آمنوا أثبتوا أيضاً فكان لهم ثوابان ، نعم قد يستشكل بالنسبة إلى غيرهم لأن ملتهم منسوخة بملة عيسى عليه السلام والمنسوخ لا ثواب فى العمل به ، ويحاج بائنه لا يبعد أن يثابوا على العمل بملتهم السابقة وإن كانت منسوخة ببركة الاسلام .

وأجاب بعضهم أن الإثابة على نفس إيمان ذلك الكتابى بنيه وإن كان منسوخ الشريعة فإن الإيمان بكل نبى فرض سواء كان منسوخ الشريعة أم لا ، وقيل : إن (لا) فى (لأن لا يعلم) غير مزيدة وضمير لا يقدرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين أى فعلنا ما فعلنا لئلا يعتقد أهل الكتاب أن الشأن لا يقدر النبي ﷺ والمؤمنون به على شئ من فضل الله تعالى الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين ولا ينالونه ، أو أنهم أى النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون لا يقدرين الخ ، على أن عدم عليهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله سبحانه : (وَأَنَّ الْفَضْلَ) الخ معطوفاً على - أن لا يعلم - داخلاً معه فى حيز التعليل دون أن لا يقدر فكأنه قيل : فعلنا ما فعلنا لئلا يعتقدوا كذا ولأن الفضل بيد الله فيكون من عطف الغاية على الغاية بناءً على المشهور ولتكلف هذا القيل مع مخالفته لبعض القراءات لم يذهب اليه معظم المفسرين ، وقرأ خطاب بن عبد الله - لأن لا يعلم - بالاظهار ، وعبد الله بن مسعود . وابن عباس . وعكرمة . والجحدري . وعبد الله بن سلمة على اختلاف ليعلم ، وقرأ الجحدري أيضاً - وليعلم - على أن أصله لئن يعلم فقلبت الهمزة ياءاً

لكسرة ما قبلها وأدغمت النون في الياء بغير غنة ، وروى ابن مجاهد عن الحسن - ليلا - مثل ليلى اسم المرأة (يعلم) بالرفع ، ووجه بأن أصله - لأن لا - بفتح لام الجر وهي لغة وعليه قوله :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سيل

فحذفت الهمزة اعتباطاً وأدغمت النون في اللام فصار - للا - فاجتمعت الامثال وثقل النطق بهافاً بدلوها من اللام المدغمة ياءً نظير ما فعلوا في قيراط ودينار حيث أن الاصل قراط ودينار فأبدلوا أحد المثلين فيهما ياءً للتخفيف فصار - ليلا - ورفع الفعل لأن أن هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع ، وروى قطرب عن الحسن أيضاً - ليلا - بكسر اللام ووجهه كالذي قبله إلا أن كسر اللام على اللغة الشهيرة في لام الجر ؛ وعن ابن عباس كي يعلم ، وعنه أيضاً لكيلا يعلم ، وعن عبد الله . وابن جبير . وعكرمة لكي يعلم •

وقرأ عبد الله أن لا يقدرُوا بحذف النون على أن إن هي الناصبة للمضارع ، والله تعالى أعلم •

(وما ذكره المتصوفة قدست أسرارهم في بعض آياتها) (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) قالوا : هو إشارة إلى وحدانية ذاته سبحانه المحيطة بالكل ، وقالوا في قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) إشارة إلى أنهم لا وجود لهم في جميع مراتبهم بدون وجوده عز وجل ، وقوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) إشارة إلى ظهور تجلي الجلال في تجلي الجمال وبالعكس (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) إشارة للمشايخ الكاملين إلى تربية المريدين بافاضة ما يقوى استعدادهم مما جعلهم الله تعالى متمكنين فيه من الاحوال والمسالك •

وقال سبحانه : (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها) لئلا يقنط القاسي من رحمته تعالى ويترك الاشتغال بمداواة القلب الميت (فارعوها حق رعايتها) وأوردتها الصوفية في باب الرعاية وقسموها إلى رعاية الاعمال والاحوال والافات - ويرجع ما قالوه فيها - على ما قيل - إلى حفظها عن إيقاع خلل فيها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) أي نصيين نصياً من معارف الصفات الفعلية ونصيين من معارف الصفات الذاتية (ويجعل لكم نوراً) من نور ذاته عز وجل وهو على ما قيل : إشارة إلى البقاء بعد الفناء ، وقيل : هذا النور إشارة إلى نور الكشف والمشاهدة رتب سبحانه جعله للمؤمن على تقواه وإيمانه برسوله الاعظام صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : هو نور العلم النافع الذي يتمكن معه من السير في الحضرات الالهية كما يشير اليه وصفه بقوله عز وجل : (تمشون به) ؛ وفي بعض الآثار « من عمل بما علم الله تعالى علم ما لم يعلم » وقال سبحانه : (اتقوا الله ويعلمكم الله) وكل ذلك في الحقيقة فضل الله تعالى والله عز وجل ذو الفضل العظيم نسأله سبحانه أن لا يحرمنا من فضله العظيم ولطفه العميم وأن يثبتنا على متابعة حبيبه الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل التسليم •

تم بعونه تعالى وتوفيقه الجزء السابع والعشرون ، يليه الجزء الثامن والعشرون أوله ﴿

﴿ سورة المجادلة ﴾

فهرست

(الجزء السابع والعشرين من تفسير روح المعاني)

صحيفة	صحيفة
١٧. الاستدلال بخلق السموات وبسط الارض وخلق المتأقضات على قدرة الله تعالى	٢ حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ في تفسير الذاريات وما عطف عليها
١٩ بيان أن تكذيب الرسل عادة جارية في جميع الامم	٣ أقوال العلماء في تفسيره الذاريات وما عطف عليها وبيان أن أولى الاقوال ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد المصنف على
٢٠ تفسير قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبيان أن المراد بالعبادة ما كانت بطريق الاختيار الخ	٤ الامام الرازى وصاحب الكشف بيان أن البعث أمر لا بد منه
٢١ بيان أن المراد بخلقهم للعبادة خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب الله فيهم عقولا وجمل لهم حواس إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد ورد ما عدا هذا من الاقوال	٤ تفسير الحبك وأقوال العلماء فيها ٥ بيان تناقض الكفار في أمر الله والرسول واليوم الآخر
٢١ كلام ابن تيمية وغيره من الحفاظ في أن حديث كنت كنز مخفيا ليس من كلام النبي ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف	٦ الدعاء على الخراصين بالهلاك وبيان أوصافهم ٧ بيان أن من أوصاف المتقين الرضا بما آتاهم الله والاحسان إلى الناس والقيام في الليل
٢٢ بيان أن الحصر في الآية اضاف بالنسبة لطلب الرزق وبيان اللطائف المستفادة من قوله (ما أريد منهم من رزق)	٨ فضيلة الاستغفار بالاسحار وصدقة التطوع ٩ الاستدلال بآيات الانفس على الله تعالى وبيان أن الرزق امر مضمون
٢٣ بيان أن قوله تعالى أن الله هو الرزاق خرجت مخرج المثل	١١ تصديق الله تعالى لرسوله ﷺ وتمهيد لاثبات نبوته بذكر قصة ابراهيم التي لا يمكن أن يعلمها الرسول الا من طريق الوحي
٢٥ (اقوال أهل الاشارة في الآيات)	١١ ماجرى بين ابراهيم عليه السلام والرسول وبيان أن المبشرة على التحقيق هو اسحق عليه السلام
٢٦ (سورة الطور)	١٤ الكلام على الايمان والاسلام هل هما متحدان ام لا
٢٨ اقوال العلماء في تفسير البحر المسجور وبيان أن الجهور على أنه بحر الدنيا	١٥ الاستدلال بقصة موسى عليه السلام على صدق الرسول
٢٨ بيان أن الغرض من اقسام الله تعالى هذه الاشياء اثبات عذاب الآخرة وتحقيق وقوعه	١٥ بيان أن اهلاك عاد وثمود كان بسبب عتوهم وفيه من التحذير عن العتو ما لا يخفى

صفحة	صفحة
٣٢	بيان الحلق الذرية المؤمنة بالآباء في الدرجة
٣٣	من غير أن ينقص ذلك من ثواب الآباء شيئاً
٣٥	بيان أن العبد رهن بكسبه
٣٥	الرد على من نسب إلى رسول الله ﷺ
٣٦	الكفاية والجنون
٣٦	التهديد لمن قال أنه ﷺ شاعر تتربص به
٣٧	ريب المنون
٣٧	تحدى الذين نسبوا إلى رسول الله ﷺ اختلاق
٤١	القرآن بأن يأتوا بمثله في النعوت التي استقل
٤١	بها من حيث الظن ومن حيث المعنى
٤١	الكلام على نظم الآيات من أول قوله تعالى:
٤٣	(أم يقولون شاعر) إلى قوله سبحانه. (أم لهم
٤٣	إله غير الله) وقد نقله المصنف عن صاحب
٤٣	الكشف وهو أبداع ما قيل في هذه الآيات
٤٤	ماذكروه من باب الإشارة في الآيات
٤٤	(تفسير سورة النجم)
٤٤	أقوال العلماء في المراد بالنجم الذي أقسم
٤٥	الله تعالى به
٤٥	بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم ما عدل
٤٦	عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة
٤٦	ولا اعتقد باطلا قط
٤٦	بيان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينطق
٤٦	عن الهوى وإن ما ينطق به وحى من عند
٤٦	الله واحتجاج من لم ير الاجتهاد له عليه
٤٦	السلام بهذه الآية
٤٦	بيان أن من يجوز الاجتهاد له عليه الصلاة
٤٦	والسلام لا يقول بأن ما ينطق به صلى الله
٤٦	عليه وسلم صادر عن هوى النفس وشهواتها
٤٧	أوصاف جبريل عليه السلام وبيان أن
٤٧	النبي صلى الله عليه وسلم رآه على صورته
٤٧	الحقيقية عند حراء في مبادئ النبوة
٤٩	بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كذب
٥٠	فواد بصره فيما حكا له من صورة جبريل
٥٠	عليه السلام
٥٠	رؤية النبي ﷺ جبريل على صورته
٥٠	الحقيقية مرة أخرى عند سدره المنتهى
٥٠	اختلاف عائشة رضي الله عنها مع ابن عباس
٥٠	وغيره هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه
٥٢	أم لا وحجج كل
٥٢	اختلاف مثبتى الرؤية في أنها هل كانت
٥٤	بالعين أم بالقلب وحجج كل وتحقيق المقام
٥٤	الكلام على اللات والعزى ومناة وابتدأتها
٥٤	بأمر رسول الله ﷺ
٥٦	توبيخ المشركين على اتخاذهم الأصنام شركاء
٦٢	الله عز وجل وإتياعهم الظن وما تهوى الأنفس
٦٢	اختلاف العلماء في المعاصي هل تنقسم إلى
٦٦	صغائر وكبائر وفي حد الكبيرة
٦٦	تأويل قوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا
٦٦	ماسعى) وبيان أنها لا تنافي ما ورد في السنة
٦٦	من وصول ثواب الأعمال المهداة إلى الميت
٦٦	ووجه الجمع بين الأدلة الواردة في ذلك
٦٨	استحباب البكاء عند سماع القرآن وقراءته
٦٩	تفسير الشعري
٧٠	الأخبار عن قوم نوح وما صنعوا
٧٣	﴿سورة القمر﴾
٧٤	انشقاق القمر معجزة للنبي ﷺ وما ورد في
٧٦	ذلك من الأحاديث وهو مبحث نفيس جداً
٧٦	الرد على شبه الفلاسفة في استحالتهم انشقاق
٧٧	القمر لاستحالة الحرق والالتئام فيه
٧٧	بيان أن انشقاق القمر آية رآها الكفار م
٧٧	أعرضوا عنها وادعوا أنها سحر

صحيفة

صحيفة

٧٨ تكذيب الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم
وبما أظهره الله على يديه من الآيات واتباعهم
الآهواء التي زينها لهم الشيطان والرد عليهم
وبيان أن حق الرسول لا بد أن يظهر
ويضمحل باطلهم

٨٩ بيان أن الغرض من ذكر انباء الأمم الخالية
في القرآن إنما هو الزجر والاعتاظ
٨٠ وصف حال الكفار عند خروجهم من
القبور

٨١ الشروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء
الموجبة للازدجار وذكر تكذيب قوم
نوح له حينما دعاهم إلى الايمان

٨٥ بيان أن الحديث الذي روى عن ابن عباس
مرفوعاً (آخر اربعاء من الشهر يوم نحس
مستمر) موضوع

٨٦ الكلام على التطير ببعض الايام وما ورد في
ذلك من الآثار

٨٧ بيان أن الايام لا اختصاص ليوم منها بنحس
ولا بسعد

٨٧ قصة ثمود مع صالح عليه السلام وما جرى لهم
٩٠ قصة قوم لوط عليه السلام

٩٢ اخبار النبي ﷺ بأن الكفار سيهمزون يوم
بدر وهو من دلائل النبوة

٩٣ الكلام على القدر وما ورد في ذم القدرية
من الاحاديث

٩٦ ﴿سورة الرحمن عز وجل﴾

٩٧ بيان أن التكرار في سورة الرحمن إنما حسن
للتقرير بالنعم المختلفة وهذا معهود في اساليب
العرب وذكر شيء من كلامهم

٩٨ بيان أن تعليم القرآن كرامة اكرم الله بها خلقه

٩٩ اقوال العلماء في المراد بالبيان الذي عليه
الله للانسان

١٠١ بيان ان الله تعالى شرع العدل وأمر به ونهى

عن الطغيان

١٠٢ امتنان الله تعالى على الناس بخلق الارض
لنافعهم واثبات ما يحتاجون اليه من الفوائد
والنخيل والزهور

١٠٥ بيان خلق الانسان من صلصال وخلق الجان
من مارج من نار

١٠٦ تفسير اللؤلؤ والمرجان

١٠٧ بيان ما وقع من غرائب التفسير في قوله تعالى
(مرج البحرين يلتقيان) الخ

١٠٨ اقوال العلماء في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام)

١١٠ بيان المراد بالشأن في قوله تعالى (كل يوم
هو في شأن) وأن الآية لا تنافي حديث

« جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة »

١١٥ فضيلة الخوف من الله وبيان جزائه في الآخرة

١١٧ وصف ما في الجنة اللتين اعدتا لمن خاف
مقام ربه

١١٨ وصف نساء الجنة

١٢٣ وصف الحور العين

١٢٤ بيان ما يتنعم به اهل الجنة من الثياب والكلام
على معنى العبقري

١٢٥ بيان القراءات الواردة في العبقري والرفرف

١٢٦ الكلام على الجنان وما ورد فيها من الاحاديث
من باب الاشارة

١٢٧ ﴿سورة الواقعة﴾

١٢٨ مناسبة سورة الواقعة لما قبلها

١٢٩ أقوال العلماء في تفسير سورة الواقعة

١٣١ بيان أن مراتب الناس ثلاثة اصحاب الميمنة
 واصحاب المشئمة والسابقون

١٣٢ بيان أن السابقين ثلثة من الاولين وقليل من
الآخرين وهم الناس من لدن رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى قيام الساعة

١٣٥ بيان ما انعم الله به على السابقين من طواف
الولدان عليهم باقواب وباريق وكأمن من

محتويات الجزء السابع والعشرين من كتاب روح المعاني (د)

صحيفة

معين وأنعم عليهم بالفاكهة واللحم والخور العين
جزاء لهم بأعمالهم جعلنا الله وإياكم منهم
١٣٩ تفصيل أحوال أصحاب اليمين وما أفاضه الله
عليهم من أصناف النعيم
١٤٣ تفصيل أحوال أصحاب الشمال وبيان الصفات
التي استحقوا بها العذاب وهي اتباع الهوى
والدبر والاصرار على الذنوب وانكار البعث
١٤٥ الرد على منكرى البعث
١٤٨ تبكى الكفار على انكارهم البعث والاستدلال
بالبدء على الاعادة
١٤٨ الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية
١٤٨ أمتان الله تعالى على عباده بآيات الزرع وانزال
الماء العذب الذي يشربون منه
١٤٩ تخصيص العباد على شكر هذه النعمة
١٥٠ بيان أن الله تعالى خلق النار وجعلها تذكرة
لنار جهنم لينظروا إليها ويذكروا بها ما وعدوا به
١٥١ بيان أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم
بتسبيحه فتزيها له عما يقول الكافرون في
وصفه سبحانه بما لا يليق بجلاله
١٥٢ الكلام على (لا) في قوله تعالى (فلا أقسم
بمواقع النجوم)
١٥٢ أقسام الله تعالى بمواقع النجوم أي بمساقط
كواكب السماء ومغاربها على أن القرآن كريم
أي نقاع جم المنافع وكيف لا يكون كذلك وقد
اشتمل على أصول العلوم المهمة لاصلاح
المعاش والمعاد وغير ذلك
١٥٤ بيان المراد بالمطهرين واختلاف العلماء في
مس المحدث المصحف هل هو جائز أم لا
وتحقيق الحق في ذلك
١٥٦ تويخ من بدل شكر نعمة الله كفرًا ونسب
ما أنعم الله به عليه إلى غيره وفيه الكلام على
اسناد الرزق وغيره إلى النجوم
١٥٨ تحدى من ادعى عدم خافيته تعالى ونسب الفعل

صحيفة

إلى غيره بأن يرجع روح الميت إليه إذا
بلغت الحلقوم
١٥٩ بيان مراتب الناس بعد الموت
١٥٩ بيان ما أنعم الله به على المقربين من الروح
والريحان وجنة النعيم
١٦٠ بيان أحوال أصحاب اليمين
١٦١ بيان جزاء المكذبين الضالين
١٦٢ تنزيه الله تعالى عما يذسبه إليه الكفار
١٦٢ بيان ما قاله السادة أرباب الإشارة في هذه الآيات
١٦٤ ﴿ سورة الحديد ﴾
١٦٤ تسييح جميع الكائنات لله
١٦٥ تفسير اسمه تعالى الأول والآخر
١٦٦ تفسير اسمه تعالى الظاهر والباطن
١٦٨ تأويل قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم)
١٦٨ بيان أن ما يمد الإنسان من الأموال ليس
ملكاً له حقيقة وإنما هو مستخلف فيه بمنزلة
الوكيل يصرفه فيما عينه الله تعالى من المصارف
١٦٩ تويخ من ترك الإيمان حسباً أمر به وانكار
أن يكون له عذر بعد أن دعاه الرسول إلى
الإيمان وأخذ الله عليه الميثاق أن يؤمن به
١٧١ بيان أن المراد من أنزال آيات القرآن إخراج
الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان
١٧١ تويخ من ترك الاتفاق في سبيل الله
١٧١ بيان تفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت
أحوالهم في الاتفاق
١٧٣ ندب الله تعالى العباد إلى الاتفاق في سبيله
١٧٤ بيان أن المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم
وبأيامهم على الصراط
١٧٦ تلاشي نور المنافقين وطلبهم من المؤمنين
الانتظار ليقبضوا من نورهم
١٧٧ بيان أحوال المنافقين وحجزهم عن المؤمنين
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله الخ
١٧٩ عتاب المؤمنين بالفقور والتكاسل فيما ندبوا إليه

صفحة	صفحة
١٨٨ تفسير آية (وأنزلنا الحديد)	١٨١ نهى المؤمنين عن عائلة أهل الكتاب بعد أن عوتبوا
١٨٩ تفسير قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) الآيات	١٨٣ بيان أن من آمن بالله ورسله يكون بمنزلة الشهداء في علو الرتبة ورفعة المسكنة
١٩٠ بيان ابتداء الرهبانية	١٨٤ تحقير أمر الدنيا وضرب المثل لها بالنبات الذي يعجب الحراث ثم يصير حطاما إشارة إلى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها
١٩٢ تقسيم البدعة إلى خمسة أنواع باطل إذا أريد به البدعة الشرعية لأن كل بدعة ضلالة	١٨٥ الكلام على قوله تعالى (وجنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) الآيات
١٦٧ تفسير الكف والنور الذي يمشى به المؤمن	١٨٨ تفسير الاختيال والفخور
١٦٩ خاتمة سورة الحديد وبه يتم الجزء السابع والعشرون	

تمت الفهرست والمحدثه اولاً واخراً